الاعتبار من سير الأبرار

هناء وطفة



مقدمة

الحمد لله المحمود الصمد المقصود ذي الكرم والجود والعطاء الممدود، أنت العزيز الباقي والحافظ الواقي لك العز والبقاء والجود والبهاء.

اللّهم اجعل أفضل الصلوات وأنمى البركات في كل الأوقات على سيدنا محمد ﷺ أكمل أهل الأرض والسمٰوات وعلى آله السادات الثقات وأصحابه أعلام الهدى الراسيات ومن تبعهم بإحسان إلى يوم البعث بعد الممات.

أما بعد ...

أنزل الله تعالى دستوراً قدسياً من فوق سماواته، فيه أحكام وشرائع وقصص لقوله تعالى : ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾﴾ (سورة يوسف، الآية: ١١١)

فاخذت بعض آياته الكريمة تصديقاً لرسالة نبيه ﷺ وتاييداً منه جلّ وعلا بمعجزات خرقت العوائد وأبهرت العقول واستسقيت من نبع نوره ﷺ وكتبت بعض مواعظ الرسول ومواعظ أصحابه والتابعين الكرام.....

صلّوا على الهادي البشير محمد   تحظوا من الرحمٰن بالغفران
فالله قد أثنى عليه مصرحاً   في محكم الآيات والقرآن

وأنصت برهة لأسمع مواعظ التابعين وأُسطرها بحب وهي تجول في قلبي وعقلي وأكتب ما تكلمت بها ألسنتهم وتنورت بها قلوبهم .....

لي سادة من عزّهم   أقدامهم فوق الجباه
إن لم أكن منهم فلي   في حبّهم عزّ وجاه

فما أجدر بنا نحن المسلمين أن نشرب من حوضهم ونتخلق بأخلاقهم وسلوكهم وآدابهم ...

ولا أنسى أصحاب الفضل والكرم والجود بالعلم فهم مشاعل النور في دربنا والفيض المروي لأرواحنا ....

ومن العجب أني أحن إليهم وأسال شوقاً عنهم وهم معي
وتبكيهم عيني وهم بسوادها ويشكو النوى قلبي وهم بين أضلعي

فقلب الإنسان هدف للسهام التي تكون سبباً لإبعاده عن حظيرة قدسيِّه جلّ وعلا فإن طريق محمد ﷺ نورٌ من يسلكه يصل لمرضاة الله عزّ وجلّ ....

وإن ما جمعت من قصص وعبر من السلف الصالح حباً فيهم وتشوقاً للمسير على دربهم والتخلق بأخلاقهم فإذا أصبت في ذلك فمن الله تعالى وتوفيقه، وإن زللت أو أخطأت فمن نفسي ومن الشيطان وأستغفر الله العظيم وأتوب إليه ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ....

هناء وطفة

الفصل الأول:
من وصايا ومواعظ سيدنا محمد ﷺ والصحابة الكرام

الفصل الأول: من وصايا ومواعظ سيدنا محمد ﷺ والصحابة الكرام

وصايا ومواعظ للرسول الكريم ﷺ

- أذكار يوصي معاذاً أن يقولها دبر كل صلاة :

عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أخذ بيده وقال :

«يا معاذ والله إني لأحبكَ ثم أوصيك يا معاذُ : لا تدعنَّ في دُبُرِ كُلِّ صلاةٍ تقول : اللَّهم أعنّي على ذكركَ وشُكركَ وحُسنِ عبادتكَ» [1].

- في أداء الصلاة بأول وقتها:

عن رجل من عبد القيس يقال له عياض، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: **«عليكُم بذكرِ ربّكم ﷻ، وصلّوا صلاتَكم في أوّلِ وقتِكم فإنّ الله يضاعفُ لكم»**[2].

وعن ابن عمر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«فضلُ أوّلِ الوقتِ على آخرِهِ، كفضلِ الآخرةِ على الدنيا»**[3].

- تحرّي الكسب الحلال لاستجابة الدعاء:

عن ابن عباس رضي الله عنه قال: تليت هذه الآية عند رسول الله ﷺ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا﴾[4] فقام سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه،

---

(1) رواه أبو داوود، والنسائي، بإسناد صحيح .

(2) رواه الطبراني .

(3) رواه الديلمي في الفردوس .

(4) سورة: البقرة، الآية: 168 .

فقال: يا رسول الله ادع الله أن يجعلني مستجاب الدعوة، فقال له النبي ﷺ: **«يا سعدُ أطب مطعمَك تكنْ مُستجابَ الدعوة، والذي نفسُ محمدٍ بيده إنّ العبدَ ليقذفُ اللُّقمةَ الحرام في جوفه ما يُتقبلُ منه عملُ أربعين يوماً، وأيّما عبدٍ نبت لحمهُ من سُحْتٍ فالنار أولى به»**.

ـ حفظ النعمة الملقاة على الأرض:

عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«إذا وقعت لقمةُ أحدِكم فلْيأخذها، فلْيمط ما كان بها من أذى[1]، ولْيأكلها ولا يدعها للشيطان»[2]**.

ـ دعاء من كان عليه دَيْنٌ:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: دخل رسول الله ﷺ ذاتَ يومٍ المسجد، فإذا هو برجل من الأنصار يقال له أبو أُمامة فقال:

« يا أبا أُمامة مالي أراك جالساً في المسجد في غير وقت صلاةٍ، فقال أبو أُمامة: همومٌ لزمتني، وديونٌ يا رسول الله، فقال ﷺ:

«ألا أُعلمك كلماتٍ إذا قلتهنّ أذهبَ الله عنك همكَ، وقضى دينَكَ» ؟ قال: قلت بلى يا رسول الله، فقال ﷺ: **«قلْ إذا أصبحتَ وإذا أمسيتَ: اللهمّ إني أعوذُ بكَ من الهمّ والحَزَن، وأعوذُ بكَ من العجزِ والكَسل، وأعوذُ بك من الجُبنِ والبُخل، وأعوذُ بك من غَلَبَةِ الدَّين وقهر الرجال» [3]**.

قال أبو أُمامة: فقلت ذلك فأذهب الله عنّي غمّي، وقضى دَيني .

ـ دعاء المكروب:

عن أبي بَكَرةَ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ **« دعواتُ المكروب: اللّهم رحمتَك أرجو، فلا تكلني إلى نفسي طرفةَ عينٍ، وأصلْح لي شأني كُلَّه، لا إلٰه إلا أنت»[4]** .

---

(1) الأذى: المستقذر من تراب أو غبار .
(2) رواه مسلم .
(3) رواه أبو داوود .
(4) رواه الإمام أحمد، وأبو داوود، وابن حبان .

ـ دعاء من أصابه هم أو حزن:

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما أصاب مسلماً قطُّ همٌّ أو حزنٌ فقال: اللهّم إني عبدُكَ، وابن عبدكَ . وابن أمتك ناصيتي بيدك، ماضٍ فيّ حُكمُكَ، عدلٌ فيَّ قضاؤكَ، أسألك بكلّ اسم هو لكَ، سميتَ به نفسَك أو أنزلته في كتابك، أو علّمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيبِ عندك، أن تجعل القرآن ربيعَ قلبي، ونورَ بصري، وجلاءَ حَزَني، وذهاب همّي إلا أذهبَ الله تعالى همّه، وأبدلَ مكان حُزنه فرحاً» .

قالوا: يا رسول الله، أفلا نتعلمُ هذه الكلمات؟.

قال: «بلى، ينبغي لمن سمعهنّ أن يتعلمهنّ» [1].

❀ ❀ ❀

---

(1) رواه أحمد، والطبراني، والحاكم، وابن أبي شيبة .

وصايا ومواعظ سيدنا أبي بكر رضي الله عنه

ـ وعن أبي بكر الصّدّيق رضي الله عنه أنَّه قال: «من دخلَ القبرَ بلا زاد، فكأنما ركبَ البحرَ بلا سفينة».

ـ وعن أبي بكر الصّدّيق رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾[1] قال: ﴿البرِّ﴾: هو اللّسان و﴿البحرِ﴾: هو القلب، فإذا فسدَ اللّسانُ بكتْ عليه النُّفوس، وإذا فسدَ القلبُ بكتْ عليه الملائكة.

ـ وعن أبي بكر الصّدّيق رضي الله عنه قال: «الظُّلماتُ خمسٌ، والسُّرُجُ لها خَمْسٌ: حبُّ الدُّنيا ظُلمةٌ والسِّراجُ له التَّقوى، والذَّنبُ ظُلمةٌ والسِّراجُ له التَّوبةُ، القبرُ ظُلمةٌ، والسِّراجُ له لا إله إلَّا الله محمدٌ رسولُ الله، والآخرةُ ظُلمةٌ والسِّراجُ لها العملُ الصَّالحُ، والصِّراطُ ظُلمةٌ والسِّراجُ له اليّقين».

ـ قال أبو بكر الصدّيق: إنَّ إبليسَ قائمٌ أمامَكَ، والنَّفْسَ عن يَمينك، والهَوى عن يَسارك، والدُّنيا من خلفِك، والأعضاءَ عن حولِكَ، والجبَّارَ فوقَكَ[2].

فإبليسُ لعنه الله يَدعوكَ إلى ترك الدِّين، والنَّفسُ تَدعوك إلى المعصية، والهوى يَدعوك إلى الشَّهوات، والدُّنيا تَدعوك إلى اختيارها على الآخرة، والأعضاءُ تَدعوك إلى الذُّنوب، والجبَّارُ يَدعوك إلى الجنَّة والمغفرة، قال الله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ﴾[3].

فمَنْ أجابَ إبليسَ، ذهبَ عنه الدِّين، ومَنْ أجابَ النَّفسَ، ذهب عنه

(1) سورة: الروم الآية: 41.
(2) جاء في (خ): والجبار فوقك: يعني بالقدرة لا بالمكان.
(3) سورة: البقرة، الآية: 221.

الرُّوح، ومَنْ أجابَ الهوى، ذهبَ عنه العقلُ، ومَنْ أجابَ الدُّنيا، ذهبت عنه الآخرة، ومَنْ أجابَ الأعضاءَ، ذهبتْ عنه الجنَّةُ، ومَنْ أجابَ الله تعالى، ذهبَتْ عنه السَّيئاتُ ونالَ جميع الخيرات.



وصايا ومواعظ سيدنا عمر رضي الله عنه

ـ وصية سيدنا عمر رضي الله عنه لذوي القرابات:

كتب سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أبي موسى الأشعري:

«مرْ ذوي القراباتِ أن يتزاوروا ولا يتجاوروا».

(العقد الفريد: 2/176)

ـ موعظة سيدنا عمر رضي الله عنه في بيان منزلة المرء عند الله:

كتب عمر بن الخطاب إلى سعد بن أبي وقاص رضي الله عنهما: «يا سعدُ سعدَ بني أُهَيب، إنّ الله إذا أحب عبداً حبّبه إلى خلقه فاعتبرْ منزلتك من الله بمنزلتك من الناس، واعلم أنّ مالَكَ عند الله مثلُ ما لله عندك».

(البيان والتبيين: 1/261)

ـ موعظة سيدنا عمر رضي الله عنه للأحنف بن قيس:

أخرجَ الطبراني في الأوسط عن الأحنف بن قيس قال: قال لي عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «يا أحنفُ، من كثُر ضحكه قلت هيبَتُه، ومن مزح استُخفَّ به، ومن كثُر كلامُه كثُر سقطه[1]، ومن كثر سقطُه قلّ حياؤه، ومن قلّ حياؤه قلّ ورعُه، ومن قلّ ورعه مات قلبه» . كذا في الكنز.

ـ وقال عمرُ رضي الله عنه: البحورُ أربعةٌ: الهوى بحرُ[2] الذُّنوب، والنَّفس بحرُ الشَّهوات، والموتُ بحر الأعمار[3]، والقبرُ بحرُ النَّدامات.

---

(1) سقطه: زلاته.
(2) في (خ): الحرص بحر.
(3) أي: الموت جامع الأعمار، وفي نسخة الأعمال. الشارح.

ـ وقال أيضاً رضي الله عنه: أربعةٌ ظَاهرهُنَّ فضيلةٌ، وباطنُهنَّ فريضةٌ:

ـ مُخالطةُ الصَّالحين فضيلةٌ، والاقتداء بهم فَريضة.

ـ وتلاوةُ القرآن فضيلةٌ، والعملُ به فريضةٌ.

ـ وزيارةُ القبور فضيلة، والاستعدادُ لها فريضة.

ـ وعيادةُ المريض فضيلةٌ، واتخاذُ الوصيةِ فريضةٌ.

ـ وقال عمرُ رضي الله عنه: «رأيتُ جميعَ الأخلاَّء، فلم أرَ خليلاً أفضلَ من حفظِ اللّسان، ورأيتُ جميعَ اللّباسِ، فلم أرَ لباساً أفضل من الورع، ورأيتُ جميعَ المالِ، فلم أرَ مالاً أفضلَ من القناعة ورأيتُ جميعَ البر، فلم أرَ برًّا أفضلَ من النَّصيحة[1]، ورأيتُ جميعَ الأطعمة، فلم أرَ طعاماً ألَذَّ من الصَّبر».

ـ وقال عمرُ رضي الله عنه: إنَّ ذريَّةَ الشَّيطانِ تسعةٌ: زليتون[2]، ووثين، ولقوس، وأعوان، وهفاف[3]، ومرَّة، والمسوّط، وداسم وولهان.

فأما زليتون فهو صاحب الأسواق، فينصب فيها رايته[4].

وأمَّا وثين فهو صاحب المُصيبات[5].

وأمَّا أعوان فهو صاحبُ السُّلطان.

وأمَّا هفاف فهو صاحبُ الشَّرابِ.

وأمَّا مرَّة فهو صاحبُ المزامير.

وأمَّا لقوس فهو صاحبُ المَجوس.

---

(1) في (خ): أفضل من الرحمة.
(2) في (خ): زلينون.
(3) في (خ): هفاف.
(4) ويقال له: زَلَنبور، وهو في كل سوق يزيّن للبائعين اللغو والحلف الكاذب، ومدح السلعة، وتطفيف الكيل والميزان. وفي القاموس: عمل زليتون أن يفرّق بين الرجل وأهله، ويبصرّ الرجل عيوب أهله. الشارح.
(5) في (خ): صاحب المعايب. وهو يزيّن الصياح ولطم الخدود. الشارح.

وأمّا المُسوّط فهو صاحبُ الأخبار يُلقيها في أفواهِ النَّاس، ولا يَجدونَ لها أصلاً.

وأمَّا الدَّاسم فهو صاحبُ البيوت، إذا دخلَ الرَّجلُ المنزلَ ولم يُسلِّم ولم يَذكرِ اسمَ الله تعالى أوقعَ فيما بينهم المُنازعةَ حتَّى يقعَ الطَّلاقُ والخلع والضَّربُ.

وأمَّا ولهان فهو يُوسوسُ في الوضوءِ والصَّلاةِ والعبادات.

❁ ❁ ❁

وصايا ومواعظ سيدنا عثمان رضي الله عنه

ـ عن عثمان رضي الله عنه قال: «همُّ الدُّنيا ظلمةٌ في القلب، وهمُّ الآخرةِ نورٌ في القلب».

ـ وعن عثمان رضي الله عنه قال: «من تركَ الدُّنيا أحبَّه الله تعالى، ومَنْ ترَكَ الذُّنوب أحبَّتْهُ الملائكة، ومن حَسَمَ الطَّمعَ عن المسلمين أحبَّهُ المُسلمون».

ـ وقال عثمان رضي الله عنه: «إنَّ المؤمنَ في ستَّة أنواع من الخوف:

أحدُها: مِنْ قِبَلِ الله تعالى: أن يأخذَ منه الإيمان[1].

والثاني: مِنْ قبل الحَفَظَةِ: أن يكتبوا عليه ما يَفتضحُ به يومَ القيامة[2].

والثالث: مِنْ قِبَلِ الشَّيطان: أن يُبطل عمله.

والرَّابعُ: مِنْ قِبَلِ ملك الموت: أن يأخذَهُ في غفلة بغتةً.

والخامسُ: مِنْ قِبَلِ الدُّنيا: أن يَغترَّ بها، وتُشغلَهُ عن ذكر الآخرة.

والسادس: مِنْ قِبَلِ الأهل والعيال: أن يشتغلَ بهم فيشغلوه عن ذكر الله تعالى.

❀ ❀ ❀

---

(1) في (خ): أن يأخذه بالذنب.
(2) روى الطبراني عن الفضل عن رسول الله ﷺ قال: (فضوح الدُّنيا أهون من فضوح الآخرة).

وصايا ومواعظ سيدنا علي رضي الله عنه

ـ موعظة لسيدنا علي كرم الله وجهه في بيان حقيقة الخير:

ـ أخرج أبو نُعيم في الحلية عن علي رضي الله عنه قال:

«ليس الخيُر أن يكثُر مالُك وولدُكَ، ولكنّ الخيرَ أن يكثُر علمُك، ويعظُمَ حِلمُك، وأن تُباهي الناس بعبادة ربك، فإن أحسنتَ حمِدتَ الله، وإن أسأت استغفرت الله، ولا خير في الدنيا إلا لأحد رجلين: رجلٌ أذنب ذنباً فتدارك ذلك بتوبة، أو رجلٍ يسارع في الخيرات، ولا يقل عملٌ في تقوى وكيف يقل ما يتقبل؟!».

(أخرجه ابن عساكر في أماليه، كما في الكنز)

ـ موعظة سيدنا علي كرم الله وجهه لابنه الحسن بعد ما طعن:

ـ أخرج ابن عساكر عن عقبة بن أبي الصهباء قال: لما ضَربَ ابنُ مِلجم علياً رضي الله عنه دخل عليه الحسن رضي الله عنه وهو باكٍ، فقال له: ما يبكيك يا بني؟

قال: وما لي لا أبكي وأنت في أولِ يوم من الآخرة وآخر يومٍ من الدنيا! فقال: يا بني احفظ أربعاً وأربعاً، لا يضرك ما علمتَ معهنّ، قال: وما هنَّ يا أبت؟ قال:

«إن أغنى الغنى العقل، وأكبر الفقر[1] الحمق، وأوحشَ الوحشة العجبُ، وأكرمَ الكرم حُسنُ الخلق، قال: قلت: يا أبت هذه الأربع فأعلمني الأربع الأخرى، قال: إيّاك ومصادقَةَ الأحمق، فإنّه يريد أن ينفعكَ فيضرّكَ، وإيّاك

(1) لعل الصواب: أفقر الفقر.

ومصادقَةَ الكذاب فإنّه يُقرّب عليك البعيد ويُبعد عليك القريبَ، وإيّاك ومصادقَةَ البخيل فإنّه يَبعدُ عنك أحوجَ ما تكون إليه، وإيّاك ومصادقَةَ الفاجر، فإنّه يبيعك بالتافه» . كذا في الكنز.

ـ موعظة سيدنا علي كرم اللّه وجهه في بيان حق العالِم:

قال علي بن أبي طالب رضوان الله عليه:

«من حقّ العالِم عليك إذا أتيته أن تُسلّم عليه خاصّةً وعلى القوم عامَّة، وتجلس قُدَّامَه، ولا تشير بيدك، ولا تغمز بعينك، ولا تقول: قال فلان خلاف قولك ولا تأخذ بثوبه، ولا تُلحّ عليه في السؤال، فإنما هو بمنزلة النخلة المرطبة التي لا يزال يسقط عليك منها شيء».

(العقد الفريد: 2/91)

ـ وصية لسيدنا علي كرم الله وجهه تضرب إليها آباط الإبل:

قال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه:

«أوصيكم بخمس لو ضُربت عليها آباط الإبل لكان قليلاً: لا يرجُوَنَّ أحدُكم إلا ربَّه، ولا يخافنّ إلا ذَنبه، ولا يستحي إذا سُئل عما لا يعلم أن يقولَ لا أعلمُ، وإذا لم يعلم الشيء أن يتعلّمه. واعلموا أن الصبرَ من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، فإذا قُطع الرأس ذهب الجسد».

(العقد الفريد: 3/90)

ـ وعن عليٍّ كرم اللهُ وجهه أنّه قال: «ثلاثةٌ يزدْنَ في الحفظِ، ويُذهبْنَ البلغمَ: السِّواكُ، والصَّومُ، وقراءةُ القرآن».

ـ وعن عليٍّ ﷺ أنَّه قال: إنَّ أَصعبَ الأعمال أربعُ خصال:

«العفُو عندَ الغضبِ، والجودُ في العُسرةِ، والعفَّةُ في الخلوةِ، وقولُ الحقِّ لمن يخافُهُ ويَرجوهُ».

ـ وسُئل عليٌّ ﷺ: ما أثقلُ مِنَ السماء؟ وما أَوسعُ من الأرض؟ وما أغنى من البحر؟ وما أَشدُّ من الحجر؟ وما أحرُّ من النَّار؟ وما أبردُ من الزَّمهرير؟ وما

أَمرُّ من السُّمِّ؟

فقال عليٌّ ﷺ: البهتان[1] على البرايا أثقلُ من السماء، والحقُّ أوسعُ من الأرض، وقلبُ القانعِ أغنى من البحر، وقلبُ المُنافقِ أشدُّ من الحجر، والسُّلطانُ الجائرُ أحرُّ من النَّار، والحاجةُ إلى اللَّئيم أبردُ من الزَّمهرير، والصَّبْرُ أَمرُّ من السُّمِّ.

وقيل: النَّميمة أمرُّ من السُّمِّ.

❀ ❀ ❀

(1) البهتان: افتراء الكذب، والقذف بالباطل.

مواعظ سيدنا أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه

- موعظة أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه لجنده:

أخرج أبو نُعيم في الحلية عن نِمران بن مخمر أبي الحسن عن أبي عبيدة ابن الجراح رضي الله عنه، أنه كان يسير في العسكر فيقول:

«ألا رُبَّ مُبيِّضٍ لثيابه مدنِّسٍ لدينه، ألا رُبَّ مُكرمٍ لنفسه وهو لها مهين، ادرؤوا السيئاتِ القديمات بالحسنات الحديثات، فلو أنَّ أحدكم عمل من السيئات ما بينه وبين السماء ثم عمل حسنة، لعلت فوق سيئاته حتى تغمرهنّ».

(ابو نعيم في الحلية: 1/102)

❀ ❀ ❀

مواعظ سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه

ـ موعظته في أمور يقسم على تحقيقها:

عن رسول الله ﷺ قال: «**ثلاثٌ أحلفُ عليهنّ، والرابعةُ لو حلفت عليها لبررت:**

لا يجعل الله ﷻ من له سهم في الإسلام كمن لا سهم له، ولا يتولى الله عبداً في الدنيا فيولّيه غيره يوم القيامة، ولا يحب رجل قوماً إلا جاء معهم، والرابعة التي لو حلفت عليها لبررت: لا يستُر الله على عبدٍ في الدنيا إلا ستر عليه في الآخرة» [1].

ـ موعظته إذا جلس يحدث الناس:

أخرج ابن الجوزي في صفة الصفوة عن عبد الله بن الوليد قال:

سمعت عبد الرحمٰن بن حجيرة يحدث عن أبيه، عن ابن مسعود أنه كان يقول إذا قعد يعظ: «إنكم في ممر من الليل والنهار في آجالٍ منقوصة، و أعمال محفوظة، والموتُ يأتي بغتة، فمن زرع خيراً فيوشك أن يحصد رغبةً، ومن زرع شراً فيوشك أن يحصد ندامة، ولكل زارعٍ مثلُ ما زرع، لا يسبق بطيء بحظه، ولا يدرك حريص ما لم يُقدَّر له، فمن أُعطي خيراً فالله أعطاه، ومن وُقي شراً فالله وقاه، المتقون سادة، والفقهاء قادة، ومجالسهم زيادة».

(رواه الإمام احمد، وابو نُعيم في الحلية: 1/134)

ـ موعظته في صفة حامل القرآن:

أخرج ابن الجوزي عن المسيّب بن رافع، عن عبد الله بن مسعود قال:

---

(1) رواه أحمد عن عائشة رفعه ـ مسند أحمد: 6/ 145، مَجْمع الزوائد: 1/ 37، وقال: رواه أحمد ورجاله ثقات، ورواه أبو يعلى أيضاً .

«ينبغي لحامل القرآن أن يُعرف بليله إذا الناس نائمون، وبنهاره إذا الناس مفرطون، وبُحزنه إذا الناس فرحون، وببُكائه إذا الناس يضحكون، وبصمته إذا الناس يخلطون وبخشوعه إذا الناس يختالون، وينبغي لحامل القرآن أن يكون باكياً محزوناً حليماً سكيتاً، ولا ينبغي لحامل القرآن أن يكون جافياً ولا غافلاً ولا صخّاباً ولا صياحاً ولا حديداً».

(رواه الإمام احمد في صفة الصفوة: 1/412)

ـ موعظته في بيان من يعادي نِعَم اللّه:

قال عبد الله بن مسعود: «لا تعادوا نِعم الله! قيل له ومن يُعادي نعم الله؟

قال: الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله.

يقول الله في بعض الكتب: الحسود عدُوٌّ نعمتي، مُتسخِّط لقضائي، غيرُ راضٍ بقسمتي».

(العقد الفريد: 2/170)

ـ وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «أربعةٌ من ظُلمةِ القلبِ:

بطنٌ شبعانُ من غيرِ مُبالاةٍ، وصحةُ الظَّالمينَ، ونسيانُ الذُّنوبِ الماضية، وطولُ الأمل».

وأربعةٌ من نور القلبِ: «بطنٌ جائعٌ من حذر، وصحبةُ الصَّالحين، وحفظُ الذُّنوبِ الماضية، وقصَرُ الأمل».



من مواعظ أبي الدرداء رضي الله عنه

ـ موعظته في التحذير من المعصية ولو في الخلوة:

وأخرج أبو نُعيم في الحلية عن سالم بن أبي الجعد عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال:

«حَذِرَ[1] امرؤ أن تبغضَه قلوبُ المؤمنين من حيث لا يشعر، ثم قال: أتدري ما هذا؟ قلت: لا، قال: العبد يخلو بمعاصي الله عزّ وجلّ، فيُلقي الله بُغضَه في قلوب المؤمنين من حيث لا يشعر».

ـ موعظته في أمور ثلاث من ملاك ابن آدم:

أخرج أبو نُعيم في الحلية عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال:

«ثلاث من مِلاك أمر ابن آدم: لا تشكُ مصيبتَك، ولا تحدِّث بوجعِك، ولا تذلَّ نفسك بلسانك».

ـ موعظته في العمل بطاعة اللّه تعالى:

أخرج ابن عساكر عن أبي الدرداء رضي الله عنه أنه كتب إلى مسلمة بن مُخلد:

«أما بعد: فإنّ العبدَ إذا عمل بطاعة الله أحبّهُ الله، فإذا أحبّهُ الله حبَّبه إلى خلقه، وإذا عمل بمعصية الله أبغَضَه الله، وإذا أبغضه الله بغَّضه إلى خلقه». كذا في الكنز.

ـ موعظته لرجل في مرض موته:

دخل أبو الدرداء على رجل يعوده، فقال له: «كيف تجدُك؟ فقال: أفرَقُ[2]

(1) حَذِرَ: فعل ماض بمعنى الأمر أي: ليحذر.
(2) أفرَق: أخاف.

من الموت، قال: فممن أصبت الخيرَ كلَّه؟ قال: من الله، قال: فلم تفَرقُ ممن لم تُصِبْ الخير كلّه إلا منه؟!».

(البيان والتبيين: 3/131)

ـ أمور اتَّعظت بها نفسه:

قال أبو الدرداء: «أضحكني ثلاثٌ وأبكاني ثلاثٌ: أضحكني مُؤمّلُ الدنيا والموت يطلبُه، وغافلٌ ولا يُغفلُ عنه، وضاحكٌ ملء فيه ولا يدري أساخطٌ ربه أم راضٍ . وأبكاني هَولُ المطلع، وانقطاعُ العمل، وموقفي بين يدي الله لا أدري أيأمرُ بي إلى الجنة أم إلى النار».

(البيان والتبيين: 1/257)

ـ موعظته في بيان هوان الدنيا:

قال أبو الدرداء: «من هوان الدنيا على الله أنه لا يُعصَى إلا فيها، ولا ينالُ ما عنده إلا بتركها».

(البيان والتبيين: 1/262)

ـ موعظته في حبّه ثلاثة أمور :

أخرج ابن الجوزي في صفة الصفوة أن أبا الدرداء كان يقول :

«أُحبُّ الموتَ اشتياقاً إلى ربي ﷻ، وأُحبُّ الفقرَ تواضعاً لربي ﷻ، وأُحبُّ المرض تكفيراً لخطيئتي».



وصيّة العباس لابنه عبد اللّه ﵄ بثلاث خصال :

ـ عن ابن عباس ﵄ قال: قال لي أبي :

«أي بني! أرى أميرَ المؤمنين يدعوك، ويقربك ويستشيرك مع أصحاب رسول الله ﷺ فاحفظ عني ثلاث خصال :

1 ـ لا يجربنَّ عليك كذبة.

2 ـ ولا تُفشينَّ له سرًّا.

3 ـ ولا تغتابنّ عنده أحداً.

قال عامر الشعبي: كل واحدة خير من ألف.

قال ابن عباس: كل واحدة خير من عشرة آلاف».

۞ ۞ ۞

مواعظ ابن عباس رضي الله عنهما

ـ موعظته في النهي عن ارتكاب الذنب :

أخرج أبو نعيم في الحلية عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «يا صاحبَ الذنب، لا تأمننَّ من سوء عاقبته، وَلَمَا يتبع الذنبَ أعظمُ من الذنب إذا عملته، فإنّ قلّة حيائك ممن على اليمين وعلى الشمال وأنت على الذنب أعظمُ من الذنب الذي عملَته، وضحِكَكَ وأنت لا تدري ما الله صانعٌ بك أعظمُ من الذنب، وفرحَكَ بالذنب إذا ظفرت به أعظمُ من الذنب، وحزنَك على الذنب إذا فاتك أعظمُ من الذنب إذا ظفرت به، وخوفَك من الريح إذا حَرّكت سَتْر بابك وأنت على الذنب ولا يضطرب فؤادك من نظر الله إليك أعظمُ من الذنب إذا عملته . ويحك!!

هل تدري ما كان ذنب أيوبَ عليه السلام فابتلاه الله تعالى بالبلاء في جسده وذهاب ماله؟ إنما كان ذنب أيوبَ عليه السلام أنه استعان به مسكينٌ على ظُلمٍ يدرؤه عنه، فلم يُعِنْهُ، ولم يأمر بمعروفٍ يُنهي الظالم عن ظُلمِ هذا المسكين، فابتلاه الله عز وجل».

(اخرجه ابن عساكر عن ابن عباس نحوه إلى قوله.... كما في الكنز)

ـ موعظته في الترغيب في الإنفاق على المسلمين :

عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال :

«لأن أعولَ أهلَ بيتٍ من المسلمين شهراً أو جمعة أو ما شاء الله، أحبُّ إليّ من حجَّةٍ بعد حجة، ولطَبقٌ بدانقٍ أهديه إلى أخ لي في الله أحبُّ إليّ من دينار أنفقه في سبيل الله عز وجل».

(صفة الصفوة: 1/756)

ـ موعظته في فتنة الشيطان الناسَ بالدرهم والدينار :

عن الضحاك، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال :

«لما ضُرب الدينارُ والدِّرهم أخذه إبليسُ فوضعه على عينيه وقال: أنتَ ثمرةُ قلبي، وقُرَّة عيني، بك أُطغي، وبك أكفِّر، وبك أُدخِلُ الناسَ النار، رضيت من ابن آدم بحبّ الدنيا أن يعبدني».

(صفوة الصفوة: 1/757)

ـ وعن ابنِ عبّاس قال: «مَنْ صلَّى على النبي ﷺ مرَّةً واحدةً صلَّى الله عليه عشراً، ومن سبَّهُ مرَّةً سبَّهُ الله عشرَ مرَّات؛ ألا ترى لقوله تعالى للوليد بن المغيرة[1] ـ لعنةُ الله عليه ـ حين سبَّ النبي ﷺ مرَّةً واحدةً سبَّه الله عشرَ مرَّات، فقال: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾﴾[2] ﴿أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾﴾[3].

❀ ❀ ❀

(1) الوليد بن المغيرة بن مخزوم أبو عبد الشمس،من قضاة العرب في الجاهلية ،ومن زعماء قريش وزنادقها ،كان ممن حرم الخمر في الجاهلية،وأدرك الإسلام وهو شيخ هرم جاوز الثمانين، وعاداه،وقاوم دعوته، هلك بعد الهجرة بثلاثة أشهروهو والد سيف الله خالد بن الوليد.

(2) ﴿حلاف﴾: كثير الحلف . ﴿مهين﴾: حقير في التدبير . ﴿هماز﴾: كثير الغيبة. ﴿مشاءٍ بنميم﴾: كثير نقل الكلام من قوم إلى قوم على وجه الإفساد بينهم . ﴿مناع للخير﴾: كثير المنع للناس من الدخول في دين الإسلام . ﴿معتد﴾: ظلوم . ﴿أثيم﴾: مبالغ في الإثم . ﴿عتل﴾: متكبر. ﴿بعد ذلك﴾: أي مع ذلك من الذنوب. ﴿زنيم﴾: دعّي، منسوب إلى غير أبيه، فالوليد ادّعاه المغيرة بأنه ولده، والحال أنه ولد الراعي بطريق الزنا . النصائح .

(3) سورة: القلم، الآيات: 10 - 15 .

من مواعظ أُبيّ بن كعب

- موعظته في بيان حال المؤمن والكافر :

عن أبيّ بن كعب رضي الله عنه قال: «المؤمن بين أربع: إن ابْتُلِي صبر وإن أُعْطِي شكر، وإن قال صدق وإن حكم عدل، فهو يتقلّب في خمسة من النور ـ وهو الذي يقول الله فيه ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾ [1]. ـ فكلامُه نور، وعلمه نور، ومدخله نور، ومخرجه في نور، ومصيره إلى النُّور يوم القيامة.

والكافر يتقلّب في خمسة من الظلَم: فكلامه ظلمة، وعمله ظلمة ومدخله ظلمة، ومخرجه من ظلمة، ومصيره إلى الظلمات يوم القيامة».

(أخرجه أبو نعيم في الحلية: 1/255)

❀ ❀ ❀

موعظة لأبي دُجانةَ رضي الله عنه في مرض وفاته :

أخرج ابن الجوزي في صفة الصفوة: عن زيد بن أسلم قال: دُخل على أبي دجانة وهو مريض وكان وجهه يتهلّل. فقيل: ما لوجهك يتهلّل؟ فقال: «ما من عملي شيءٌ أوثقُ عندي من اثنتين: أما إحداهما فكنت لا أتكلّم فيما لا يعنيني وأما الأخرى: فكان قلبي للمسلمين سليماً».

(صفة الصفوة: 1/486)

❀ ❀ ❀

(1) سورة: النور، الآية: 35 .

مواعظ سلمان الفارسي رضي الله عنه

ـ وصيته في الدعاء في السراء والضراء :

عن أبي عثمان عن سلمان رضي الله عنه قال: «إن العبدَ إذا كان يدعو الله في السرّاء فنزلت به الضّراء فدعا قالت الملائكة: صوتٌ معروفٌ من آدمي ضعيف. فيشفعون له، وإذا كان لا يدعو الله في السّراء فنزلت به الضراء قالت الملائكة صوت منكَر من آدمي ضعيف فلا يشفعون له».

(صفوة الصفوة: 1/549)

❀ ❀ ❀

مواعظ ابن عمر رضي الله عنهما

ـ موعظته لابنه في العمل المتقبَّل :

عن هشام بن يحيى الغساني عن أبيه قال: جاء سائل إلى ابن عمر، فقال لابنه: «أعطه ديناراً. فلما انصرف قال له ابنه: تقبلّ الله منك يا أبتاه. فقال: لو علمتُ أن الله يتقبل مني سجدةً واحدةً وصدقةً درهمٍ لم يكن غائبٌ أحبَّ إلي من الموت، أتدري ممن يتقبل؟ إنما يتقبل الله من المتقين».

(صفة الصفوة: 1/576)

ـ وصيته لمجاهد في الاستعداد للآخرة :

عن مجاهد قال: قال لي ابن عمر رضي الله عنهما :

«إذا أصبحت فلا تُحدّث نفسك بالمساء، وإذا أمسيت فلا تُحدّث نفسك بالصباح، وخذ من صحتك لسقمك، ومن حياتك لموتك، فإنك يا عبد الله لا تدري ما اسمك غداً».

(صفة الصفوة: 1/580)

مواعظ سعيد بن المسيب[1]

ـ قال لنا سعيد وهو ابن أربع وثمانين سنة وقد ذهبت إحدى عينيه وهو يعشو بالأخرى: «ما من شيء أخوفُ عندي من النساء».

ـ عن عبد الله بن محمد قال: قال سعيد بن المسيب:

«ما أكرَمَتِ العبادُ أنفسَها بمثل طاعة الله ﷻ، ولا أهانت نفسَها بمثل معصية الله، وكفى بالمؤمن نُصرةً من الله ﷻ أن يرى عدوه يعمل بمعصية الله».

ـ عن مالك بن أنس قال: قال سعيد بن المسيب:

«إنّه ليس من شريفٍ ولا عالِم ولا ذي فضلٍ إلا وفيه عيبٌ، ولكن من الناس من لا ينبغي أن تذكر عيوبُه: مَن كان فضلُه أكثرَ من نقصه، وُهِبَ نقصُه لفضلِه».

(صفة الصفوة: 2/81)

❁ ❁ ❁

مواعظ عروة بن الزبير[2] وأبيه

ـ عن عروة بن الزبير عن أبيه قال:

«إذا رأيتَ الرجلَ يعملُ الحسنة فاعلم أنّ لها عنده أخواتٍ وإذا رأيته يعمل السيئة فاعلم أن لها عنده أخواتٍ، فإنّ الحسنة تدل على أختها، وإن السيئة تدل على أختها».

---

(1) مات سنة (81 هـ) وعمره 65 سنة، ودفن بالبقيع رحمه الله.

(2) مات بالمدينة المنورة وعمره 84 سنة.

ـ وعنه قال: قال عروة لبنيه:

«يا بنيّ تعلّموا فإنكم إن تكونوا صغارَ قومْ عسى أن تكونوا كبارَهم، واسوأتاه، ماذا أقبح من شيخ جاهل».

(صفة الصفوة: 2/87)

۞ ۞ ۞

مواعظ سالم بن عبد الله ابن عم ابن الخطاب رحمهم الله[1].

ـ عن سفيان بن عيينة قال: دخل هشام بن عبد الملك الكعبة، فإذا هو بسالم بن عبد الله فقال له: يا سالم سلني حاجة؟ فقال له:

«إني لأستحي من الله أن أسأل في بيت الله غيرَ الله».

فلما خرج خرج في أثره فقال له: الآن قد خرجت فسلني حاجة، فقال له سالم: «حوائجُ الدنيا أم حوائج الآخرة؟ فقال: بل حوائج الدنيا. فقال له سالم: ما سألتُ من يملكها فكيف أسأل من لا يملكها؟».

(صفة الصفوة: 2/91)

۞ ۞ ۞

موعظة عبد الله بن الحسين لابنه محمد

ـ قال عبد الله بن الحسين لابنه محمد: «يا بني، احذرْ الجاهلَ وإن كان لك ناصحاً، كما تحذر العاقلَ إذا كان لك عدواً، ويوشك الجاهل أن تُورِّطك مَشوُرتهُ في بعض اغترارك[2] فيسبق إليك مكر العاقل، وإيّاك ومعاداةَ الرجال، فإنك لا تَعْدَمنَّ منها مكرَ حليمٍ عاقل،أو معاندة جاهل».

(العقد الفريد: 2/115)

۞ ۞ ۞

(1) مات سنة (106 هـ).
(2) الاغترار: الغفلة.

موعظة علي بن الحسين عليه السلام[1]

ـ عن جعفر بن محمد عن أبيه قال: قال علي بن الحسين:

«فقْدُ الأحبة غُربة».

(صفة الصفوة: 2/94)

ـ وكان يقول: «إنَّ قوماً عبدوا الله ﷻ رهبةً فتلك عبادة العبيد، وآخرين عبدوه رغبةً فتلك عبادة التُجّار، وقوماً عبدوا الله شكراً فتلك عبادة الأحرار».

ـ وكان يقول: «عجبتُ للمتكبّر الفخورِ الذي كان بالأمس نُطفةً ثم هو غداً جيفةً، وعجبتُ كُلَّ العجب لمن شك في الله وهو يرى خلقَه، وعجبتُ كُلَّ العجب لمن أنكر النشأة الأخرى وهو يرى النشأة الأولى، وعجبتُ كُلَّ العجب لمن عمل لدارِ الفناء، وترك دار البقاء».

ـ وكان إذا أتاه السائل رحَّب به وقال: «مرحباً بمن يحمل زادي إلى الآخرة».

ـ وعن أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين قال: أوصاني أبي قال: «لا تصحبنَّ خمسة ولا تحادثهم ولا ترافقهم في الطريق. قال: قلت: جُعلت فداءك يا أبتِ من هؤلاء الخمسة؟.

قال: لا تصحبنّ فاسقاً فإنه يبيعُك بأكلةٍ فما دونها.

قال: قلت: يا أبت وما دُونها؟. قال: يطمع فيها ثم لا ينالها.

قال: قلت: يا أبت ومن الثاني؟.

قال: لا تصحبنّ البخيلَ فإنه يقطعُ بك في ماله أحوجَ ما كنت إليه. قال: قلت: يا أبت ومن الثالث؟.

---

(1) توفي بالمدينة المنورة سنة (94 هـ)، ودفن بالبقيع وعمره 58 سنة.

قال: لا تصحبنّ كذاباً فإنه بمنزلة السَّراب يُبعد منك القريب ويُقرّب منك البعيد.

قال: قلت: يا أبت ومن الرابع؟.
قال: لا تصحبنَّ أحمق فإنه يريد أن ينفعك فيضرَّك.
قال: قلت: يا أبت ومن الخامس؟.
قال يا بني: لا تصحبنَّ قاطعَ رَحمٍ فإني وجدته ملعوناً في كتاب الله في ثلاثة مواضع[1]».

(صفة الصفوة: 2/101)

❀ ❀ ❀

مواعظ محمد بن علي بن الحسين عليهما السلام[2]

ـ عن أحمد بن يحيى قال: قال محمد بن علي:
«كان لي أخٌ في عيني عظيماً، وكان الذي عظّمه في عيني صغَرُ الدنيا في عينه».

(صفة الصفوة: 2/111)

❀ ❀ ❀

مواعظ محمد بن كعب القرظي[3]

ـ عن عيسى بن يونس قال: كنا عند محمد بن كعب القرظي فأتاه رجل فقال: يا عبد الله ما تقول في التوبة؟ قال: ما أحسنها. قال: أفرأيتَ إن أعطيتُ الله عهداً أن لا أعصيه أبداً؟ فقال له محمد: «فمن حينئذٍ أعظم جُرْماً منك؟ تتألّى على الله أن لا يُنفِذَ فيك أمره».

(صفة الصفوة: 2/133)

❀ ❀ ❀

---

(1) في سورة: الرعد، الآية: 25، وسورة: محمد، الآيتان: 22 ـ 23، وسورة: البقرة، الآية: 27.
(2) مات عام (117 هـ)، وعمره 73 سنة رحمه الله.
(3) مات سنة (118 هـ).

مواعظ أبي حازم مسلمة بن دينار[1].

ـ قال أبو حازم: «الدنيا غرَّت أقواماً فعمِلوا فيها بغير الحقّ، فلما جاءهم الموت خلَّفوا ما لهم لمن لا يحمَدُهم، وصاروا إلى من لا يعذِرهم . وقد خَلَفْنا بَعدهم، فينبغي لنا أن ننظرَ إلى الذي كرِهناه منهم فنجتَنبه، وإلى الذي غَبَطناهم به فنستعملَه».

(البيان و التبيين: 3/127)

ـ عن محمد بن مطرف قال: قال أبو حازم: «ما في الدنيا شيء يسرُّك إلا وقد ألزق به شيء يسوؤك».

(صفة الصفوة: 2/164)

ـ وقال: «شيئان إذا عملتَ بهما أصبتَ بهما خيرَ الدنيا والآخرة: لا أُطوّل عليك . قيل: وما هما يا أبا حازم؟ قال :

تحمّل ما تكره إذا أحبّه الله، وتترك ما تحبّ إذا كرهه الله».

(صفة الصفوة: 2/166)

❁ ❁ ❁

مواعظ جعفر الصادق عليه السلام[2].

ـ عن مالك بن أنس قال: قال جعفر بن محمد لسفيان الثوري :

«يا سفيان إذا أنعمَ الله عليك بنعمةٍ فأحببت بقاءها ودوامها، فأكثر من الحمد والشكر عليها، فإن الله عزّ وجلّ قال في كتابه: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾[3]، وإذا استبطأتَ الرّزق فأكثر من الاستغفار فإن الله تعالى قال في كتابه: ﴿ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝١١ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّـٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَـٰرًا ۝١٢﴾[4].

---

(1) مات سنة (140 هـ) في خلافة المنصور .

(2) توفي سنة (148 هـ) بالمدينة المنورة، رحمه الله تعالى .

(3) سورة: إبراهيم، الآية: 7 .

(4) سورة: نوح، الآيات: 10 ـ 12 .

يا سفيانُ إذا حزَبك أمرٌ من سلطان أو غيره فأكثر من قول:

﴿لا حول ولا قوة إلا بالله﴾ فإنها مفتاح الفرج وكنز من كنوز الجنة».

(صفة الصفوة: 2/168)

ـ وعن بعض أصحاب جعفر الصادق قال: دخلت على جعفر وموسى بين يديه وهو يوصيه بهذه الوصية فكان ما حفظت منها أن قال: «يا بُنيّ اقبل وصيّتي واحفظ مقالتي فإنّك إن حفظتها تعِشْ سعيداً وتَمُتْ حميداً. يا بُنيّ إنه من قنع بما قسم الله له استغنى، ومن مدّ عينه إلى ما في يد غيره مات فقيراً ومن لم يرض بما قسم الله ﷻ له اتهم الله تعالى في قضائه، ومن استصغر زلّة غيره استعظم زلّة نفسه، ومن استصغر زلّة نفسه استعظم زلّة غيره.

يا بُنيّ من كشف حجابَ غيره انكشفت عوراتُ بيته، ومن سلّ سيفَ البغي قُتل به، ومن احتفر لأخيه بئراً سقط فيها، ومن داخل[1] السفهاء حُقِّر، ومن خالطَ العلماء وُقّر، ومن دخل مَداخل السوء اتُّهم.

يا بُنيّ قل الحقّ لك وعليك، وإياك والنميمةَ فإنها تزرع الشحناء في قلوب الرجال. يا بُنيّ إذا طلبت الجود فعليك بمعادِنه».

(صفة الصفوة: 2/170)

۞ ۞ ۞

مواعظ مجاهد بن جبير[2]

ـ وعنه عن مجاهد قال: «إنّ العبدَ إذا أقبل إلى الله ﷻ بقلبه أقبل الله بقلوب المؤمنين إليه».

(صفة الصفوة: 2/209)

۞ ۞ ۞

(1) داخل: خالط.

(2) مات سنة (102 هـ) وهو ساجد وعمره 83 سنة رحمه الله.

مواعظ وهيب بن الورد[1]

- سمعت وهيباً يقول: «لا يكن همُّ أحدِكم في كثرة العمل ولكن ليكنْ همّه في إحكامه وتحسينه، فإنّ العبد قد يصلي وهو يعصي الله في صلاته، وقد يصوم وهو يعصي الله في صيامه».

- عن مؤمل قال: سمعت وهيباً يقول: «لو قمتَ قيام هذه السارية ما نفعك حتى تنظر ما يدخل بطنَك؟ حلال أو حرام؟».

(صفة الصفوة: 2/226)

مواعظ سفيان بن عيينة[2]

- عن صامت بن معاذ قال: سمعت سفيان بن عيينة يقول:
«من تزيّن للناس بشيء يعلم الله منه غير ذلك شانه الله».

(صفة الصفوة: 2/232)

- عن ابن الأعرابي قال: قال: سفيان بن عيينة: «أرفع الناس منزلةً، من كان بين الله وبين عباده وهم الأنبياء والعلماء».

(صفة الصفوة: 2/232)

- عن علي بن الحسن قال: سمعت سفيان بن عيينة يقول: «من رأى أنه خيرٌ من غيره فقد استكبر، وذلك أن إبليس إنما منعه من السجود لآدم ﷺ استكبارُه».

(صفة الصفوة: 2/232)

- عن موسى بن إسماعيل قال: سمعت ابن عيينة يقول: «أصابتني ذات يوم رِقّة فبكَيتُ، فقلت في نفسي لو كان بعض أصحابنا لرقّ معي، ثم غفوت فأتاني آتٍ في منامي فرفسني وقال: يا سفيان خذ أجرك ممّن أحببت أن يراك».

(صفة الصفوة: 2/233)

- عن أبي جعفر الحذاء قال: سمعت ابن عيينة يقول: «إذا وافقت السريرةُ

---

(1) مات عام (153 هـ).
(2) مات سنة (198 هـ) ودفن بالحجون وهو ابن 91 سنة .

العلانيةَ فذلك العدل، وإذا كانت السريرةُ أفضلَ من العلانية فذلك الفضل، وإذا كانت العلانيةُ أفضلَ من السريرة فذلك الجَوْر».

(صفة الصفوة: 2/234)

- وعن الحسن بن هارون عن سليمان قال: حدثنا سفيان بن عيينة قال: «كان يقال: الأيام ثلاثة: فأمس: حكيمٌ مؤدِّب ترك حكمته وأبقاها عليك. واليومَ: صديقٌ مودِّع كان عنك طويل الغيبة حتى أتاك ولم تأته، وهو عنك سريع الظَّعن. وغداً: لا تدري أتكون من أهله أو لا تكون».

(صفة الصفوة: 2/235)

- عن إبراهيم بن الأشعث قال: حدثنا سفيان بن عيينة قال: كان يقال: «أشدُّ الناس حسرةً يوم القيامة ثلاثةٌ: رجلٌ كان له عبدٌ فجاء يوم القيامة أفضل عملاً منه، ورجلٌ له مالٌ يتصدّق فلم يتصدّق منه فمات فورثَه غيرَه فتصدق منه، ورجلٌ عالمٌ لم ينتفعْ بعلمه فعلّم غيره فانتفع به».

(صفة الصفوة: 2/235)



مواعظ الفضيل بن عياض[1]

- عن إسحاق بن إبراهيم قال: سمعت الفضيل يقول: «إذا لم تقدر على قيام الليل وصيام النهار فاعلم أنك محرومٌ مكبّلٌ كبّلتك خطيئتُكَ».

(صفة الصفوة: 2/236)

- عن أبي إسحاق قال: قال الفضيل بن عياض: «لو خُيّرت بين أن أعيشَ كلباً أو أموت كلباً ولا أرى يوم القيامة لاخترت أن أعيشَ كلباً أو أموت كلباً ولا أرى يوم القيامة».

(صفة الصفوة: 2/239)

- عن يونس بن محمد المكي قال: قال الفضيل بن عياض لرجل:

(1) مات سنة (178 هـ) رحمه الله تعالى.

«لأعلمنَّك كلمةً هي خيرٌ من الدنيا وما فيها: والله لئن علم الله منك إخراج الآدميين من قلبك حتى لا يكون في قلبكَ مكانٌ لغيره لم تسأله شيئاً إلا أعطاك».

(صفة الصفوة: 2/242)

❀ ❀ ❀

مواعظ محمد بن إدريس الإمام الشافعي(1)

ـ عن الربيع بن سليمان قال: سمعت الشافعي يقول: «ما أوردتُ الحقّ والحجّة على أحدٍ فقبلهما مني إلا وهبْتُه واعتقدت مودّته، ولا كابرني على الحقّ أحد ودافع الحجّة إلا سقط من عيني».

(صفة الصفوة: 2/251)

ـ عن الربيع بن سليمان قال: سمعت الشافعي يقول: «لوددت أن الخلق يتعلمون مني ولا ينسب إليَّ منه شيء وسمعته يقول: طلب العلم أفضل من صلاة النافلة».

(صفة الصفوة: 2/251)

ـ عن الربيع بن سليمان قال: قال لي الشافعي: «يا ربيع: رضا الناس غايةٌ لا تُدرك، فعليك بما يُصلحك فالزمه، فإنه لا سبيل إلى رضاهم، واعلم أنه من تعلّم القرآن جلّ في عيون الناس، ومن تعلّم الحديث قويت حُجّته، ومن تعلّم النحو هيب، ومن تعلّم العربية رقّ طبعه، ومن تعلّم الحساب جزل رأيه، ومن تعلّم الفقه نبل قدره، ومن لم يُصن نفسه لم ينفعه علمه، ومِلاكُ ذلك كلّه التقوى».

(صفة الصفوة: 2/254)

ـ وعن الربيع بن سليمان قال: سمعت الشافعي يقول: «إذا وجدتم في كتابي خلافَ سُنّة رسول الله ﷺ فقولوا بسنّة رسول الله ودَعوا ما قلت».

(صفة الصفوة: 2/257)

---

(1) مات سنة (104 هـ) وهو ابن 54 سنة.

- وعن المزني قال: دخلت على الشافعي في علّته التي مات فيها فقلت: كيف أصبحت؟ فقال: «أصبحتُ من الدنيا راحلاً، ولإخواني مفارقاً، ولكأس المنية شارباً، ولسوء أعمالي ملاقياً وعلى الله تعالى وارداً، فلا أدري روحي تصير إلى الجنة فأهنئها أو إلى النار فأعزيها؟ ثم بكى وأنشأ يقول:

ولما قسا قلبي وضاقت مذاهبي جعلتُ الرّجا مني لعفوك سُلَّما
تعاظمني ذنبي فلما قرنْتُه بعفوك ربّي كان عفوُك أعظما
وما زلتَ ذا عفوٍ عن الذنب لم تزَل تجود وتعفو منّة وتكرُّما

(صفة الصفوة: 2/258)

❀ ❀ ❀

مواعظ طاووس بن كيسان[1]

- عن ابن جريج قال: قال لي عطاء: قال لي طاووس: «يا عطاء لا تُنزلنّ حاجتك بمن أغلق دونك أبوابه وجعل عليها حجابه، ولكن أنزلها بمن بابه مفتوح لك إلى يوم القيامة، أمرك أن تدعوه وضمن لك أن يستجيب لك».

- عن عبد الله بن أبي صالح المكي قال: «دخل عليَّ طاووس يعودني فقلت: يا أبا عبد الرحمٰن ادع الله لي فقال: ادع لنفسك فإنه يجيب المضطر إذا دعاه».

(صفة الصفوة: 2/289)

❀ ❀ ❀

مواعظ وهب بن منبه[2]

- عن عبد العزيز بن رفيع عن وهب بن منبه قال: «الإيمان عُريانٌ ولباسُه التقوى، وزينتُه الحياء، ومالُه الفقه».

(صفة الصفوة: 2/291)

---

(1) مات سنة (106 هـ) وعمره بضع وتسعون سنة.
(2) مات بصنعاء سنة (110 هـ)، رحمه الله تعالى.

ـ عن بكار بن عبد الله قال: سمعت وهب بن منبه يقول: «مرّ رجلٌ عابد على رجل عابد فقال: ما لك؟ قال: أعجب من فلان أن كان قد بلغ من عبادته فمالت به الدنيا فقال: لا تعجب ممن تمل به ولكن اعجب ممن استقام».

(صفة الصفوة: 2/293)

ـ عن أشرس، عن وهب بن منبه[1] قال: قرأت في بعض الكتب أوحى الله ﷻ إلى داود: يا داود هل تدري من أغفر له ذنوبَه من عبيدي؟ قال: من هو يا رب؟ قال: الذي إذا ذكر ذنوبه ارتعدت منها فرائصه فذلك العبد الذي آمر ملائكتي أن يمحوا عنه ذنوبه.

قال: وقال: داود إلهي أين أجدك إ ذا ما طلبتك؟ قال: عند المنكسرة قلوبهم من مخافتي».

(صفة الصفوة: 2/293)

ـ عن بكار بن عبد الله عن وهب قال: «قرأت في بعض الكتب أن منادياً ينادي من السماء الرابعة كل صباح: أبناء الأربعين، زرع قد دنا حصاده، وأبناء الخمسين ماذا قدّمتم وماذا أخرّتم؟ أبناء الستين لا عُذر لكم، ليت الخلق لم يُخلقوا وإذا خُلقوا علموا لماذا خُلقوا، قد أتتكم الساعة فخذوا حذركم».

(صفة الصفوة: 2/293)

ـ وعن وَهْب بن مُنبِّه اليماني رضي الله عنه: مكتوبٌ في التَّوراة: «الحريصُ فقيرٌ مَحرومٌ وإنْ كان مَلَكَ الدُّنيا، والمُطيعُ لله مُطاعٌ وإنْ كان مَملوكاً، والقانعُ غنيٌّ وإنْ كان جَائعاً».

ـ وقال وَهب بن مُنبه: مكتوب في التوراة[2]: «مَنْ تزوَّدَ في الدُّنيا صار يومَ القيامة حبيبَ الله . ومَنْ تركَ الغضبَ، صار في جوار الله. ومَنْ تركَ حبَّ العيش في الدُّنيا، صار يومَ القيامة آمناً من عذاب الله.

---

(1) وهب بن منبه الصنعاني (34 ـ 11 هـ): مؤرخ كثير الأخبار عن الكتب القديمة، عالم بأساطير الأولين، ولا سيما الإسرائيليات، يعد في التابعين ولد ومات بصنعاء.

(2) وهذه المقولة ثمانية وعشرون موعظة.

ومَنْ تركَ الحَسَدَ، صار يومَ القيامة مَحموداً على رؤوس الخلائق.

ومَنْ تركَ حُبَّ الرِّئاسة، صارَ يوم القيامة عَزيزاً عند المَلك الجبَّار.

ومَنْ تركَ الفُضولَ في الدُّنيا، صارَ ناعماً في الأبرار.

ومَنْ تركَ الخُصومةَ في الدُّنيا، صارَ يوم القيامة من الفائزين.

ومَنْ تركَ البُخلَ في الدُّنيا، صارَ مذكوراً عند رُؤوس الخلائق.

ومَنْ تركَ الرَّاحةَ في الدُّنيا، صارَ يوم القيامة مَسروراً.

ومَنْ تركَ النَّظرَ في الحرام في الدُّنيا، أَفرحَ الله عينَه يومَ القيامة في الجنَّة.

ومَنْ تركَ الغِنى في الدُّنيا واختارَ الفقرَ، بعثَهُ الله تعالى يومَ القيامة مع الوليين والنبيين.

ومَنْ قامَ بحوائجِ النَّاسِ في الدُّنيا، قضى الله تعالى حوائجَهُ في الدُّنيا والآخرة.

ومَنْ أرادَ أن يكونَ في قبرِه مُؤنساً، فليَقمْ في ظُلمةِ اللَّيل وليُصلِّ.

ومَنْ أرادَ أن يكونَ في ظلِّ عرشِ الرَّحمنِ، فليكنْ زَاهداً.

ومَنْ أراد أن يكونَ حسابُهُ يَسيراً، فليكنْ ناصحاً لنفسِهِ وإخوانِهِ.

ومَنْ أرادَ أن تكونَ الملائكةُ زائرين له، فليكنْ وَرعاً .

ومَنْ أرادَ أن يَسكنَ في بحبوحةِ الجنَّةِ، فليكنْ ذاكراً لله باللَّيل والنَّهار.

ومَنْ أرادَ أن يكونَ غنياً، فليكنْ رَاضياً بما قَسَمَ له الله تعالى.

ومَنْ أرادَ أن يكونَ سَالماً من النَّاس، فلا يذكرْ أَحداً إلَّا بخيرٍ، وليعتبرْ فيها، من أي شيء خُلقتَ؟ ولماذا خُلقت؟

ومَنْ أرادَ الشَّرَفَ في الدُّنيا والآخرة، فليختَرِ الآخرة على الدُّنيا.

ومَنْ أرادَ الفردوسَ والنَّعيمَ الذي لا يَفنى، لا يُضيِّع عمرَهُ في فسادِ الدُّنيا.

ومَنْ أرادَ الجنَّة في الدُّنيا والآخرة، فعليه بالسَّخاوةِ ؛ لأنَّ السَّخيَّ قريبٌ إلى الجنَّة، وبعيدٌ عن النَّارِ.

ومَنْ أرادَ أن يُنوِّرَ قلبُه بالنُّور التام، فعليه بالتَّفكُّرِ والاعتبار.

ومَنْ أرادَ أن يكونَ له بدنٌ صابر، ولسانٌ ذاكرٌ، وقلب خاشع، فعليه بكثرةِ الاستغفارِ للمؤمنين والمؤمنات، والمسلمين والمسلمات».

❀ ❀ ❀

مواعظ معروف الكرخي

ـ عن محمد بن حماد بن المبارك قال: قال رجل لمعروف: أوصني قال: «توكلّ على الله حتى يكون جليسَك وأنيسَك وموضع شكواك، وأكثرْ ذكر الموت حتى لا يكون لك جليسٌ غيره، واعلم أن الشفاء لما نزل بك كتمانُه، وأن الناس لا ينفعونك ولا يضرونك ولا يعطونك ولا يمنعونك».

(صفة الصفوة: 321/2)

ـ عن إبراهيم الأطرش قال: كان معروف الكرخي قاعداً على دجلة ببغداد إذ مر بنا أحداث في زورق يضربون الملاهي ويشربون. فقال له أصحابه: أما ترى أن هؤلاء في هذا الماء يعصون الله؟ ادعُ عليهم. فرفع يده إلى السماء ونال: «إلهي وسيّدي، أسألك أن تفرحهم في الجنة كما فرحتهم في الدنيا، فقال له أصحابه: إنا قلنا لك ادعُ الله عليهم. لم نقل لك ادعُ الله لهم. فقال: إن فرحهم في الآخرة تاب عليهم في الدنيا، ولم يضركم بشيء».

(صفة الصفوة: 321/2)

مواعظ بشر بن الحارث الحافي[1]

ـ عن أيوب العطار قال: قال لي بشر بن الحارث الحافي:

«أحدثك عن بَدْءِ أمري؟ بينما أنا أمشي رأيت قرطاساً على وجه الأرض فيه اسم الله تعالى، فنزلت إلى النهر فغسلتُه وكنت لا أملك من الدنيا إلا درهماً فيه خمسة دوانق. فاشتريت بأربعة مسكاً وبدانق ماء ورد، وجعلت أتتبع اسم الله

---

(1) مات سنة (227 هـ)، وعمره 75 سنة، رحمه الله تعالى.

وأُطيبه، ثم رجعت إلى منزلي فنمت فأتاني آتٍ في منامي فقال: يا بشر كما طيّبت اسمي لأُطيبنّ اسمك، وكما طهّرته لأُطهرنّ قلبك».

(صفة الصفوة: 2/325)

ـ عن إبراهيم الحربي قال: سمعت بشر بن الحارث يقول:
«بحسبك أن أقواماً موتى تحيا القلوبُ بذكرهم، وأن أقواماً أحياء تعمى الأبصار بالنظر إليهم».

(صفة الصفوة: 2/333)

❀ ❀ ❀

مواعظ الإمام أحمد بن حنبل

ـ عن عبد الله بن أحمد بن حنبل قال: «لما حضرت أبي الوفاةُ جلستُ عنده وبيدي الخرقة لأشدّ بها لحييه. فجعل يَعرق ثم يَفيق ثم يفتح عينيه ويقول بيده هكذا: لا بعد لا بعد. ففعل هذا مرة وثانية. فلما كان في الثالثة قلت له: يا أبت أي شيء هذا قد لهجْتَ به في هذا الوقت؟ تعرق حتى نقول قد قضيت. ثم تعود فتقول: لا بعد لا بعد. فقال لي: يا بني ما تدري ما قلت؟ قلت: لا، فقال: إبليس لعنه الله قائم حذائي عاضّ على أنامله يقول لي: يا أحمد فُتّني. فأقول: لا بعد لا بعد حتى أموت».

(صفة الصفوة: 357)

❀ ❀ ❀

مواعظ السرّي السقطي[1]

ـ عن علي بن عبد الحميد الفضائري قال: سمعت السرّي يقول: «من لم يعرف قدر النّعم سُلِبَها من حيث لا يَعلم، ومن هانت عليه المصائب أحرزَ ثوابها».

(صفة الصفوة: 2/375)

ـ عن علي بن عبد الحميد الفضائري قال: سمعت السرّي يقول: «أجلد

(1) مات سنة (253 هـ)، وعمره 78 سنة،رحمه الله تعالى.

الناس من مَلَكَ غَضَبه، ومن تزيّن للناس بما ليس فيه سقَط من عين الله، ولن يَكمُلَ رجلٌ حتى يؤثر دينَه على شهوته ولن يَهلك حتى يؤثر شهوته على دينه».

(صفة الصفوة: 2/376)

ـ وقال: «إن اغتنمت بما يَنقُص من مالك فابكِ على ما ينقص من عُمرك».

(صفة الصفوة: 2/376)

ـ وعن ابن مسروق قال: سمعت سرياً يقول:

«ثلاثٌ من كُنّ فيه استكمل الإيمان: من إذا غضب لم يخرجه غضبه عن الحق، وإذا رضي لم يخرجه رضاه إلى الباطل، وإذا قدر لم يتناول ما ليس له»

(صفة الصفوة: 2/381)

ـ عن إبراهيم بن السري السقطي قال: سمعت أبي يقول:

«عجبت لمن غدا وراح في طلب الأرباح وهو مثل نفسه لا يربح أبداً».

وسمعت أبي يقول: «لو أشفقت هذه النفوسُ على أديانها شفقَتَها على أولادِها لاقت السرور في معادها».

(صفة الصفوة: 2/383)

ـ قال السري: «ليس من أعلام الحبّ أن تُحبّ ما يبغضُه حبيبُك، أوحى الله تعالى إلى بعض الأنبياء: أمّا زهدك في الدنيا فتعجُّلُكَ الراحة لنفسك، وأما انقطاعك إليّ فتعزُّزُكَ بي، ولكن هل عاديتَ لي عدواً أو واليت لي ولياً؟».

(عيون الأخبار للدينوري: 2/387)

❀ ❀ ❀

مواعظ الإمام الجُنيد[1]

ـ عن أبي الطيب بن الفرحان قال: سمعت الجنيد يقول: «علامةُ إعراض الله عن العبد أن يشغله بما لا يعنيه».

(صفة الصفوة: 2/418)

---

(1) مات سنة (298 هـ)، رحمه الله.

ـ عن العباس بن عبد الله قال: سمعت الجنيد بن محمد يقول:

«المروءة احتمالُ زَللَ الإخوان».

(صفة الصفوة: 2/420)

ـ عن أبي القاسم النقاش قال: سمعت الجنيد يقول:

«الإنسان لا يُعاب بما في طبعه، إنما يُعاب إذا فعل ما يُنافي طبعه».

(صفة الصفوة: 2/420)

ـ عن جعفر الخلدي في كتابه قال: رأيت الجنيد في النوم فقلت له: ما فعل الله بك؟ قال: «طاحت تلك الإشارات وغابت تلك العبارات، وفنيت تلك العلوم، ونفذت تلك الرسوم، وما نفعنا إلا ركيعات كنا نركعها في السحر» رَحِمَهُ الله.

(صفة الصفوة: 2/424)

ـ عن محمد بن نصير في كتابه قال: قال الجنيد: «لو أقبل صادقٌ على الله ألف ألف سنة ثم أعرض عنه لحظة كان ما فاته أكثر مما ناله».

(صفة الصفوة: 2/421)

❀ ❀ ❀

مواعظ سعيد بن جبير[1]

ـ عن عطاء بن دينار عن سعيد بن جبير قال: «إن الخشيةَ أن تخشى الله حتى تَحُول خشيتُه بينك وبين معصيتك، فتلك الخشية والذّكرُ طاعة الله فمن أطاع الله فقد ذكَره ومن لم يُطعه فليس بذاكر وإن أكثر التسبيح وتلاوة القرآن».

(صفة الصفوة: 3/78)

ـ عن جعفر قال: قيل لسعيد: من أَعْبَدُ الناس؟ قال:

«رجل اجتَرح من الذنوب، فكلما ذكر ذنوبَه احتقر عمله».

(صفة الصفوة: 3/79)

❀ ❀ ❀

(1) مات سنة (95 هـ)، وعمره 57 سنة، رحمه الله تعالى.

مواعظ سفيان الثوري[1]

ـ قال السّنّي وقال عمرو العتابي، عن سفيان: «ما من موطن من المواطن أشدّ عليّ من سكرة الموت، أخاف أن يُشدَّد عليّ فأسأل التخفيف، فلا أجاب، فأُفتتنُ».

(صفة الصفوة: 3/148)

ومن وصاياه:

«أكرموا الناس على قدر تقواهم، وتذللوا عند أهل الطاعة، وتعزّزوا عند أهل المعصية، واعلموا أن القراءة لا تحلو إلا بالزهد في الدنيا».

(أعلامنا: الإمام سفيان الثوري: 178)

ـ وعن سُفيان الثَّوري رحمه الله تعالى: «كلُّ معصية من الشَّهوات فإنَّه يُرجى غفرانها، وكلُّ معصيةٍ من الكبَر فإنَّه لا يُرجى غفرانها ؛ لأنَّ معصيةَ إبليسَ كان أصلُها من الكِبَر، وزلَّةُ آدمَ عليه السلام كان أصلُها من الشَّهوةِ».

مواعظ الأحنف بن قيس

ـ قال الغلابي وقال الأحنف بن قيس: «لا مروءة لكذوب ولا راحةَ لحسود، ولا حيلة لبخيل، ولا سُؤددُ لسيّئ الخلق، ولا إخاء لملول».

(صفة الصفوة: 3/199)

ـ سمع الأحنف رجلاً يقول: التعلم في الصغر كالنقش في الحجر، فقال الأحنف: «الكبير أكبرُ عقلاً، ولكنه أشغلُ قلباً».

(البيان والتبيين: 1/257)

ـ أرسل معاوية إلى الأحنف بن قيس، فقال: يا أبا بحر، ما تقول في الولد؟ قال: «ثمارُ قلوبنا، وعماد ظُهورنا ونحن لهم أرضٌ ذليلة، وسماءٌ ظليلة،

---

(1) سفيان بن سعيد الثوري، من بني ثور بن عبد مناة بن مضر، أبو عبد الله (97 ـ 161 هـ)، أمير المؤمنين في الحديث كان سيّد أهل زمانه في علوم الدين والتقوى، ولد ونشأ في الكوفة راوده الخليفة المنصور على أن يلي الحكم، فأبى وخرج من الكوفة ثمّ طلبه المهدي فتوارى ومات مستخفياً بالبصرة. ألّف ابن الجوزي كتاباً في مناقبه.

فإن طلبوا فأعطِهم وإن غضبوا فأرضهم، يمنحوك وُدَّهم، ويحبوك جهدهم ولا تكن عليهم ثقيلاً فيملُّوا حياتك ويُحبُّوا وفاتك» . فقال: لله أنت يا أحنف . لقد دخلت عليَّ وإني لمملوء غضباً على يزيد، فسللته من قلبي . فلما خرج الأحنف من عنده بعث معاوية إلى يزيد بمائتي ألف درهم ومائتي ثوب . فبعث يزيد إلى الأحنف بمائة ألف درهم ومائة ثوب، شاطره إياها .

(العِقد الفريد: 2/273)

ـ وقال أَحنفُ بنُ قيس حين سُئل: ما خَيرُ ما يُعطى العبد؟

قال: «عَقلٌ غريزي . قيل: فإنْ لم يكن؟ قال: أدبٌ صَالح . قيل: فإنْ لم يكن؟ قال: صاحبٌ مُوافق . قيلَ: فإنْ لم يكن قال: قلبٌ مُرابط[1]. قيل: فإنْ لم يكن؟ قال: طولُ الصَّمتِ . قيل: فإنْ لم يكن؟ قال: موتٌ حاضر» .

❁ ❁ ❁

مواعظ ووصايا الحسن البصري رحمه الله تعالى[2]

ـ وصيته لبعض طلابه :

قال: يا بني خُذْ هذه البطاقة، فهي خيرٌ لك من ألف كتاب :

1 ـ لا تغترّ بمكان صالح، فلا مكان أفضل من الجنة، فقد لقي فيها أبونا آدم ما لقي!.

2 ـ ولا تغترّ بكثرة العبادة فإن إبليس بعد مُكثه في العبادة فانظر ماذا لقي!

3 ـ ولا تغترّ برؤية الصالحين، فلا شخص أعظم من المصطفى عليه الصلاة والسلام فلم ينتفع به الكفار والمنافقون!.

4 ـ ولا تغترّ بكثرة العلم، فإن بلعام بن باعوراء[3] بعد نَظَره في اللّوح المحفوظ

---

(1) مرابط: صابر على أذية الخلق . الشارح .

(2) ولد في خلافة سيدنا عمر وحنّكه بيده، وكانت أمه تخدم أمّ سلمة زوج النبي ﷺ فربما غابت فتعطيه أمّ سلمة ثديها، فكانوا يقولون فصاحته من بركة ذلك، توفي عام (110 هـ) رحمه الله تعالى.

(3) قال عبد الله بن مسعود ﷺ إن بلعام بن باعوراء يعلم اسم الله الأعظم وكان مجاب الدعوة . =

فانظر ماذا لقي! .

ـ قال أبو عبيدة الناجي: أنه سمع الحسن يقول: «يا ابن آدم إنك لا تصيب حقيقة الإيمان حتى لا تعيبَ الناسَ بعيبٍ هو فيك، وحتى تبدأ بصلاح ذلك العيب من نفسك فتصلحه فإذا فعلت ذلك لم تصلح عيباً إلا وجدت عيباً آخر لم تصلحه، فإذا فعلت ذلك شغلك في خاصة نفسك، وأحبُّ العباد إلى الله تعالى من كان كذلك».

ـ وكان يقول: «إنَّ العلماءَ كانوا قد استَغنَوْا بعلمهم من أهل الدنيا، وكانوا يقضُون بعلمهم على أهل الدنيا ما لا يقضي أهل الدنيا بدنياهم فيها، وكان أهلُ الدنيا يبذلون دنياهم لأهل العلم رغبةً في علمهم، فأصبح أهلُ العِلم اليوم يبذلون علمَهم لأهل الدنيا رغبةً في دنياهم، فرَغِبَ أهل الدنيا بدنياهم عنهم، وزهِدوا في عملهم لما رَأوا من سُوء موضعه عندهم».

(البيان والتبيين: 3/136)

ـ وكان يقول: «لا أذهب إلى من يُواري عنِّي غناه ويُبدي لي فقرَه ويُغلق دوني بابه، ويمنعني ما عنده، وأَدَع من يفتح لي بابَه، ويُبدي لي غناه، ويدعُونني إلى ما عنده».

(البيان والتبيين: 3/136)

ـ وقال الحسن في يوم فِطر، وقد رأى الناس وهيئاتهم :

«إن الله تبارك وتعالى جعل رمضان مضماراً لخلْقِه[1] يستبقون فيه بطاعته إلى مَرضاته، فسبَق أقوامٌ ففازوا وتخلَّف آخرون فخابوا . فالعجَبُ من الضّاحك اللاعب في اليوم الذي يفوز فيه المحسنون، ويَخسرُ فيه المبُطِلون . أمَا والله أنْ لو كُشِفَ الغطاءُ لشُغِل مُحسنٌ بإحسانه، ومسيٌ بإساءته، عن ترجيلِ شَعرٍ[2]

= قال ابن عباس ﷺ لنا نزل موسى ومن معه على القوم الجبارين ذهبوا الجبارين عند ابن عمهم بلعام فقالوا: إن موسى رجل حديد ومعه جنوده كثرة وإنه يظهر علينا يهلكنا فادعُ الله أن يرد عنا موسى ومن معه، قال: إني إن دعوت الله أن يرد موسى ومن معه ذهبت دنياي وآخرتي، فلم يزالون به وأعطوه المال والنساء حتى دعا لهم، فسلخه الله ما كان عليه.

(1) المضمار: الأيام التي تضمر فيها الخيل للسباق، وقدرها أربعون يوماً .

(2) ترجيل الشعر: تسريحه وتنظيفه .

وتجديد ثوب».

(البيان والتبيين: 3/137)

ـ وكان يقول: «رحم الله رجلاً خلا بكتاب الله فَعَرَضَ عليه نفسَه، فإن وافقه حمِدَ ربَّه وسأله الزِّيادةَ من فضله، وإن خالَفه اعتتب[1] وأناب، ورجع من قريب، ورَحِم الله رجلاً وعظَ أخاه وأهله فقال: يا أهلي، صلاتَكم صلاتَكم، زكاتَكم زكاتَكم، جيرانَكم جيرانَكم، إخوانَكم إخوانَكم، مساكنَكم مساكنَكم لعل الله يرحمكم. فإن الله تعالى أثنى على عبدٍ من عباده[2] فقال:

﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا﴾ [3]

يا ابن آدم: كيف تكون مسلماً ولم يَسْلَم منك جارُك، وكيف تكون مؤمناً ولم يأمَنْك الناس».

(البيان والتبيين: 3/134 ـ 135)

ـ وكان يقول: «لا يستحق أحدٌ حقيقةَ الإيمان حتى لا يعيبَ الناس بعيبٍ هو فيه، ولا يأمر بإصلاحِ عيوبهم حتى يبدأ بإصلاح ذلك من نفسه، فإنه إذا فعل ذلك لم يُصلح عيباً إلا وجد في نفسه عيباً آخر ينبغي له أن يصلحه. فإذا فعل ذلك شُغِلِ بخاصَّة نفسه عن عيب غيره وإنَّك ناظرٌ إلى عملك يوزَنُ خيرهُ وشرُّه، فلا تحقِرَنَّ شيئًا من الخير إن صَغُر، فإنك إذا رأيته سرَّك مكانه. ولا تَحقرنَّ شيئاً من الشّرِّ وإن صَغُر، فإنك إذا رأيته ساءك مكانَه».

(البيان والتبيين: 3/135)

ـ وقال الحسنُ البصري رحمه الله: «لولا الأبدال[4] لخُسفتِ الأرضُ وما فيها،

---

(1) اعتتب: أي رجع من أمر كان فيه إلى غيره وانصرف عنه.

(2) هو إسماعيل عليه السلام.

(3) سورة: مريم، الآية: 55.

(4) قال ﷺ: «الأبدال أربعون رجلاً، اثنان وعشرون بالشام، وثمانية عشر بالعراق، كلما مات منهم واحد أبدل الله مكانه، فإذا جاء الأمر قُبضوا كلهم، فعند ذلك تقوم الساعة» رواه الحاكم وقال رسول الله ﷺ: «لن تخلو الأرض عن أربعين رجلاً مثل الخليل الرحمٰن، فبهم يسقون وبهم ينصرون، ما مات منهم أحد إلا أبدل الله مكانه آخر» .رواه الطبراني.

ولولا الصَّالحون لهلك الطالحون، ولولاالعُلماء لصارَ النَّاسُ كلُّهم كالبهائم ولولا السُّلطانُ لأهلَكَ بعضُهم بعضاً ولولا الحَمقى لخربت الدُّنيا، ولولا الملحُ لأنتن كلُّ شيء».

- وعن الحسن البَصري أنَّه قال: إنَّ فسادَ القلوبِ عن ستَّة أشياء:

«أوَّلُها يُذنبون برجاء التَّوبة[1]، ويتعلَّمونَ العلمَ ولا يَعملون، وإذا عَملوا لا يُخلصون، ويأكلونَ رزقَ الله ولا يَشكرون، ولا يَرضونَ بقسمةِ[2] الله، ويَدفنونَ موتاهم ولا يَعتبرون».

❀ ❀ ❀

مواعظ مالك بن دينار[3]

- عن سعيد بن عصام قال: سمعت مالك بن دينار يقول: «كان الأبرارُ يتواصَوْن بثلاثٍ: بسجْنِ اللسان، وكثرة الاستغفارِ، والعزْلة».

(صفة الصفوة: 3/278)

- وقال مالك بن دينار لبعض طلابه: «إذا رأيت قساوةً في قلبك ووهناً في بدنك، وحرماناً في رزقك، فاعلم أنّك تكلّمت فيما لا يعنيك».

(سمير المؤمنين: 18)

- مرّ المُهلّب على مالك بن دينار مُتبختراً، فقال: «أما علمت إنها مشيةٌ يكرهها الله إلا بين الصّفَّين! فقال المهلّب: أما تعرفني؟ قال: بلى، أوّلك نطفة مذرة، وآخرك جيفة قذرة، وأنت بين ذلك تحمل العذرة . فانكسر وقال: الآن عرفتني حق المعرفة».

(غرائب الأخبار: 2/24)

- عن عبد الله العبدي قال: حدثنا جعفر عن مالك قال: «إن في بعض

---

(1) في النصائح: وفي نسخة: برجاء الرحمة .
(2) في (خ): وما يرضون بنعمة الله .
(3) ولد أيام عباس وهو من أعيان كتبه، المصاحف، توفي سنة (131 هـ).

الكتب أن الله عزّ وجلّ يقول: إن أهون ما أنا صانع بالعالم إذا أحبّ الدنيا أن أُخرِج حلاوة ذكري من قلبه».

(صفة الصفوة: 3/280)

ـ عن جعفر قال: سمعت مالك بن دينار يقول: «إن العالم إذا لم يعملْ بعمله، زلّت موعظته عن القلوب، كما تزلّ القطرة عن الصفا[1]».

(صفة الصفوة: 3/283)

ـ عن مسلم الخواص قال: قال مالك بن دينار: «خرج أهل الدنيا من الدنيا ولم يذوقوا أطيب شيءٍ فيها، قالوا وما هو؟ قال: معرفة الله ﷻ».

(صفة الصفوة: 3/283)

ـ عن عمارة بن زاران: أن مالك بن دينار لما حضره الموت قال: «لولا أني أكره أن أصنع شيئاً لم يصنعْه أحدٌ كان قبلي، لأوصيتُ أهلي إذا أنا متُّ أن يُقيّدوني وأن يجمعوا يديّ إلى عُنقي، فينطلقوا بي على تلك الحال حتى أُدفن كما يُصنع بالعبد الآبق».

(صفة الصفوة: 3/288)



مواعظ أبي داوود السجستاني

ـ عن أبي بكر بن راشد قال: سمعت أبا داوود يقول:

كتبت عن رسول الله ﷺ خمس مائة ألف حديث وانْتَخَبْت منها ما ضمَّنته هذا الكتاب ـ يعني كتاب السنن ـ جمعت فيه أربعة آلاف وثماني مائة حديث، ذكرتُ الصحيح وما يُشبهه وما يُقاربه، ويكفي الإنسان لدينه من ذلك أربعة أحاديث:

أحدهما: قوله ﷺ: الأعمال بالنيات.

والثاني: قوله ﷺ: من حُسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه.

(1) الصفا: الصخر الأملس.

والثالث: قوله ﷺ: لا يكون المؤمن مؤمناً حتى يرضى لأخيه ما يرضاه لنفسه.

والرابع: قوله ﷺ: الحلال بيّن والحرام بيّن، وبين ذلك أمور مشتبهات.

(صفة الصفوة: 4/69)

ـ وعن أبي بكر بن أبي داوود قال: سمعت أبي يقول:

«الشهوة الخفية حُبُّ الرّياسة».

(صفة الصفوة: 4/69)

❀ ❀ ❀

مواعظ يحيى بن معاذ

ـ عن عبد الله بن سهل قال: سمعت يحيى بن معاذ يقول:

«ليكن حظُّ المؤمن منك ثلاثاً: إن لم تنفعه فلا تضره وإن لم تُفرحه فلا تغمّه، وإن لم تمدحه فلا تذمّه».

ـ عن مكحول بن الفضل النَّسفي قال: قال يحيى بن معاذ:

«مصيبتان لم يسمعْ الأولون والآخرون بمثلهما في مال الإنسان عند موته. قيلَ: ما هما؟ قال: يُؤْخَذُ منه كلّه ويُسأل عنه كله».

(صفة الصفوة: 4/69)

ـ عن الحسن بن علويه قال: سمعت يحيى بن معاذ يقول:

«دواءُ القلب خمسة أشياء: قراءةُ القرآن بالتفكر، وخلاء البطن، وقيام الليل، والتضرّع عند السحر، ومجالسةُ الصالحين».

ـ عن عبد الله بن وهب قال: سمعت يحيى بن معاذ يقول:

«على قدر خوفك من الله يهابُك الخلق، وعلى قدرِ حُبّك لله يُحبُّك الخلق، وعلى قدر شُغلك بالله يشتغل الخلق بأمرك».

(صفة الصفوة: 4/95)

ـ وقال يحيى بن مُعاذ الرَّازي رحمه الله في المُناجاة: «إلٰهي... لا يَطيبُ اللَّيلُ إلَّا

بمُناجاتكَ، ولا يَطيبُ النَّهارُ إلَّا بطاعتكَ، ولا تطيبُ الدُّنيا إلَّا بذكرِكَ، ولا تَطيبُ الآخرةُ إلَّا بعفوكَ، ولا تَطيبُ الجنَّةُ إلَّا برؤيتِكَ».

❀ ❀ ❀

مواعظ إبراهيم بن أدهم[1]

- قيل لسلطان الزاهدين إبراهيم بن الأدهم رضي الله عنه: أوصنا بما ينفعنا فقال رضي الله عنه:

1 - إذا رأيتُم الناسَ مشغولين بأمر الدنيا، فاشتغلوا أنتم بأمر الآخرة.

2 - وإذا اشتغلوا بتزيين ظواهرهم، فاشتغلوا بتزيين بواطنكم.

3 - وإذا اشتغلوا بِعمَارة البساتين والقصور، فاشتغلوا بعمارة السكن الأخير و القبور.

4 - وإذا اشتغلوا بخدمة المخلوقين، فاشتغلوا بخدمة ربِّ العالمين.

5 - وإذا اشتغلوا بعيوبِ الناس، فاشتغلوا بعيوبِ أنفسكم.

6 - واتخذوا من الدنيا زاداً يوصلكم إلى الآخرة، فإنما الدنيا مزرعةُ الآخرة.

(سمير المؤمنين: 18 - 19)

- حُكي عن شقيق البلخي أنه قال: كان إبراهيم بن أدهم يمشي في البصرة، فاجتمع إليه الناس، فقالوا: ما بالُنا ندعو فلا يُستجاب لنا؟ . وإن الله تعالى يقول: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾.[2] فقال: يا أهلَ البصرة؟ قد ماتت قلوبكم بعشرةِ أشياء، فكيف يُستجابُ لكم؟.

1 - عرفتُم الله، ولم تُؤدُّوا حقَّه!.

2 - قرأتُم القرآنَ، ولم تعملُوا به!.

3 - ادّعيتُم حُبَّ الرسول ﷺ، وتركتُم سنَّته!.

---

(1) إبراهيم بن أدهم التيمي البلخي الزاهد المتعبد، العامل العالم، كان يعيش من العمل بحفظ البساتين والحمل والطحن، ترك ميراث أبيه، وكان مالاً كثيراً، كان ينطق بالفصحى ولا يلحن مات مرابطاً في بلاد الروم سنة (161 هـ).

(2) سورة: غافر، الآية: 60 .

4 ـ ادّعيتُم عداوةَ الشيطان، وأطعتموه!.

5 ـ ادّعيتُم دُخولَ الجنة، ولم تعملوا لها!.

6 ـ ادّعيتُم النجاةَ من النار، ورميتُم فيها أنفسَكم!.

7 ـ قلتُم الموتُ حقٌ، ولم تستعدُّوا له!.

8 ـ اشتغلتُم بعيوبِ الناس، وتركتُم عيوبَكم!.

9 ـ دفنتُم الأمواتَ، ولم تعتبروا!.

10ـ أكلتُم نِعَمَ الله، ولم تشكروه عليها!.

ـ وعن شقيقِ البلخي رحمه الله أنَّه قال: عليكم بخمسِ خصالٍ فاعملوها: «اعبدوا الله بقدرِ حاجتكم إليه، وخذوا من الدُّنيا بقدرِ عمرِكم فيها، وأذنبوا لله بقدرِ طاقتكم على عذابه، وتزوَّدوا في الدُّنيا بقدرِ مُكثكم في القبر، واعملوا للجنَّة بقدرِ ما تُريدون فيها المقام».

ـ وعن إبراهيم بن أدهم رحمه الله أنَّه قِيل له: بم وجدت[1] الزهد؟ قال: بثلاثة أشياء: «رأيتُ القبرَ مُوحشاً وليس معي مُؤنسٌ، ورأيتُ طَريقاً طويلاً وليسَ معي زاد، ورأيتُ الجبَّارَ قاضياً وليس معي حجَّةٌ».

ـ وقال إبراهيمُ بنُ أدهم رحمه الله حين سَألوه[2] عن قوله تعالى: ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[3] وإنا ندعو فلم يَستجبْ لنا؟!.

فقال: ماتَتْ قلوبُكم من خمسةِ أشياء، أوَّلُها:

ـ ادَّعيتم حبَّ الرَّسولِ، وتركتُم أَثَرَهُ وسُنَّتَهُ.

ـ وادَّعيتُم حُب الجنَّة، ولم تَعملوا لها.

---

(1) في (خ): بمَ اخترت.

(2) في النصائح صفحة (74): عن شقيق البلخي أنه قال: كان إبراهيم بن أدهم يمشي في أسواق البصرة، فاجتمع الناس إليه، فقال حين سألوه عن قوله تعالى.

(3) سورة: غافر، الآية: (60).

ـ واشتغلتُم بعيوبِ غيركم، وتركتم عُيوبَ أنفسكم.

ـ وتأكلونَ رزقَ الله، ولا تَشكرونه.

ـ وتَدفنونَ موتاكم، ولا تَعتبرون.

❀ ❀ ❀

مواعظ الإمام أبي حنيفة النعمان[1]

ـ روى زفر بن الهزيل أنّ الإمامَ ﷺ قال: «من لم يمنعه العلمُ عن محارم الله تعالى، ولم يُحجزه عن معاصي الله تعالى، فهو من الخاسرين».

(اعلام المسلمين: ابو حنيفة/335/ غاوجي)

ـ روى أبو شهاب عن الإمام ﷺ تعالى قال: «من تعلّم العلمَ للدنيا حُرم بركته ولم ينتفع به كثير أحد، ومن تعلّمه للدين بورك في علمه ورسخ في قلبه، وانتفع المقتبسون منه بعلمه».

(اعلام المسلمين: ابو حنيفة/335/ غاوجي)

ـ ذكر محمد الليثي عن الإمام ﷺ تعالى قال: «أعظم الطاعات الإيمان بالله تعالى، وأعظم المعاصي الكفر بالله تعالى فمن أطاع الله في أعظم الطاعات وانتهى عن أعظم المعاصي، رجونا له الغفران فيما يأتي بعد ذلك».

(اعلام المسلمين: ابو حنيفة/355/ غاوجي)

ـ ذكر أبو يوسف للإمام ﷺ علقمةَ والأسود أيهما أفضل؟ فقال: «والله ما قدري أن أذكرهما إلا بالدعاء و الاستغفار إجلالاً لهما، فكيف أفضّل بينهما؟».

(اعلام المسلمين: ابو حنيفة/335/ غاوجي)

ـ قال أبو يوسف قال الإمام ﷺ تعالى: «من تكلّم في شيء من العلم وهو يظن أن الله لا يسأله عنه كيف أفتيتَ في دين الله؟ فقد سهلت عليه نفسه ودينه».

(اعلام المسلمين: ابو حنيفة/335/ غاوجي)

---

(1) توفي عام (150 هـ) في زمن المنصور وحضر جنازته أكثر من خمسين ألف رجل، وصلى عليه ست مرات ﷺ تعالى.

مواعظ الإمام مالك إمام دار الهجرة[1]

ـ قال الإمام مالك: «ليس العلمُ بكثرة الرواية، وإنما العلمُ نورٌ يضعه الله في القلوب».

ـ وقال: الإمام رَحِمَهُ اللَّهُ : «لا يستكمل الرجلُ الإيمان حتى يُحرزَ لسانه».

ـ وقال الإمام رَحِمَهُ اللَّهُ : «ما أسرَّ عبد سريرة خيرٍ إلا ألبسه الله رداءها، ولا أسرَّ سريرة سوءٍ إلا ألبسه الله رداءها».

(اعلام المسلمين: الإمام مالك/327ـ 330ـ 331/الدقر)

❀ ❀ ❀

مواعظ الإمام عبد الله بن مبارك[2]

ـ قال الإمام عبد الله بن المبارك: «الدنيا سجن المؤمن، وأعظم أعماله في السجن، الصبُر وكظم الغيظ».

(تنبيه المغترين: 181)

ـ وسئل الإمام عبد الله بن المبارك عن قول لقمان لابنه: إن كان الكلام من فضة فإن السكوت من ذهب، فقال: «معناه لو كان الكلام بطاعة الله من فضة، فإن الصمت عن معصية الله من ذهب».

(جامع العلوم والحكم: 117)

ـ وقال رجل للإمام عبد الله بن المبارك، أوصيني . فقال له :

«اترك فضول النظر تُوفق للخشوع، واترك فضول الكلام تُوفق للحكمة، واترك فضول الطعام تُوفق للعبادة، واترك التجسس على عيوب الناس تُوفق للاطلاع على عيوب نفسك، واترك الخوض في ذات الله تُوق الشك والنفاق».

(تنبيه المغترين: 88)

---

(1) ولد عام (93 هـ) وعاش سبعاً وثمانين سنة، دفن بالبقيع .

(2) ولد عام (118 هـ) وتوفي عام (181 هـ) ودفن في بلدة هيت القريبة من بغداد، رحمه الله تعالى .

ومن كلامه المؤثر :

«إنّ العلماءَ ورثةُ الأنبياء فإذا كانوا على طمع فبمن يُقتدى؟ والتجارَ أمناءُ الله فإذا خانوا فمن يُؤتمن؟ والغزاةَ أضيافُ الله فإذا غلّوا فبمن يُظفر على العدو؟ والزهادَ ملوكُ الأرض فإذا كانوا ذوي رياء فمن يُتّبع؟».

(اعلام المسلمين: عبد الله بن المبارك/188/جمال)

❀ ❀ ❀

مواعظ بعض التابعين رحمهم اللّه

1 ـ عن الشّبليّ[1] رحمه الله، وهو من عُظماء العَارفين قال :

«إلٰهي. . . . إنّي أُحبُّ أن أَهَبَ لك جميعَ حسناتي مع فقري وضعفي، فكيفَ لا تُحبُّ سيّدي أنْ تَهَبَ لي جميعَ سيّئاتي مع غِنَاكَ مولاي عنّي؟!».

وقال: «إذا أردت أنْ تَستأنسَ بالله، فاستوحشْ من نفسِكَ».

وقال: «لو ذقتُم حلاوةَ الوصلةِ، لعرفتم مَرارةَ القَطيعةِ».

2 ـ عن أبي سليمان الدّاراني[2] رحمة الله عليه أنّه قال في المُناجاة: «إلٰهي. . . . لئنْ طالبتَني بذنبي لأطلُبنّك بعفوك، ولئنْ طالبتني ببُخلي لأطلُبنَّكَ بسخائك، ولئنْ أدخلتني النّارَ، لأُخبرنَّ أهل النّارِ بأني أحبُّكَ».

3 ـ قيل: أوحى الله تعالى إلى عُزيرِ النَّبيّ[3] فقال: «يا عُزير، إذا أذنبتَ ذنباً صغيراً، فلا تَنظرْ إلى صغرِه، وانظرْ إلى مَنِ الذي أذنبت له، وإذا أصابَكَ خيرٌ يَسيرٌ فلا تَنظرْ إلى صِغَرِهِ، وانظرْ إلى مَنِ الذي رزقَكَ، وإذا أصابَكَ بليةٌ فلا

---

(1) أبو بكر الشبلي دُلف بن جحدر (247 ـ 334 هـ) كان والياً في نواحي رستاق الري، وولي الحجابة للموفق العباسي، ثم ترك الولاية، وعكف على العبادة فاشتهر بالصلاح .

(2) أبو سليمان الداراني هو عبد الرحمٰن بن أحمد بن عطية العنسي: زاهد معروف من كبار المتصوفة من أهل داريا جنوب دمشق، رحل إلى بغداد وأقام بها مدة ثم عاد إلى دمشق، وتوفي ببلده سنة (215 هـ).

(3) عُزير عليه السلام نبي من أنبياء بني إسرائيل، أماته الله مئة عام، ثم أحياه وأحيى حماره، وجعلته بنو إسرائيل قاتلهم الله ابناً لله .

تَشْكُني إلى خلقي كما لا أشكوكَ إلى ملائكتي إذا صعدتْ إليَّ مساوئك».

4 ـ أوحى الله تعالى إلى بعض الأنبياء: «من لَقيني وهو يُحبُّني أدخلتُهُ جَنَّتي، ومن لَقيني وهو يَخافني جنَّبْتُهُ ناري ومن لقيني وهو يستحي منّي أنسيتُ الحفظَةَ ذنوبَهُ».

5 ـ وعن صالح المُرّيّ[1] أنّه مرَّ ببعضِ الدّيار فقال: يا ديارُ.... أينَ أهلُكِ الأوَّلون؟ وأينَ عُمَّارُك الماضون؟ وأينَ سُكانُكِ الأقدمونَ؟ فهتف به هاتفٌ: انقطعتْ آثارُهم، وبليتْ تحتَ التُّراب أجسامُهم، وبقيتْ أعمالُهم قلائدَ في أعناقهم.

6 ـ وعن كعب الأحبار[2] رضي الله عنه قال: الحصونُ للمؤمنين من الشَّيطانِ ثلاثٌ: «المسجدُ حصنٌ، وذكرُ الله حصنٌ، وقراءةُ القرآنِ حصنٌ».

7 ـ وعن رسول الله ﷺ أنَّه قال: حُبِّبَ إليَّ من دُنياكم ثلاثٌ:

«الطِّيبُ والنِّساءُ، وجُعلتْ قرَّةُ عيني في الصَّلاةِ».

وكان معه أصحابُهُ جلوساً، فقالَ أبو بكر الصدِّيق رضي الله عنه: صَدقتَ يا رسولَ الله، وحُبِّبَ إليَّ من الدُّنيا ثلاثٌ: «النَّظرُ إلى وجهِ رسول الله، والإنفاق عليك، وتلاوة ما أُنزل إليك[3]».

فقال عمرُ رضي الله عنه: صدقتَ يا أبا بكر، وحُبِّبَ إليَّ من الدُّنيا ثلاثٌ: «الأمرُ بالمعروفِ، والنَّهي عن المُنكر، والثَّوبُ الخَلِق[4]».

---

(1) صالح بن بشير المري الزاهد البصري القارئ المحدث، كان إذا رأى مقبرة مكث مبهوتاً لا يعقل ولا يتكلم، وقيل إنه كان يسمع كلام الموتى، روى عنه الترمذي، مات سنة (172 هـ) الكواكب الدرية للمناوي 1/ 329، وفي الأصل: وعن صالح المرقدي.

(2) كعب بن ماتع أبو إسحاق، تابعي كان في الجاهلية من كبار علماء اليهود في اليمن، أسلم زمن أبي بكر، قدم المدينة، فأخذ عنه الصحابة كثيراً من أخبار الأمم الغابرة، سكن حمص وتوفي فيها سنة (32هـ).

(3) في (ط) والنصائح: وإنفاق مالي على رسول الله، وأن تكون ابنتي تحت رسول الله.

(4) الثوب الخلق: أي الثوب البالي.

فقال عُثمان رضي الله عنه: صدقتَ يا عمر، وحُبِّبَ إليَّ من الدُّنيا ثلاثٌ: «إشباع الجيعان، وكسوةُ العُريان، وتلاوةُ القرآن».

فقال عليٌّ: صدقتَ يا عُثمان، وحُبِّبَ إليَّ من الدُّنيا ثلاثٌ:

«الخدمةُ للضَّيف، والصَّومُ بالصَّيف، والضَّربُ بالسَّيف».

فبينما هم كذلك إذ جاءَ جبريلُ عليه السلام، وقالَ: أرسلني الله تبارك وتعالى لمَّا سمعَ مَقالتَكُم، وأمرَكَ يا رسول الله أنْ تَسألني عمَّا أُحبُّ إنْ كنتُ مِنْ أهلِ الدُّنيا. فقال: «ما تُحبُّ إنْ كنتَ مِنْ أهلِ الدُّنيا؟» فقال: «إرشادُ الضَّالين، ومؤانسة الغُرباء القانتين، ومعاونةُ أهلِ العيال المُعسَرَين[1]».

8 ـ وعن بعض الحُكماء أربعةٌ حَسَنةٌ، ولكنَّ أربعةٌ منها أحسنُ:

الحياءُ من الرِّجال حَسَنٌ.... ولكنَّه مِنَ المرأةَ أَحْسَن.

والعدلُ من كلِّ أحدٍ حَسَنٌ.... ولكنَّه من الأُمراء أَحْسَن.

والتَّوبةُ من الشَّيخِ حَسَنٌ.... ولكنَّها من الشَّابِّ أحْسَن.

والجودُ من الأغنياءِ حَسَنٌ.... ولكنُّه من الفقراءِ أَحْسَن.

9 ـ وعن بعضِ الحُكماء: أربعةٌ قبيحةٌ، لكنَّ أربعةٌ منها أقبحُ:

«الذَّنبُ من الشَّابِّ قبيحٌ، ومِنَ الشَّيخِ أَقبح، والاشتغالُ بالدُّنيا من الجاهل قَبيحٌ، ومن العَالِمِ أقبح، والتَّكاسلُ في الطَّاعةِ من جميعِ النَّاس قَبيحٌ، ومن العُلماءِ والطَّلبةِ أقبح، والتَّكبُّرُ من الأغنياءِ قَبيحٌ، ومن الفقراءِ أقبح».

10 ـ وعن حاتم الأصم رحمةُ الله عليه: من ادَّعى أربعةً بلا أربعة فدعواه

---

(1) رواه الطبراني في الأوسط، والصغير عن أنس رفعه، والنسائي في الكبرى (8887) والحاكم، وأبو يعلى 6/ 237، والبيهقي في سننه 7/ 78. دون قوله: « حبب إليَّ من دنياكم ثلاث» . قال في المقاصد: وأما ما اشتهر من زيادة « ثلاث» فلم أقف عليه إلا في موضعين من الإحياء، وفي تفسير آل عمران من الكشاف، وما رأيتها في شيء من طرق هذا الحديث، وزيادتها مُحيلة (مفسدة) للمعنى، فإن الصلاة ليست من الدنيا . وأما قول أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم وجبريل عليه السلام فقد ذكره ابن حجر في المواهب، والخفاجي في المجالس وفيه زيادة لطيفة . انظر كشف الخفا 1/ 405ـ 408 .

كَذِبٌ: «من ادَّعى حبَّ الله، ولم ينتهِ عن محارمِ الله تعالى، فدعواه كَذِبٌ. ومن ادَّعى حبَّ النَّبي ﷺ وكَرِهَ الفقراءِ والمساكين، فدعواه كذِبٌ. ومن ادَّعي حبَّ الجنَّة، ولم يتصدَّقْ، فدعواه كذِبٌ، ومن ادَّعى خوفَ النَّارِ ولم ينتهِ عن الذُّنوب، فدعواه كذِبٌ».

11 ـ وعن محمد بن أحمد[1] رحمة الله عليه في قول الله تعالى: ﴿وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝٣٩﴾[2] قال: ذكر الله تعالى يحيى ﴿سَيِّداً﴾ وهو عبدُه؛ لأنَّه كان غالباً على أربعةِ أشياء: «على الهوى، وعلى إبليس، وعلى اللسان، وعلى الغَضَب».

12 ـ وعن سعد بن بلال[3] رحمه الله: إنَّ العبدَ إذا أذنبَ مَنَّ الله تعالى عليه بأربعِ خِصالٍ: «لا يَحجبُ عنه الرِّزقَ، ولا يَحجبُ عنه الصِّحةَ، ولا يُظهرُ عليه الذَّنبَ، ولا يُعاقُبه عَاجلاً».

13 ـ وعن حاتم الأصم رحمه الله أنَّه قال: أربعةُ أشياءَ لا يَعرفُ قدرَها إلَّا أربعةٌ: «الشَّابُ لا يَعرفُ قدرَهُ إلَّا الشُّيوخُ، والعافيةُ لا يَعرفُ قدرَها إلَّا أهلُ البلاءِ[4]، والصِّحةُ لا يَعرفُ قدرَها إلَّا المرضى، والحياةُ لا يَعرفُ قدرَها إلَّا الموتى».

14 ـ وعن بعضِ الحُكماء: يستقبلُ ابنُ آدم أربعُ نهبات[5]: «يَنتهبُ مَلَكُ الموتِ روحَه، ويَنتهب الورثةُ مالَه، ويَنتهبُ الدُّودُ جسمَهُ، ويَنتهبُ الخُصماء يومَ القيامة عملَهُ».

15 ـ وعن بعضِ العبَّادِ أنَّه قال في المُناجاةِ: «إلٰهي.... طولُ الأمل غرَّني، وحبُّ الدُّنيا أهلكني، والشَّيطانُ أضلَّني، والنَّفس الأمَّارةُ بالسُّوء عن الحقِّ

(1) محمد بن أحمد بن إسماعيل ابن سمعون أبو الحسين (300 ـ 387 هـ) زاهد واعظ يلقب بالناطق بالحكمة، مولده ووفاته في بغداد.
(2) سورة: آل عمران، الآية: 39.
(3) في النصائح: سعد بن هلال.
(4) قال الغزالي: بدل هذه الجملة: ولا يعرف قدر الغنى إلا أهل الفقر.
(5) نهبات: الأمور التي تغلبُ الإنسان. الشارح.

مَنعتني[1]، وقرينُ السُّوء على المعصيةِ أعانني، فأغثني يا غياث المُستغيثين، فإنْ لم ترحمني، فمن ذا الذي يرحمُني غيرُك؟!.

16 ـ قال النَّبيُّ ﷺ: «سيأتي على أُمَّتي زمانٌ يُحبُّونَ الخَمْسَ، ويَنسون الخَمْسَ: يُحبُّونَ الدُّنيا ويَنسون الآخرة، ويُحبُّونَ الحياةَ ويَنْسونَ الموتَ، ويُحبُّونَ القُصُورَ ويَنْسَونَ القُبُور، ويُحبُّونَ المالَ ويَنْسَونَ الحِسابَ، ويُحبُّونَ الخلقَ ويَنْسونَ الخالقَ».

17 ـ وقال النَّبيُّ ﷺ: «ستَّةٌ لعنتُهم، ولَعَنَهُم الله تعالى وكلُّ نبيٍّ مُجابِ الدَّعواتِ: الزَّائدُ في كتاب الله تعالى[2]، والمُكذبُ بقدرِ الله تعالى، والمُتَسلِّطُ بالجَّبروتِ ليُعزَّ من أذلَّهُ الله، ويُذلَّ من أعزَّه الله، والمُستحلُّ لحَرَم الله تعالى[3] والمُستَحلُّ مِنْ عِترتي ما حَرَّمَ الله، والتَّاركُ لسُنَّتي، فإن الله تعالى لا يَنظرُ إليهم يومَ القيامة نَظَرَ الرَّحمةِ».

18 ـ وسُئل بعضُ الحكماء: هل يَعرفُ العبدُ إذا تابَ أنَّ توبتَهُ قُبِلتْ أم رُدَّتْ؟ قال: لا أحكمُ في ذلك، ولكنْ لذلك علاماتٌ: «أن يَرى نفسَه غيرَ معصومةٍ من المعصية، ويرى في قلبِهِ الفرحَ غائباً[4]، والحُزنَ شاهداً، ويُقرِّب أهلَ الخيرِ، ويباعدَ أهلَ الشرِّ، ويرى القليلَ من الدُّنيا كثيراً. ويرى الكثير من عملِ الآخرةِ قليلاً، ويَرى قلبَهُ مشتغلاً[5] بما ضَمِنَ من الله تعالى فارغاً عمَّا ضَمِنَ الله تعالى منه، ويكونَ حافظَ اللِّسانِ، دائمَ الفكرة، لازمَ الغمِّ والنَّدامةِ».

19 ـ وعن جابر بنِ عبدِ الله الأنصاري[6] رضي الله عنه، عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال:

---

(1) في (خ): بالسوء أعانتني، وعن الخلق منعتني.
(2) أي من يدخل فيه ما ليس منه، ويؤوله بما لا يصلح. الشارح.
(3) حَرَمَ بفتح الحاء والراء، أي حرم مكة. الشارح.
(4) في (خ): ويرى الفرح من قلبه غريباً.
(5) في (خ): قلبه مستقلاً.
(6) جابر بن عبد الله الخزرجي الأنصاري صحابي من المكثرين في الرواية عن النبي ﷺ وله ولأبيه صحبة، غزا تسع عشرة غزوة، مات سنة (78 هـ).

«ما زالَ يُوصيني جبريلُ بالجارِ، حتَّى ظننْتُ أنَّه يجعَلُهُ وارثاً.

وما زالَ يُوصيني بالنِّساء، حتَّى ظننْتُ أنَّه سَيُحرِّمُ طلاقَهُنَّ.

وما زالَ يُوصيني بالمَمْلوكين، حتَّى ظننْتُ أنَّه يجعلُ لهم وقتاً يُعْتَقُونَ فيه.

وما زالَ يُوصيني بالصَّلاةِ في الجماعةِ، حتَّى ظَننْتُ أنَّه لا يَقبلُ الله تعالى صلاةً إلَّا في الجماعة.

وما زالَ يُوصيني بقيامِ اللَّيلِ، حتَّى ظَننْتُ أنَّه لا نومَ باللَّيل.

وما زالَ يُوصيني بذكرِ الله، حتَّى ظَننْتُ أنَّه لا يَنفعُ قولٌ إلاَّ بِهِ[1]».

21 ـ قال أنسُ بنُ مالك[2] ﷺ: إنّ الأرضَ تُنادي كلَّ يومٍ بخمسِ كلمات، وتقولُ: «يا بنَ آدم، تَسعى على ظهري، ومَصيرُكَ في بطني. وتأكلُ الحرامَ على ظَهري، وتأكُلكَ الدِّيدانُ في بطني. وتَختالُ على ظهري، وتُذلُّ في بطني. وتَمشي في نور على ظهري، وتَقَعُ في الظُّلماتِ في بطني. وتَمشي على المَجامعِ[3] على ظهري، وتَقعُ وحيداً في بطني».

❀ ❀ ❀

(1) ذكره القرطبي في تفسيره عن أنس بن مالك 5/ 192.

(2) أنس بن مالك الخزرجي الأنصاري صاحب رسول الله ﷺ وخادمه، روى عنه رجال الحديث وهو آخر الصحابة موتاً في البصرة سنة (93 هـ).

(3) المجامع: موضع اجتماع الناس.

حكم ومواعظ سماحة الإمام النبهاني
حفظه الله تعالى

الفرق بين البلاء والابتلاء :

الأول: اسم المنتقم، والثاني: اسم المحب **«إذا أحب الله أحداً ابتلاه»**.

الابتلاء: أن يتكلم عليكم الناس كلاماً ما أنتم بعامليه أبداً، فهذا هو الابتلاء، وأما إن كنتم عامليه، فهذا هو الانتقام وهذا بلاء.

سبب الرقي: الابتلاء، سبب الثواب: الصلاة والصوم والزكاة والصدقة والحج، وإذا كان واحد تكلّم عليك كلاماً بذيئاً، انظر له خصلة حسنة فيه وامتدحه بها، وإذا سبّك لا تسبه، علّمه هذبه أدّبه بحالك يا مهذب يا مؤدب.

واستحِ من الله أن توصف برتبة لم تكن معك، وإن جاءك أحد وذمك بشيء، فإن كان العمل موجوداً فيك فهو نذير من الله إليك فاهجره ـ أي العمل ـ واقطعه فوراً، وإن لم يكن واقعاً منك فحذّر نفسك من الوقوع بمثله فإن الناس بالمرصاد، ثم ادع له سواء كان ذاماً أو مادحاً لأنه نفعك . ولا صاحب إلا الله ولا سير إلى الله بدون ابتلاء.

إذا صدق العبد في سيره إلى الله تعالى ورزق المحبة فلا بد له من الابتلاء، يبتليه الله تعالى فيسلط عليه الخلق أجمعين.

ففي بداية الأمر يسلط عليه البعيد ثم الصديق ثم الحميم ثم الأقرب فالأقرب، وللمحب الصادق عناية فكلما سلط عليه إنساناً زاده ذلك المتسلط تعرفاً على الله ويناديه أي الابتلاء: أن لا تبق في قلبك أحداً إلا الله.

ولا يزال يبتليه في أقاربه، في أمه في أبيه في زوجته في أخيه في صاحبه حتى لا يبقى في قلبه أحد.

وكلما أتته واحدة نادته: أن لا تبق في قلبك سوى خالقك.

والابتلاءات ثلاثة:

1 - ابتلاء للاختبار، قال الله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾﴾[1].

2 - وابتلاء للتعريف، قال الله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾[2].

3 - وابتلاء للرقي والمحبة، ورد في الحديث: «إذا أحب الله أحداً ابتلاه»[3] ليسمع صوته، ليسمع أنيته، ابتلاك لتعلم من هو المبتلي ولماذا ابتلاك؟ هل بينك وبينه عداوة؟.

- «إياكم أن تسيؤوا إلى المسيء بل أحسنوا إليه وادعوا له». أحسن للمحسن بإحسانه والمسيء تكفيه إساءته. اصنع المعروف مع أهله ومع غير أهله، فإن وافق أهله فذاك، و إلا فكن أنت أهلاً له.

- صاحب النور يرى الأشياء ويرى الناس بالله، ولكن الحق ﷻ يعطيه الرحمة قبل ذلك، فينظر الناس بالرحمة ويؤول لهم ولأعمالهم، وأقل التأويل: أن يرى قلوب الخلائق بين إصبعين من أصابع الرحمٰن، فلعل ذلك العاصي أو الفاسق بعد نفس يكون ولياً.

صفات المهذب الدال على الله تعالى:

1 - لا يكون محباً للدنيا.

2 - لا يكون محباً للنساء.

---

(1) سورة: محمد، الآية: 31.
(2) سورة: البقرة، الآيات: 155 - 157.
(3) رواه أحمد والديلمي عن ابن أبي هريرة.

3 ـ لا يكون محباً لنفسه . يمشي مع الحق لا مع نفسه، لا يكذب، ولا يغش، ولا يغتاب، ولا ينم.

ولقمة الحلال هي التي تدلّكم على أهل الله، اللقمة لا بد أن تكون حلالاً، والمراقبة تأتي من أكل الحلال.

ـ إياكم أن تقولوا للغضبان: صلِّ على النبي ولا تعظوه وقتئذ إلا إذا صحا.

الفرق بين العالم والعارف :

«العالم يحكم بما رأى، والعارف يحكم بما أراه الله تعالى».

العالم يحتقر العاصي، والعارف لا يحتقر أحداً مهما رأى منه.

فلينظر كل واحد منكم في يديه: على اليمين (18) وعلى الشمال (81) فلا بد لكل إنسان من (99) اسماً موجوداً على الكفين، فإن قال أحد لماذا (81) على الشمال: قلنا لأنها من جهة القلب.

أسماء الله تعالى موزعة وهي في كل لحظة لا تعد ولا تحصى، وكل اسم غير الآخر، المسمى واحد والأسماء مختلفة، الكريم غير القهار، والقهار غير الودود، والودود غير الرحمٰن.

هذا الإنسان بذاته، كل نفس يتوجه عليه اسم غير الآخر، فعندما يكون تقياً غيره عندما يكون عاصياً، ولما يكون مقبلاً غيره عندما يكون معرضاً، وهكذا بقية أسماء الله ﷻ .

قال في دعاء سيدنا نوح عليه السلام :

قال رضي الله عنه : سيدنا نوح، كلهم متفقون أنه دعا على قومه ـ أعوذ بالله ـ دعا لهم أم دعا عليهم؟

بعدما بيّن له الحق أنه ما بقي أحد يؤمن إلا من آمن . دعا على الكفار أن يموتوا، لأن الكفار كلما بقوا تزداد ذنوبهم، هذا دعاء لهم لا عليهم.

قال في دفع الخواطر السيئة والوسواس :

لدفع الخواطر السيئة والوسواس: سبحان الملك القدوس الخلاق الفعال:

﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ۝١٩ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ۝٢٠﴾[1] ثلاث مرات بعد الصلوات الخمس.

حكم ومواعظ سماحة المربي أحمد كفتارو حفظه الله تعالى

قال في تفسيره لسورة الكهف عن سبب ارتباط سورتي الإسراء والمعراج والمناسبة بينهما فيقول:

فرق شاسع بين الإسراء والمعراج وبين المكوث في الكهف فلِما جُمِعا وتجاورا...؟.

السبب في ذلك هو أنه لا إسراء ولا معراج إن لم يسبقهما كهف وخلوه، ولا خطاب ومكالمة قدسية إن لم تحقق الخلوة عما سوى الله، فالكهف هو سبب المعراج وهو سبب عروج الروح واتصالها في الصلاة كما قال ﷺ: «**الصلاة معراج المؤمن**»[2].

وذكر أن سماحته زار أحد شيوخ الصوفية عند موته فسأله عن حاله فقال له ذلك الشيخ: إنه لا يحافظ على صلواته!.

فسأله سماحة الشيخ لماذا؟.

فقال: إنني أعيش في حالة روحية عالية وأشاهد من الأنوار وأتذوق الأسرار فإذا أديتُ الصلاة ذهب عني ما أجد، ولذلك فإنني لا أُصلي.

فأجابه سماحته: وهل نحن مأمورون بالصلاة أم المشاهدة الأنوار والأسرار؟.

صلي كما أمرك الله تعالى وحافظ على أداء صواتك ولا تهتم لمجيء الأنوار وذهابها.

(1) سورة: إبراهيم، الآيتان: 19 ـ 20 .
(2) التربية الروحية بين المتصوفين .

رد على بعض ما شاع بين العوام والسالكين.

«نبي بلا معجزة كذاب وشيخ بلا كرامة كذاب» . قال عارف بالله الشيخ أمين كفتارو قدس الله سره: ليست الكرامة أن تطير في الهواء ولا أن تمشي على الماء لأن الكثير من الحيوانات والحشرات تفعل ذلك، ولكن الكرامة الحقيقة هي أن تخرق حجاب نفسك وعوائدها الذميمة.

أقواله في اختلاف المذاهب :

إن اختلاف المذاهب الإسلامية رحمة لا كما يظنها البعض تفرقة فالمذاهب مثل الصيدليات المختلفة التي تحوي الأدوية لمشاكل الناس المتعددة فإذا عرضت لنا مشكلة نبحث في مذاهبنا أولاً فإن لم يجد لا مانع من تقليد مذهب آخر فمن لم يجد الدواء في صيدلية حيِّه يذهب إلى الصيدلية أخرى وهكذا. . . .

ويكثر في مجالسه من القول:

أن الله خلق الأنهار ووزعها في الكرة الأرضية لتروي كل الناس ولم يجعلها في مكان واحدة ليرفع الحرج عنهم، وكذلك جعل العلماء والدعاة موزعين في المدن والأحياء لينتفع بهم الناس فليس من الحكمة أن تدعو الناس جميعاً للاستفادة من شيخك وترك شيوخهم لأنهم ربما تركوا شيوخهم ولم ينتفعوا من شيخك فيصبحوا ضائعين.

كما أنه ليس من الحكمة أن تطلب من جميع الناس أن يتركوا المياه التي يشربوا منها ليشربوا جميعاً من عين الفيجة وفي أن عين الفيجة لا تكفيهم جميعاً فالمهم أن يشربوا ماءً نقياً وأنا عليك أن تذهب إلى شاردين الذين ليس لهم إمداداً ولا علم من أي مصدر تربطهم بالعلماء العامل .

❀ ❀ ❀

مواعظ الشيخ أحمد فتح الله جامي

* أحياناً المؤمن لا يضرُّ أحداً ومع ذلك يُسلِّط الله عليه بحكمته عبداً يؤذيه، فيشكو ويقول: لِمَ يؤذيني؟ نقول: هذا سيفُ الله وقدرُ الله وحكمتُه، ليَمتحِن المظلوم فيصبر ويصل إلى مقام عالٍ، وليزيدَ الظالم عذاباً . هكذا حكمة الله.

* الموت نوعان: واحد في الدّنيا: وهو الموت عن الحظوظ الدّنيوية والنفسية؛ والثاني: هو الموت العادي الذي نشترك فيه مع الحيوان. فعلى المؤمن أن يموت قبل أن يموت.

* أنت تعرف كل عيوبك، ولا تعرف إلا القليل عن عيوب غيرك؛ فاترك عيب غيرك واشتغل بعيوبك، لأنه قد يتوب من عيبه وأنت تظن السوء به.

* لا يمكن للمؤمن أن يقطع زُنَّار نفسه ويُمزِّق الحجاب بالصلاة والزكاة والحج فقط، بل لابدّ من أن يتطبّع بأخلاق رسول الله ﷺ - بعد المحافظة على الفرائض - فإنه يقطع زنّار نفسه ويمزّق ذاك الحجاب بإذن الله تعالى.

* ما بقيت الدنيا لأحد من الخلق صالحاً كان أم طالحاً، فسيدنا سليمان عليه الصلاة والسلام آتاه الله ملكاً ما كان لأحد من بعده لكنه لم يَدُمْ، وأعطى الله قارون من الكنوز ﴿مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُوْلِى ٱلْقُوَّةِ﴾[1] وبعد ذلك خَسَفَ به وبداره الأرض؛ فكيف يغتر الواحد منا بهذه الدنيا الفانية؟

تعلقوا بالباقي ولا تتعلقوا بالفاني.

* لولا الحمقى لخربت الدنيا. وليس الأحمقُ هو قليلَ العقل، إنما هو الحريص على الدنيا؛ لأنه بهذا الحرص يُغَلِّب جنودَ النفس على جنود القلب، وبذلك يكون أحمق.

* ما رأيت شيئاً أنفع لعزة المؤمن مثل التعفف، فلا يَسْأَلُ في حال الفقر ولا يردُّ ما جاءه: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾[2].

* أكثرُ النّاس يخافون من الموت أكثر من خوفهم من الله تبارك وتعالى، وعلاج ذلك التهجّدُ بالقرآن وذكرٌ بينك وبين ربك وصحبةُ المرشد.

* الذِّكر يجلو صدأ القلب، وعلامة ذلك أن تقلَّ الخَطَرَات ويصبح الذكر خالصاً لله تعالى «اعبد الله كأنك تراه»، بهذا الألم يدلُّ على إزالة الوزر والمعاصي عن القلب كما قال ﷺ: **«إنّ القلوب تصدأ كما يصدأ**

---

(1) سورة: القصص، الآية: 76.
(2) سورة: هود، الآية: 6.

الحديد .قيل: فما جلاؤها يا رسول الله؟ قال: كثرة تلاوة كتاب الله، وكثرة الذّكر ﷺ»[1].

* لا تنظر إلى مَن هو أدنى منك، ولكن انظر إلى ربك، وراقب عملك، هل هو موافق أم لا؟ وإذا شرَدَ قلبُك فاستغفر وارجع إلى الله فهو أرحم الراحمين . هذا لا يمكن أن يحصل إلا بالمجاهدة، وترك المعاصي، وكثرة الذكر.

إذا بُني مبدأ الإنسان على الاستقامة فبكثرة الذكر يترقى ويكون مثل المرآة، إذا أصابها وسخ يمسحه حتى يرى صورته فيها، فبدون الأخذ بالأسباب لا يمكن التّرقّي، كما أنه لا يمكن الصعود إلى المئذنة بدرجة واحدة.

* الصادق لا يقول عن نفسه إنّه صادق، بل يتَّقي صدقه.

* إذا كنت تستحي من الله تعالى لا يصدرُ عنك كذب.

* معاني القرآن الكريم التي تأتي إلى القلب أحلى وأكثر مما يُنفل من التفاسير.

* بالصدق يطَّلع الإنسان على عيوب نفسه فيتخلص منها.

* كيف ينتفع المريد من نظر شيخه؟

النظر يجلِبُ سرَّ ما في المرشد إلى المريد . فالله تعالى يعطي الأستاذ قابلية انتقال الفيوضات من سرِّ الربوبية من ذاته إلى ذات المريد . لكن لا بدّ من الأخذ بالتوجيهات والتمسكِ بالكتاب والسنَّة والأخذ بأسباب المحبة، وهي كثيرة لا تُعَدُّ ؛ منها ترجيح أمره والائتمار به، وأن لا يكون له اختيار مع شيخه ـ ما دام الشيخ ملتزماً بالكتاب والسنة في ظاهره وباطنه ـ.

حكم و مواعظ مربيتي حفظهم الله تعالى:

* العلم جاف إذا لم يتلقح بنور الله تعالى عن طريق فهم كتاب الله تعالى ثم

---

(1) أخرجه ابن شاهين .

التطبيق العملي وكثرة ذكر الله تعالى مع محبة العارفين بالله تعالى.

* إذا كان اهتمامنا ما يدخل في بطوننا تكون قيمتنا ما نُخرجه من بطوننا . يجب أن يكون اهتمامنا ما ندخله في قلوبنا من أنوار الله تعالى بمجاهدتنا لأنفسنا وباعتنائنا بعبادة القلب وليس فقط بعبادة الجسد لأن القلب موضع نظر الله والجسد موضع نظر الناس.

* حتى يُعتِقَ الله تعالى عبده من نار جهنم، عليه أن يُعتقَ نفسه أولاً وعليه أن يُقهرها بالخوف من الله تعالى . وأن يسلك بها طريق محبة الله تعالى.

* إذا سكن القلب لذكر الله تعالى خشعت الجوارح.

* ليس المهم كثرة الدعاء بل المهم القلب الطاهر الذي يستنزِل إجابةَ الدعاء.

* عندما تنزل الأنوار الإلٰهية على القلب من كثرة الذكر يفيض القلب بالعطاء الرباني.

* النفس الطاهرة تعالج أخطاء الآخرين وسوء أخلاقهم بحلمها وطهرها فتسمو بهم، كالأرض التي تحول الأوساخ إلى سماد.

* ليست الدعوة بإعطاء الدروس وهز الرؤوس ولكن ببذل المهج والنفوس.

* ما من إنسان يُضيِّع حق البشر إلا وقد أضاع حقَّ الله تعالى.

* المؤمن الحقيقي إذا أخذ الأدوية الربانية ترتقي روحه.

* من شروط تأثر المسلم بالذكر أن يكون على شوق وحب وألم واجتماعٍ مع الله تعالى.

* إذا وُجد الشرك الأكبر انطفأ نور التوحيد ونور الفطرة، وإذا وجد الشرك الأصغر انطفأ نور القلب، وبقدر خفوت نور التوحيد تظهر أمراض العجب والرياء والحسد والحقد.

* لابد للتلميذ من تعب و من مجاهدة النفس لكن لا يُنضجه إلا الحب الصادق.

* في البداية يحتاج التلميذ لكثرة الصحبة (صحبة الله تعالى بكثرة ذكره واتباع

أوامره، وصحبة رسول الله ﷺ باتباع سنته، وصحبة المعلم للانتفاع والأدب) ومن ثمارها الثبات، وفي النهاية يحتاج أيضاً لكثرة الصحبة للترقية، وفي الآخرة إذا لم يكن في الدنيا على مستوى الصحبة لن ينالها في الآخرة.

* عطاء الله تعالى بتجلياته ونفحاته لعباده المؤمنين لا تعد ولا تحصى فكيف للقلب أن يتلقى هذه النفحات إن لم يكن متعرضاً لها.

* من علامة محبة الله تعالى لعبده أن مساحة أعماله الصالحة أكثر من مساحة وقته.

* الروح الشفافة تأتي من الطهارة والنظافة وعدم التعلقات الحسية بهذه الحياة، وبقدر تعلق الإنسان بالماديات بقدر ما يُحجب عن الله تعالى، وهذا الحجاب لا يعني انسلاخه عن الطاعة بل يقوم بظاهر العبادات ولكن يفقد الإحساس بالاستئناس.

* أيهما أقوى بكاء القلوب أم بكاء العيون؟ بكاء القلوب للعارفين وبكاء العيون لطلاب العلم.

* الأعمال التي تشرح الصدور تنوِّر القبور.

الفصل الثاني:
فضل الحب الإلٰهي

الفصل الثاني: فضل الحب الإلٰهي

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾[1].

قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾﴾[2].

أحاديث نبوية

- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إنَّ الله تعالى قال: مَنْ عَادَى لي وَلِيّاً فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالَحْربِ، وَمَا تَقَرَّبَ إليَّ عَبْدي بِشَيءٍ أَحَبَّ إلَيَّ ممَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ وَمَا يَزَالُ عَبْدي يَتَقَرَّبُ إلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَه الَّتي يَبْطِشُ بِها، وَرِجْلَهُ الَّتي يَمْشِي بِها، وَإنْ سَأَلَني، أَعْطَيْتُهُ، ولئِنْ اسْتَعَاذَني لأُعِيذَنَّهُ»**[3].

- عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«إذا أَحَبَّ الله تعالى العَبْدَ، نَادَى جِبْريلَ: إنَّ اللهَ تعالى يُحِبُّ فُلاناً، فَأَحْبِبْهُ، فَيُحِبُّهُ جِبْريلُ، فَيُنَادي في أَهْلِ السَّمَاءِ: إنَّ الله يُحِبُّ فُلاناً، فَأَحِبوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، ثُم يُوْضَعُ له القَبُولُ في الأَرْضِ»**[4].

---

(1) سورة: المائدة، الآية: 54 .

(2) سورة: البقرة، الآية: 165 .

(3) رواه البخاري .

(4) متفق عليه .

محبة الفضيل

حدثني عبد الرحمٰن بن عفان، قال: حدثني محمد بن أيوب، قال: حدثني أبو العباس «خادم الفضيل بن عياض». قال: احتبس بول الفضيل بن عياض فرفع يديه إلى السماء . وقال: اللَّهم بحبي لك إلا أطلقت عني.

قال: فما برحنا ـ أي قمنا من عنده ـ حتى شفي!

استجاب الله دعاءه. . . . حيث تفضل عليه بإطلاق بوله، كما تفضل عليه بما وهبه من محبته العظمى[1] .

❁ ❁ ❁

سكر الكرخي

قال محمد بن عبد الله الخزاعي: حدثنا عبد الله الأنصاريُّ قال: سمعت الحسين الأنصاري يقول: رأيت في النوم كأن القيامة قد قامت وشخص قائم تحت العرش فيقول الحق سبحانه :

«يا ملائكتي من هذا القائم!؟» فقالوا : الله أعلم.

فقال: هذا معروف الكرخي سَكِر من حبِّي، لشدة شوقه إليَّ فلا يفيق من سكرته إلا بلقائي.

وفي بعض الحكايات في مثل هذا المنام أنه قيل: «هذا معروف الكرخي خرج من الدنيا مشتاقاً إلى الله تعالى، فأباح الله تعالى له النظر إليه»[2].

المشتاقون لربهم

قال فارس: قلوب المشتاقين إلى الله منورة بنور الله تعالى فإذا تحرك اشتياقهم إليه ... أضاء النور ما بين السماء و الأرض فيعرضهم الله على الملائكة

---

(1) الرسالة القشيرية .

(2) الرسالة القشيرية .

فيقول لهم: «هؤلاء المشتاقون إليَّ أُشهدكم أني إليهم أشوق وأحبُ».

❁ ❁ ❁

المحب الهائم

قال الأستاذ أبو علي الدقاق: خرج داود عليه السلام يوماً إلى بعض الصحارى منفرداً عن الخلق فأوحى الله إليه: «ما لي أراك يا داود وحدانياً!!».

فقال: إلٰهي قد استأثر الشوق إلى لقائك على قلبي فحال بيني وبين صحبة الخلق.

فأوحى الله سبحانه إليه: «ارجع إليهم فإنك إن أتيتني بعبد منهم أبق أُثْبَتُّكَ في اللوح المحفوظ ـ جُهبذاً ـ » أي: نقَّاداً عارفاً بالجيِّد والرَّديء.

والمعنى الأكمل: أن اشتغال العبد الكامل بإرشاد الغير أفضل من تبتله في العبادة، ويشهد له خير الشهادة النبي ﷺ: «**لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خيرٌ لك من حمر النعم**» والله أعلم.

❁ ❁ ❁

يُعظِّم اسم ربه

قال أبو بكر الرازي: سمعت علي بن موسى التاهرني يقول: وقع من عبد الله ابن مروان فلس في بئرٍ قذرة فاكترى عليه بثلاثة عشر ديناراً حتى أخرجه منها، فقيل له: في ذلك!! فقال: كان عليه اسم الله تعالى فيه.

وفي ذلك تنبيه على كمال تعظيمه لربه حتى عظم ما عليه اسمه.

❁ ❁ ❁

مسامحة العشاق

قال أبا بكر الرازي: سمعت أبا القاسم الجوهري يقول: سمعت أبا علي ممشاد بن سعيد العُكبري يقول: راود خُطاف وهو ما يسمى «عصفور الجنة» خُطافة: فطلب منها أن يواقعها في قبة سليمان عليه السلام فامتنعت عليه، فقال لها:

ـ وسليمان يسمعه ـ : تمتنعين عليَّ وأنا إذا شئتُ قلبتُ القبة على سليمان!؟.

فدعاه سليمان عليه السلام وقال: «ما حملك على ما قلت!؟» مع ما فيه من قلة الأدب . . .

فقال له: يا نبي الله إن العشاق لا يؤاخَذون بأقوالهم لكثرة خطاياهم فيها. فقال له: صدقت.

هذا النوع قد يقع من بعض المحبين ويسمى «الشطح» فلا يؤاخذون به ولا يعدُّ لهم مقاماً ... ولا حالاً.

❀ ❀ ❀

كُشف السر فمات

حكي أن رجلاً اشترى غلاماً فقال الغلام: يا مولاي إن لي معك ثلاثة شروط، أحدها: أن لا تمنعني عن الصلاة المكتوبة إذا جاء وقتها، والثاني: أن تأمرني بالنهار ما شئت ولا تأمرني بالليل، والثالث: أن تجعل لي منزلاً في بيتك لا يدخله غيري.

فقال له الرجل: لك هذه الشروط، ثم قال الرجل: انظر في البيوت، فطاف الغلام فوجد فيها بيتاً خرباً، فقال: أخذتُ هذا، فقال: يا غلام اخترت بيتاً خرباً!؟.

فقال الغلام: يا مولاي أما علمت أن الخراب مع الله بستان؟ فكان يخدم مولاه بالنهار ويتفرغ بالليل لعبادة ربه تعالى، فبينما هو كذلك إذ طاف مولاه ذات ليلة في الدار فبلغ حجرة الغلام، فإذا هي منورة والغلام ساجد وعلى رأسه قنديل من النور معلق بين السماء والأرض، والغلام يناجي ربه ويتضرع ويقول: إلٰهي. . . أوجبت عليَّ حق مولاي وخدمته بالنهار، ولولا ذلك ما اشتغلت ليلي ولا نهاري إلا بخدمتك فاعذرني يا رب، ومولاه ينظر إليه حتى انفجر الصبح ورُدّ القِنديل وانضم سقف البيت فرجع وأخبر امرأته بذلك.

فلما كانت الليلة الثانية أخذ بيد امرأته وجاء إلى باب الحجرة، فإذا الغلام

في السجود والقنديل على رأسه فوقفا على الباب ينظران إليه ويبكيان حتى أصبحا، فدعا الغلام فقال له: أنت عتيق لوجه الله تعالى حتى تتفرغ لعبادة من كنت تعتذر إليه، فرفع الغلام يديه إلى السماء وقال:

يا صاحب السِرَّ إن السِرَّ قد ظهرا ولا أريد حياتي بعد ما اشتهرا

ثم قال: إلٰهي أسألك الموت، فخرَّ الغلام ميتاً[1].

❀ ❀ ❀

الحب الواصل

حكي عن أبي سعيد الخراز أنه قال: رأيت النبي ﷺ في المنام ـ وكان يحب الله ورسوله ـ ولكن محبته لله أكثر. فقلت: يا رسول الله اعذرني فإن محبة الله تعالى شغلتني عن محبتك، فقال لي: «**يا مبارك من أحب الله فقد أحبني**».

محصَّله: أن من ادَّعى محبة الحق تعالى والاشتغال بها عن محبة رسوله ﷺ فدعواه من الزور وأحواله من الغرور، ومحبة الله لا تكون بدون واسطة لقوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾[2].

❀ ❀ ❀

محبة الله تمنعها من تقبيل الصليب

أبو عبد الرحمٰن محمد بن الحسين السلمي قال: سمعت الماليني الصوفي يقول: دخلت على تحية زائراً فسمعتها من داخل البيت وهي تناجي وتقول في مناجاتها: يا من يحبني وأحبه، فدخلت إليها وسلمت عليها وقلت: يا تحية هبي أنك تحبين الله تعالى فمن أين تعلمين أنه يحبك؟

فقالت: إني كنت في بلد النوبة وأبواي كانا نصرانيين وكانت أمي تحملني إلى الكنيسة وتجيء بي عند الصليب وتقول: قبّلي الصليب، فإذا هممت بذلك

(1) مكاشفة القلوب.
(2) سورة: آل عمران، الآية: 31.

أرى كفاً تخرج فترد وجهي حتى لا أُقبِّله، فعلمت أن عنايته بي قديمة.

وهذه كرامة وإعانة لهذه المرأة العابدة لعلمه تعالى بحبها الحق، وميلها إليه وسلامة فطرتها فهداها سبحانه إلى الدين الذي ارتضاه للبشرية جمعاء.

❁ ❁ ❁

حب آسية امرأة فرعون

حكي أن آسية امرأة فرعون كانت تكتم إيمانها من فرعون فلما اطلع فرعون على إيمانها أمر بها أن تعذب، فعذبوها بأنواع العذاب وقال: ارتدِّي، فلم ترتدَّ، فأتى بأوتاد وضربوها على أعضائها ثم قال: ارتدِّي، فقالت: إنك تغلب نفسي وقلبي في عصمة ربي، لو قطعتني إرباً ما ازددت إلا حباً. . . . فمر موسى عليه السلام من جانبها فنادت: يا موسى أخبرني أراضٍ عنِّي ربي أم ساخط؟.

قال موسى عليه السلام: يا آسية ملائكة السمٰوات في انتظارك مشتاقة إليك والله يباهي بك، فاسأليني حاجتك فإنها مقضية فقالت: ﴿رَبِّ ٱبْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾﴾[1].

وعن سلمان رضي الله عنه قال: كانت امرأة فرعون تُعذب بالشمس فإذا انصرفوا عنها أظلتها الملائكة بأجنحتها وكانت ترى بيتها في الجنة[2].

❁ ❁ ❁

(1) سورة: التحريم، الآية: 11 .

(2) مكاشفة القلوب .

الفصل الثالث:

فضل محبة النبي ﷺ



الفصل الثالث: فضل محبة النبي ﷺ

قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[1].

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[2].

أحاديث نبوية

- عَنْ أَبِي هريرة رضي الله عنه، أنَّ رسول الله ﷺ قالَ: «**كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى** .قِيلَ: وَمَنْ يَأْبَى يا رسولَ الله؟

قالَ: مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى»[3].

- عَنْ أبي هريرة رضي الله عنه، عَن النبي ﷺ قالَ: «**دَعُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ إِنَّما أَهْلَكَ مَنْ كانَ قَبْلَكُمْ كَثْرَةُ سُؤالِهِمْ، وَاخْتِلافُهُمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ، فَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شيءٍ فَاجْتَنِبُوهُ، وإذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ**»[4].

- عن بشر الحافي رضي الله عنه قال: «رأيت النبي ﷺ في المنام، فقال: **يا بشر أتدري بمَ رفعك الله من بين أقرانك؟**

قلت: لا يا رسول الله، قال: **بخدمتك للصالحين ونصيحتك لإخوانك ومحبتك لأصحابك وأهل سنتي واتباعك لسنتي**»[5].

---

(1) سورة: آل عمران، الآية: 31 .

(2) سورة: النور، الآية: 51 .

(3) رواه البخاري .

(4) متفق عليه .

(5) مكاشفة القلوب .

ضيف النبي ﷺ

قال ابن الجلاء: دخلتُ المدينة المشرَّفة وبي فاقة فتقدمت إلى القبر وقلت «أنا ضيفك يا نبي الله» فغفوت غفوة، فرأيت النبي ﷺ في نومي قد أعطاني رغيفاً، فأكلت نصفه وانتبهت وبيدي النصف الآخر[1]!!.

❀ ❀ ❀

الصلاة على النبي ﷺ

حُكي عن الشبلي رحمه الله أنه قال:

مات رجل من جيراني فرأيته في المنام فسألته عن حاله فقال: يا شبلي مرت بي أهوال عظام، وذلك لما سُئلت تلجلج لساني عند السؤال منه، فقد جاءني الملكان وأراد أحدهما أن يبادرني بالعذاب، إذا أنا بشخص جميل ما رأيت أجمل منه وجهاً فحال بيني وبينهما.

فقلت له: من أنت؟ من بعد ما لقنني حُجتي ...

فقال: أنا ملك خلقني الله من ثواب الصلاة على النبي ﷺ وأنت كنت تكثر الصلاة على النبي ﷺ وقد جئت لأخلصك بإذن الله من جميع الأحزان ومن عذاب النيران ولا أبارحك حتى أُدخلك الجنة برحمة الله تعالى[2].

❀ ❀ ❀

من أغضب النبي ﷺ يندم

«اللهم سلط عليه كلباً من كلابك».....

روى الطبراني عن قتادة قال: تزوج أم كلثوم بنت رسول الله ﷺ عُتيبة بن أبي لهب فلم يبنِ بها ـ لم يتزوجها بعد ـ حتى بُعث النبي ﷺ فلما نزل قوله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١﴾ قال أبو لهب لابنيه عُتبة وعُتيبة: رأسي

---

(1) بستان الواعظين ورياض السامعين.
(2) حكاية الصوفية.

من رأسيكما حرام إن لم تطلقا ابنتي محمد، ولما طلق عُتيبة أم كلثوم جاء إلى النبي ﷺ حين فارقها.

فقال: كفرت بدينك، أو قال: فارقتُ ابنتك لا تجيئني ولا أجيئك ثم سطا، فشق قميص النبي ﷺ.

فقال النبي ﷺ : **«أما إني أسأل الله أن يسلط عليك كلبه»**.

وفي رواية أخرى أن عُتيبة هذا تفل في وجه رسول الله ﷺ فدعا النبي ﷺ: **«اللهم سلط عليه كلباً من كلابك»**.

يقول الراوي فسرنا حتى نزلنا الشراة ـ وادي بالشام ـ بين دمشق ومدينة رسول الله ﷺ وهي مأسدة ـ أي فيها كثير من الأسود ـ فنزلنا إلى صومعة راهب فقال: يا معشر العرب ما أنزلكم هذه البلاد فإنها تسرح الأسد فيها كما تسرح الغنم.

فقال أبو لهب: إنكم قد عرفتم كِبر سني وحقي وإن هذا ولدي عُتيبة قد دعا عليه محمد دعوة، والله ما آمنها عليه فاجمعوا متاعكم إلى هذه الصومعة وافترشوا لابني عليها ثم افرشوا حولها. ففعلنا، فجاء الأسد فشم وجوهنا فلم يجد ما يريد فوثب فإذا هو فوق المتاع فشم وجه عُتيبة ثم هزمه هزمةً ـ أي ضربه ضربة ـ ففضح رأسه ـ أي قسمه، فقال أبو لهب: قد عرفت أنه لن يفلت من دعوة محمد ﷺ[1].

❀ ❀ ❀

يحمي جثة الرسول ﷺ من السرقة

في ليلة من ليالي سنة (757) هجرية صحا السلطان نور الدين زنكي من نومه في حالة فزع، فقد رأى رسول الله ﷺ في منامه يشير إلى اثنين من الغرباء ويقول له: **«أنجدني. . . . أنقذني من هذين الرجلين»**.

وفي الصباح روى السلطان على حاشيته ما رأى وسألهم ما العمل؟

(١) نهاية الظالمين.

فقالوا: نذهب إلى المدينة المنورة ونبحث ذلك الأمر، ولما ذهبوا طلب السلطان من حاكم المدينة أن يأتيه بأسماء سكانها جميعاً وأن يدعوهم لتحية السلطان.

ووقف السلطان يتفحص وجوه الناس حتى لم يبق أحد، وسأل السلطان: ألم يبق في المدينة أحد لم أره؟

فقالوا: بل هناك رجلان عربيان من أطيب الناس خُلقاً وأكرمهم وأرحمهم وإنهما يتصدقان على الناس و يصليان الليل والنهار، فطلب السلطان أن يأتوا بهما ولما أُحضرا شاهدهما السلطان فوجد أنهما اللذان رآهما في نومه . فأمسك بهما وفتش مسكنهما فوجد على الأرض بساطاً ولما رفع البساط وجد تحته سرداباً طويلاً وبسؤالهما عن ذلك السرداب وسببه اعترفا بأنهما كافران من المغرب وأنهما تقاضيا مبلغاً كبيراً من المال ليخطفا جثة الرسول، فحُوكم الرجلان فحُكما بالإعدام وأمر السلطان بأن يحاط قبر الرسول ﷺ بجدران من الرصاص حتى لا تمتد إليه يدٌ شريرة بعد ذلك[1].



اعشق النبي ﷺ تكن معه

وحكي عن بعضهم أنه قال: رأيتُ في المنام رسول الله ﷺ وحوله جماعة من الفقراء فبينما هم كذلك إذ نزل عليهم من السماء مَلكان وبيد أحدهما طست وبيد الآخر إبريق، فوضع الطست بين يدي رسول الله ﷺ فغسل يده الكريمة من الإبريق ثم أمرَ الملكان بمثل ذلك مع الجماعة حتى غسلوا أيديهم ثم وضع الطست بين يديَّ . فقال أحدهما للآخر لا تصبَّ على يده فإنه ليس منهم . فقلت يا رسول الله: أليس قد رُوي عنك أنَّك قلت: «المرء مع من أحبَّ»[2] فقال: بلى، فقلت: أنا أحبك وأحبُّ هؤلاء الفقراء . فقال ﷺ: «صبَّ على يده فإنَّهُ منهم». ففيه دلالة أن صحبة العبد للأخيار منفعة وإن لم يكن معهم في المنزلة.

❀ ❀ ❀

(1) الرؤيا والأحلام بين العلم والإسلام .
(2) متفق عليه .

حب عجيب

كان طلحة بن البراء غلاماً أنصارياً له من العمر ثلاث عشرة سنة يعيش مع أمه وأبيه وقبيلته في قُباء بجوار المدينة المنورة. وكان أسعد يوم مرَّ عليه في عمره القصير ذلك اليوم الذي رأى فيه رسول الله ﷺ حين نزل في بني عمرو بن عوف بقُباء أثناء هجرته إلى المدينة.

في ذلك اليوم أحسَّ طلحة أن حب هذا النبي قد ملأ عليه قلبه وشعر برغبة شديدة في متابعته على دينه والانضمام إلى جماعته فدعا أبويه لذلك فلم يستجيبا له . وأخذ يعتمل في قلبه صراع عنيف بين أمرين: أيطيع والديه اللذين يحبهما كثيراً، أم يرفض طاعتهما ويذهب إلى النبي ﷺ فيؤثر طاعته ويدخل في دينه؟

ولم يطل عليه هذا الصراع فقد ذهب إلى النبي ﷺ فسلَّم عليه وقال له: أبسط يدك أُبايعك.

فسأله النبي عن أبويه، فأخبره أنهما لا يزالان مشركين فقال النبي ﷺ : **وإن أمرتك بقطيعة والديك؟**

وغلب طلحة حبُّه لوالديه فقال: لا ، ثم انصرف.

فعاد إليه في اليوم التالي وقال له: أبسط يديك أُبايعك . فقال النبي ﷺ: **علامَ؟** فقال طلحة: على الإسلام.

فقال النبي ﷺ : **وإن أمرتك بقطيعة والديك؟**

وللمرة الثانية غلبت طلحة عاطفته اتجاه أبويه. فقال: لا ، ثم انصرف، وبعد أيام عاد طلحة إلى النبي ﷺ ودخل المسجد وسلَّم على النبي ﷺ ثم قال له: أبسط يديك أُبايعك.

ومدَّ النبي يده الشريفة إلى طلحة فبايعه على الإسلام ثم قال له مبيناً سرَّ صنيعه معه: **يا طلحة إنه ليس في ديننا قطيعة رحم، ولكن أحببت أن لا يكون في دينك ريبة.**

مضى على طلحة زمان وإيمانه يزداد كل يوم وأتى النبي ﷺ فسلَّم عليه ثم أكبَّ عليه يلصق بَدَنَهُ بِبَدَنِهِ ويقبّل يديه ورجليه ويقول: يا رسول الله مُرني بما أحببت ولا أعصي لك أمراً.

وعجب النبي ﷺ لهذا الغلام الصغير، وأحبَّ أن يختبره.

فقال له: اذهب فاقتل أباك!.

ولم يراجعه طلحة وخرج سريعاً يريد تنفيذ أمر النبي ﷺ ، وسُرَّ النبي بصدق إيمانهِ وأمر أحد أصحابه أن يردَّه، فخرج وراءهُ سريعاً وقال له: أجب رسول الله، فرجع طلحة للحال، ووقف أمام النبي ﷺ فتبسم له وأمسكه من وسط ذراعيه وهزه برفق وحنان وقال له: **يا طلحة ألم أخبرك أني لم أُبعث بقطيعةِ الرحم!**

وأسلم والدا طلحة فيما بعد وسَعِد بإسلامهما كثيراً وصار يتردد على النبي صباح مساء ويتحمل مشقة المجيء من قُباء والذهاب إليها بسرور بالغ.

مضت أشهر على إسلام طلحة وصحبته للنبي عليه الصلاة والسلام ثم أنه مرض مرضاً شديداً، وألح عليه الوجع فألزمه الفراش وحرمه من الذهاب إلى النبي ﷺ، وفُقد من مجلسه فسأل عنه فأُخبر أنه مريض وأن المرض قد ثقُل عليه.

وأتاه النبي ﷺ يعوده في جماعة من أصحابه وتحمل مشقة المسير إلى قُباء في يوم كان فيه برد وغَيْم، ودخل عليه ولم يشعر طلحة لما كان به من الآلام التي أذهبت وعيه، ورقَّ له النبي ﷺ رقَّة شديدة فقد لمح أمارات الموت في وجهه، ثم قال لأهله: **لا أرى طلحة إلا قد حدث فيه الموت فآذنوني به**[1]، **حتى أشهِّده وأصلي عليه وعجلوه.** ومضى النبي ﷺ راجعاً إلى المدينة وقد جنه الليل.

(1) آذنوني به: أعلموني بوفاته.

وأفاق طلحة من إغمائه في جوف الليل، فقال لأهله: ما عادني النبي ﷺ ؟! فقالوا: بلى وقد أقبل عليك ودعا لك. وقال لنا: أخبروني بما يحدث لطلحة.

وفرح طلحة بهذا النبأ، وقال لأبويه: ما أراني إلا ميتاً، فإذا أنا متُّ فادفنوني وألحقوني بربي ﷻ ولا تدعُوا رسول الله ﷺ في هذه الساعة، فتلسعه دابة أو يصيبه شيء، وإني أخاف عليه من اليهود أو أن يصاب بسببي ولكن إذا فُقدتُ فأقرئوه مني السلام، وقولوا له: فليستغفر لي. ولم تمضِ عليه ساعة حتى قضى رحمه الله وبكاه أهله، ثم قاموا فحفروا له قبراً ثم وارُوه فيه ولم يعلموا النبي ﷺ، عملاً بما وصّاهم به ابنهم، إشفاقاً منهم على رسول الله ﷺ. وبعد صلاة الفجر من تلك الليلة أقبل أحد أقارب طلحة على النبي ﷺ فأخبره بموته، فترحَّم عليه ودعا له ثم ذهب هو وجماعة من أصحابه حتى وقف على قبره فصفَّ الناس خلفه ثم صلّى عليه ودعا له وقال في جملة ما قال: **«اللَّهم الْقَ طلحة تضحك إليه ويضحك إليك»**[1].

❀ ❀ ❀

لبغضه للصحابة ذبح في المنام

ذَكر ابن القيّم عن بعض السَّلف قال: كان لي جارٌ يشتم أبا بكر وعمر رضي الله عنهما فلمّا كان ذات يوم أكثر من شتمهما، فتخاصمت معه فانصرفت إلى منزلي وأنا مغموم حزين فنمت وتركت العَشاء. فرأيت رسول الله ﷺ في المنام فقلت: يا رسول الله فلان يسبُّ أصحابك قال: ومن أصحابي؟ قال: أبو بكر وعمر.

فقال: خذ هذه المدية - السكين - فاذبحه بها، فأخذتها فأضجعته وذبحته ورأيت كأن يدي أصابها من دمهِ، فألقيت المدية وأهويتُ إلى الأرض لأمسحها فانتبهت وأنا أسمع الصراخ من نحو داره فقلت: ما هذا الصراخ؟

قالوا فلان مات فجأة - الذي كان يشتم أبا بكر وعمر رضي الله عنهما - فلما أصبحنا جئت فنظرت إليه فإذا خطٌ موضع الذبح!!

(1) قصص من حياة الرسول ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم.

قال أبو أيوب السختياني :

«من أحبَّ أبا بكر فقد أقام منار الدين، ومن أحبَّ عمر أوضح السبيل، ومن أحبَّ عثمان استنار بنور الله، ومن أحبَّ علياً فقد استمسك بالعروة الوثقى، ومن قال الخير في أصحاب رسول الله ﷺ فقد برء من النفاق»[1].

❀ ❀ ❀

صغار ينتقمون لنبيِّهم

يحدثنا عبد الرحمٰن بن عوف ﷺ فيما يرويه البخاري ـ في صحيحه ـ وهو في قلب معركة بدر، فيقول: وقف غلامٌ على يميني يسألُني: يا عمَّ! دلَّني على أبي جهل، فيقول له: وما لكَ يا بنيَّ من أبي جهل؟ فيقول له: والله إن رأيته فلن أفلته لقد كان يؤذي رسول الله ﷺ، ثم غلاماً على يساري فسألني مثل الأول. ثم تحتدم المعركة ويشتد بأسها فيلتفت عبد الرحمٰن بن عوف إلى الغلامين ويقول لهما: ذاك الذي تبغيان، ذلك أبو جهل، فينطلقان مسرعين بسيوفهما الصغيرة كلٌّ منهما يريد أن ينال شرف السبق في طعن عدوٌ الله ورسوله، فيضربانه ضربةً قوية، فيسقط أبو جهل على الأرض فيتسابقان إلى زفّ البِشارة إلى رسول الله ﷺ ويقول كلُّ واحدٍ منهما: أنا الذي قتلته يا رسول الله، فيقول لهما رسول الله ﷺ : «**أرياني سيوفكما**» فيرى عليهما آثار الدماء فيقول لهما: «**كلاكما قتله**»[2].

❀ ❀ ❀

صبر العلماء على طلب العلم

اجتمع في الديار المصرية محمد بن نصر ومحمد بن جرير، ومحمد بن المنذر فجلسوا يكتبون الحديث ولم يكن عندهم في ذلك اليوم شيء يأكلونه، فاقترعوا فيما بينهم من يسعى لهم في شيء يأكلونه ليدفعوا عنهم ضرورته فجاءت

---

(1) ابن القيم عن القيروان في كتاب (البستان) .
(2) منهج التربية النبوية للطفل .

القرعة على واحد منهم فنهض إلى الصلاة، وجعل يصلّي ويدعو الله، وذلك في وقت القيلولة فرأى نائب مصر وهو نائم وقت القيلولة رسول الله ﷺ يقول له: **«أنت هنا والمحمدون ليس عندهم شيء يقتاتونه»** - يأكلونه - فانتبه الأمير من منامه. فسأل من هنا من المحمدين؟ فذكر عنده الثلاثة، فأرسل إليهم في الساعة بألف دينار[1].



(1) من أخلاق العلماء، ص: 34، ط الشعب.

الفصل الرابع: من معجزات الرسول الكريم ﷺ

الفصل الرابع: من معجزات الرسول الكريم ﷺ

تقدم أبو جهل ليطأ الرسول ﷺ ثم رجع خائفاً

أراد أبو جهل ـ لعنه الله ـ أن يطأ على رقبة رسول الله ﷺ وهو يُصلي، فلما تقدم إليه رجع بسرعة لأنه رأى بينه وبين النبي ﷺ حجاباً مانعاً بينه وبين ما يُريد.

قال أبو هريرة رضي الله عنه: قال أبو جهل ـ لكفار قريش ـ : هل يُعفِّر محمد وجهه بين أظهركم[1]؟. قالوا: نعم. قال: واللات والعُزى لئن رأيته يُصلي كذلك لأطأن على رقبته ولأُعفِّرن وجهه في التراب. فأتى رسول الله ﷺ وهو يُصلي ليطأ على رقبته، فرجع بسرعة شديدة، فما جاءهم منه إلا وهو ينكص على عقبيه ويتقي بيديه قال: فقيل له: ما لك؟ فقال: إن بيني وبينه خندقاً من نار وهولاً وأجنحة، قال: فقال رسول الله ﷺ : «**لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضواً عضواً**»[2].

وأنزل الله ﷻ في هذا الموقف قوله: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ۝٩ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ۝١٠ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ۝١١ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ۝١٢ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١٣ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ۝١٤ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ۝١٥ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ۝١٦ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ۝١٧ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ۝١٨ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩ ۝١٩﴾[3].

﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ﴾ :أي أبو جهل ـ لعنه الله ـ ﴿عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ﴾ أي: محمد ﴿أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ﴾ أي: ما ظنك إن كان هذا الذي تنهاه على الطريق المستقيمة في فعله ﴿أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ﴾ أي: يأمر بالتقوى بفعله وأنت تنهاه وتتوعده على صلاته ولهذا قال: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ﴾ أي: ما علم هذا الناهي لهذا

---

(1) أي: كيف يسجد محمد لربه وأنتم ساكتون لا تمنعونه.

(2) رواه البخاري مختصراً، ومسلم والترمذي والنسائي وابن جرير.

(3) سورة: العلق، الآيات: 9 ـ 19.

المهتدي أن الله يراه ويسمع كلامه وسيجازيه على فعله أتم الجزاء.

ثم قال تعالى متوعداً ومتهدداً: ﴿كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ﴾ أي: لئن لم يرجع عما هو فيه من الشقاق والعناد ﴿لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ﴾ أي: لنضربنه على ناصيته أو لنسوِّدن ناصيته. ﴿نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾ يعني: ناصية أبي جهل ـ عليه لعائن الله ـ كاذبة في مقالها خاطئة في أفعالها. ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾ أي: قومه وعشيرته، أي: ليدعهم ليستنصر بهم هل يقدرون أن يمنعوا عنه العقاب والعذاب وأي عذاب وعقاب؟! ﴿سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ﴾: وهم ملائكة العذاب حتى يعلم من يغلب أحزابنا أم حزبه، ﴿كَلَّا لَا تُطِعْهُ﴾ يعني: يا محمد لا تُطعه فيما ينهاك عنه من المداومة على العبادة وكثرتها وصلِّ حيث شئت ولا تُباله، فإن الله حافظك وناصرك، وهو يعصمك من الناس[1]. ﴿وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب﴾ أي: اسجد لربك، واقترب منه بالطاعة.

❁ ❁ ❁

جالس أمامها ولا تراه!

روت أسماء بنت أبي بكر ـ رضي الله تعالى عنها ـ قالت: لما نزلت: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾ جاءت العوراء أم جميل ولها ولولة وفي يدها فهر وهي تقول: مُذمماً أبينا، ودينه قلينا، وأمره عصينا، ورسول الله ﷺ جالس، وأبو بكر إلى جنبه، فقال أبو بكر ﷺ: لقد أقبلت هذه، وأنا أخاف أن تراك. فقال رسول الله ﷺ: «إنها لن تراني» وقرأ قرآناً اعتصم به منها: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾﴾[2].

قال: فجاءت حتى قامت على أبي بكر، فلم ترَ النبي ﷺ. فقالت: يا أبا بكر بلغني أن صاحبك هجاني، فقال أبو بكر: لا وربِّ هذا البيت ما هجاك[3]. قال: فانصرفت وهي تقول: لقد علمت قريش أني بنت سيدها[4].

❁ ❁ ❁

(1) انظر تفسير ابن كثير سورة: العلق ـ باختصار.
(2) سورة: الإسراء، الآية: 45.
(3) أي: أنه حكى ما قاله ربه، وما كان هذا كلامه، وإنما هو كلام ربه تعالى فلم يكن هاجياً لك.
(4) رواه أبو يعلى، وسكت عليه ابن كثير (3/ 43).

شلت يده

«رأى النبي ﷺ رجلاً يأكل بشماله فقال له: «**كُل بيمينك**» قال: لا أستطيع، قال: «**لا استطعت**» قال الراوي: فما رفعها إلى فيه[1]»[2].

❁ ❁ ❁

الشجرة تنتقل من مكانها ثم ترجع

ومن معجزاته ﷺ المتعلقة بالنبات: انقياد الشجر له.

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: جاء جبريل إلى رسول الله ﷺ ذات يوم وهو جالس حزين قد خُضب[3] بالدماء من ضربة بعض أهل مكة قال: فقال له: «ما لك؟ قال: **فعل بي هؤلاء وفعلوا** .قال له جبريل: أتحب أن أُريك آية؟ فقال: نعم . قال: فنظر إلى شجرة من وراء الوادي فقال: ادعُ تلك الشجرة، فدعاها . قال: فجاءت تمشي حتى قامت بين يديه . فقال: مرها فلترجع، فأمرها، فرجعت إلى مكانها فقال رسول الله ﷺ :**حسبي**[4]»[5].

❁ ❁ ❁

انقياد الشجرتين والتصاقهما ثم رجوعهما

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: سرنا مع النبي ﷺ حتى نزلنا وادياً أفْيح فذهب رسول الله ﷺ يقضي حاجته، فاتبعته بإداوة من ماء فنظر فلم يرَ شيئاً يستتر به، وإذا شجرتان بشاطئ الوادي فانطلق إلى إحداهما فأخذ بغصن من أغصانها، وقال :«**انقادي عليَّ بإذن الله**»، فانقادت معه كالبعير المخشوش الذي يصانع قائده حتى أتى الشجرة الأخرى فأخذ بغصن من أغصانها وقال: «**انقادي عليَّ**

---

(1) فيه: فمه .
(2) رواه مسلم في الأشربة .
(3) خُضب: ملأت الدماء رأسه .
(4) حسبي: يكفيني اطمئناناً .
(5) صحيح: أخرجه أحمد في مسنده (ج: 3 ص: 113)، ورواه ابن ماجه في سننه كتاب: الفتن، رقم: (4028)، وقال في مجمع الزوائد: هذا إسناد صحيح إن كان أبو سفيان واسمه طلحة بن نافع سمع من جابر، وقال ابن كثير في البداية (6/ 135): إسناده على شرط مسلم .

بإذن الله»، فانقادت معه كالبعير المخشوش الذي يصانع قائده، حتى إذا كان بالمنتصف[1] فيما بينهما... لأَمَ[2] بينهما وقال: «**التئما عليَّ بإذن الله فالتأمتا**».

قال جابر: فخرجت أحضِر مخافة أن يحس بقربي فيبعد، فجلست أحدِّث نفسي فحانت مني لفتة، فإذا برسول الله مُقبل، وإذ الشجرتان قد افترقتا وقامت كل واحدة منهما على ساق، فرأيت رسول الله ﷺ وقف وقفة وقال: برأسه هكذا يميناً وشمالاً[3]. أي أمر الشجرتين بالرجوع إلى مكانها بعد أن قضى حاجته فرجعت كل شجرة إلى مكانها كما كانت.

❀ ❀ ❀

الماء ينبع من بين أصابع النبي ﷺ

ومن المعجزات المتعلقة بالجماد: نبع الماء من بين أصابعه ﷺ.

قال أنس بن مالك رضي الله عنه: «رأيت رسول الله ﷺ وحانت صلاة العصر، والتمس الناس الوضوء فلم يجدوه، فأتى رسول الله ﷺ بوضوء، فوضع رسول الله ﷺ يده في ذلك الإناء فأمر الناس أن يتوضؤوا منه، فرأيت الماء ينبع من تحت أصابعه، فتوضأ الناس حتى توضؤوا من عند آخرهم»[4] [5].

وفي رواية: «كانوا ثمانين»[6].

وفي رواية: «كانوا ثلاثمائة»[7].

❀ ❀ ❀

(1) بالمنتصف: أي وسطهما.
(2) لأم: جمع وضم.
(3) رواه مسلم.
(4) أي توضؤوا جميعاً.
(5) صحيح: رواه البخاري في: المناقب، رقم: (3573)، ومسلم في: الفضائل، والنسائي في: الطهارة، والترمذي في: المناقب.
(6) أخرجه البخاري في: المناقب باب: علامات النبوة.
(7) أخرجه البخاري في: المناقب باب: علامات النبوة.

(1400) يشربون من بئر لا ماء فيها

قال البراء بن عازب رضي الله عنه كنا يوم الحديبية أربع عشر مائة (1400)، والحُديبية بئر فنزحناها حتى لم نترك فيها قطرة، فجلس رسول الله ﷺ على شفير البئر، فدعا بماء فمضمض ومج في البئر فمكثنا غير بعيد ثم استقينا حتى روينا أو صدرت ركابنا[1].

❀ ❀ ❀

حنين الجذع

ومن معجزاته ﷺ المتعلقة بالجماد حنين الجذع شوقاً له.

فعن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يقوم يوم الجمعة إلى شجرة نخلة، فقالت امرأة من الأنصار، أو رجل: يا رسول الله! ألا نجعل لك منبراً؟ قال: «**إن شئتم فاجعلوه**» فجعلوا له منبراً، فلما كان يوم الجمعة ذهب إلى المنبر فصاحت النخلة صياح الصبي، فنزل رسول الله ﷺ فضمها إليه، وكانت تئن أنين الصبي الذي يُسكته. قال: «**كانت تبكي على ما كانت تسمع من الذكر عندها**»[2].

* وعن الطفيل بن أُبيّ بن كعب عن أبيه قال: كان النبي ﷺ يُصلي إلى جذع إذ كان المسجد عريشاً، وكان يخطب إلى ذلك الجذع فقال رجل من أصحابه: يا رسول الله هل لك أن نجعل لك منبراً تقوم عليه يوم الجمعة، وتُسمع الناس يوم الجمعة خطبتك؟ قال: «**نعم**» فلما صُنِع المنبر وضُع موضعه الذي وضعه فيه رسول الله ﷺ، بدأ النبي ﷺ أن يقوم على ذلك المنبر فيخطب عليه، فمرَّ إليه فلمَّا جاوز ذلك الجذع الذي كان يخطب إليه خار حتى تصدَّع وانشق، فنزل النبي ﷺ لما سمع صوت الجذع، فمسحه بيده، ثم رجع إلى المنبر، فلما هُدِم المسجد أخذ ذلك الجذع أُبيّ بن كعب، فكان عنده في بيته حتى بَلي، وأكلته الأرضَةَ[3] وعاد رُفاتاً.

❀ ❀ ❀

(1) صحيح: رواه البخاري في: المغازي، باب: غزوة الحديبية، رقم: (4150) (7/ 441) فتح.
(2) صحيح: أخرجه البخاري.
(3) الأرضة: دويبة صغيرة تأكل الخشب.

زاد أولاده عن المائة، وزاد عمره عن المائة وزاد ماله عن المائة ألف بسبب دعاء النبي ﷺ

إنه أنس بن مالك رضي الله عنه ولنستمع إليه يُحدثنا عن ذلك فيقول: جاءت أم سليم وهي أم أنس رضي الله عنهما إلى رسول الله ﷺ وقد أزرتني بخمارها وردَّتني ببعضه. فقالت: يا رسول الله هذا أُنيس أتيتك به يخدمك فادع الله له قال: «**اللَّهم أكثر ماله وولده**»[1].

وفي لفظ: «**اللَّهم أكثر ماله وولده وأطِل عمره واغفر له**».

قال أنس: فوالله إنَّ مالي لكثير، وإنَّ ولدي، وولد ولدي يتعادون على نحو المائة.

قال: وحدثتني ابنتي أُمَيْنة أنه قد دفن من صلبي إلى مقدم الحجاج البصرة: تسعة وعشرون ومائة.

وروى الترمذي وغيره أنَّ أنس بن مالك رضي الله عنه خدم رسول الله ﷺ عشر سنين، ودعا له، وكان له بستان يحمل في السنة الفاكهة مرتين، وكان فيها ريحان يجيء منها ريح المسك[2]. وفي رواية قال: دفنت من صلبي مائة وعشرين وإن ثمرتي لتحمل في السنة مرَّتين، ولقد بقيت حتى سئمت الحياة، وأرجو الرابعة. فولده إذن يزيدون على المائة وأمَّا عمره فقد مات وعمره مائة عام وقيل عشر ومائة، وكانت وفاته سنة ثلاث وتسعين على الراجح. وأما ماله فقد كانت السحابة تمطر في أول أرضه ولا تمطر في آخرها لعظم مساحة أرضه.

❀ ❀ ❀

لم يدفن في الأرض

عن أنس رضي الله عنه أنَّ رجلاً كان يكتب للنبي ﷺ وكان قد قرأ البقرة وآل عمران، وكان الرجل إذا قرأ البقرة وآل عمران عز فينا ـ يعني عظم ـ فكان

---

(1) صحيح: أخرجه البخاري في: الدعوات، رقم: (6334ـ 6344).

(2) حسن: أخرجه الترمذي في: المناقب، رقم: (3833) وقال: حديث حسن.

رسول الله ﷺ يُملي عليه غفوراً رحيماً، فيكتب عليماً حكيماً، فيقول له النبي ﷺ: «**اكتب كذا وكذا**» فيقول: أكتب كيف شئت، ويُملي عليه: عليماً حكيماً، فيكتب: سميعاً بصيراً، فيقول له النبي ﷺ : «**اكتب كذا وكذا**»: فيقول: أكتب كيف شئت.

قال: فارتد ذلك الرجل عن الإسلام فلحق بالمشركين وقال: أنا أعلمكم بمحمد، وإني كنت لا أكتب إلا ما شئت فمات ذلك الرجل، فقال النبي ﷺ : «**إن الأرض لا تقبله**».

قال أنس: فحدثني أبو طلحة أنه أتى الأرض التي مات فيها ذلك الرجل فوجده منبوذاً، فقال أبو طلحة: ما شأن هذا الرجل؟ قالوا: قد دفناه مراراً فلم تقبله الأرض[1].

❁ ❁ ❁

بعضُ معجزات النبي ﷺ

كان من معجزاته في ردِّ الشمس له ﷺ فروي عن أسماء بنت عُميسٍ رضي الله عنها: أن النبي ﷺ كان يُوحي إليه ورأسه في حجر عليٍّ رضي الله عنه ، فلم يُصل العصر، حتى غربت الشمس، فقال رسول الله ﷺ : «**أصليت يا عليُّ**» ؟ قال: لا، فقال رسول الله ﷺ: «**اللَّهم إنه كان في طاعتك وطاعة رسولك، فارْدُدْ عليه الشمس**» ! قالت أسماء: فرأيتها غربت، ثم رأيتها طلعت بعدما غربت، ووقعت على الجبال والأرض، وذلك بالصهباء في خيبر . حكاه القاضي عياض في الشفاء عن الطحاوي . ورواه عنها الطبراني في معجمه الكبير، وأخرجه عنها ابن منده وابن شاهين وأخرجه ابن مردويه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

❁ ❁ ❁

(1) صحيح: أخرجه أحمد (3/ 120 ـ 121)، ورواه البخاري في: كتاب المناقب، باب: علامات النبوة، رقم: (3617) بلفظ آخر، وقال ابن كثير عن رواية أحمد صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجوه، انظر البداية والنهاية (6/ 190) .

وأما ما روي من طاعات الجمادات وتكليمها له ﷺ ، بالتسبيح والسلام ونحو ذلك، مما وردت به الأخبار، فمنها تسبيح الطعام والحصى في كفه الشريف ﷺ ؛ ففي حديث أبي ذر قال: «تناول النبي ﷺ سبع حصيات، فسبحنَ في يده حتى سمعت لهنَّ حنيناً، ثم وضعهُنَّ في يد أبي بكر فسبحن، ثم وضعهُنَّ في يدِ عمر فسبَّحن، ثم وضعهُنَّ في يد عثمان فسبحنَ» . رواه البزار والطبراني وفي رواية الطبراني: فسمع تسبيحهنَّ من في الحلقة، ثم دفعهنَّ إلينا فلم يُسبحنَ مع أحد منَّا.

❀ ❀ ❀

وروى الترمذي وغيره: عن عليٍّ رضي الله عنه قال: كنت أمشي مع النبي ﷺ بمكة، فخرجنا في بعض نواحيها، فما استقبلته شجر ولا حجر إلا قال: السلام عليك يا رسول الله!!.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لمَّا اجتمع المشركون إلى رسول الله ﷺ ، منهم الوليد ابن المغيرة، وأبو جهل بن هشام، والعاص بن وائل، والأسود بن المطلب، والنضر ابن الحارث ونظراؤهم فقالوا للنبي ﷺ : إن كنت صادقاً فشق لنا القمر فرقتين فسأل ربه فانشق! . رواه أبو نُعيم . ورواه البخاري مختصراً من حديث ابن عباس بلفظ: إن القمر انشق على عهد رسول الله ﷺ!.

وفي الترمذي: من حديث ابن عمر في قوله تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝﴾[1] قال: قد كان ذلك على عهد رسول الله ﷺ انشق فلقتين، فلقةً دون الجبل، وفلقةٌ خلف الجبل، فقال رسول الله ﷺ: «**اشهدوا**»!!!.

❀ ❀ ❀

ومن ذلك كلامه للجبل، وكلام الجبل له ﷺ ، عن أنس رضي الله عنه قال: صعد النبي ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان أُحداً، فرجف بهم فضربهُ النبي ﷺ برجلهِ، وقال: «**اثبت أُحد، فإنما عليك نبي، وصديقٌ وشهيدان**» ! . رواه البخاري وغيره، وأُحد: جبل بالمدينة، وهو الذي قال فيه ﷺ : «**أُحد جبل يُحبنا ونحبه**» رواه البخاري ومسلم وروي تعدد القصة في جبل ثبير وجبل حِراء بمكة.

---

(1) سورة: القمر الآية: 1 .

وأخرج الحاكم عن ابن عمر ﷺ قال: كنا مع النبي ﷺ فأقبل أعرابي، فلما دنا منه قال له رسول الله ﷺ : «**أين تريد؟** قال: إلى أهلي، قال: **هل لك إلى خير؟** قال: وما هو؟ قال: **تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبدهُ ورسوله!** قال: هل لك من شاهد على ما تقول؟ قال رسول الله ﷺ: «**هذه الشجرة!** فدعاها رسول الله ﷺ وهي بشاطئ الوادي، فأقبلت تخدُّ[1] الأرض خدّاً، فقامت بين يديه، فاستشهدها ثلاثاً فشهدت ثم رجعت إلى منبتها!» رواه الحاكم وغيره.

❀ ❀ ❀

أُصيبت يوم أُحد عينُ قَتادة بن النعمان، حتى وقعت على وجنته فأتى به إلى النبي ﷺ ، فقال: يا رسول الله! إن لي امرأة أحبها، وأخشى إن رأتني تقذرني، فأخذها رسول الله ﷺ بيده، وردها إلى موضعها! وقال: «**اللَّهم اكسه جمالاً**»، فكانت أحسن عينيه وأَحَدَّهُمَا نظراً! وكانت لا ترمد إذا رمدت الأخرى.

❀ ❀ ❀

وفي البخاري في غزوة خيبر: أنه ﷺ قال: **أين علي بن أبي طالب؟** فقالوا: إنه يا رسول الله يشتكي عينيه، قال: **فأرسلوا إليه**، فأتى به فبصق رسول الله ﷺ في عينيه ودعا له فبرأ، حتى كأن لم يكن به وجع!

وفي رواية مسلم: عن إياس بن سلمة عن أبيه قال: فأرسلني النبي ﷺ فجئت به، أقوده أرمد، فبصق في عينيه فبرأ!

وعند الطبراني: عن علي: فما اشتكيتهما، حتى الساعة!

قال: ودعا لي رسول الله ﷺ : «**اللَّهم أذهب عنه الحَرَّ، والقَرَّ**»، قال: فما اشتكيتهما حتى يومي هذا!!.

❀ ❀ ❀

---

(1) تخد: تشق الأرض.

سيدنا محمد ﷺ وإبراهيم عليه السلام ....

وأما ما أُعطيه إبراهيم عليه السلام من مقام الخُلة، فقد أُعطيهُ نبينا عليه الصلاة والسلام، وزاد بمقام المحبة، وقد رُوي في حديث الشفاعة أن الخليل إبراهيم عليه السلام إذا قيل له: اتخذك الله خليلاً فاشفع لنا، قال: إنما كنت خليلاً من وراء وراء، اذهبوا إلى غيري إلى أن تنتهي الشفاعة إلى النبي ﷺ ، فيقول: «**أنا لها أنا لها**»! وهذا يدل على أن نبينا عليه الصلاة والسلام كان خليلاً مع رفع الحجاب، وكشف الغطاء، ولو كان خليلاً من وراء وراء لاعتذر، كما اعتذر إبراهيم عليهما الصلاة والسلام.

❁ ❁ ❁

ومما أُعطيه إبراهيم عليه السلام ، انفرادهُ في أهل الأرض بعبادةِ الله تعالى، وتوحيده وكسرِ الأصنام، وقد أُعطي سيدنا ونبينا محمد ﷺ كسرها بقضيب ليس مما يكسر، إلا بقُدرة إلٰهية حينما دخل مكة، وحول البيت ثلاثمائةٍ وستون صنماً، فجعل يطعنها بعود في يده ويقول ﷺ: «**قُلْ جَاءَ الحَقُّ وَزَهَقَ البَاطِلُ إِنَّ البَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً**» حتى سقطت. رواه الشيخان.

❁ ❁ ❁

سيدنا محمد ﷺ وموسى عليه عليه السلام ....

وأما ما أعطيه موسى عليه السلام ، من قلب العصا حية غير ناطقة فقد أُعطي سيدنا محمد ﷺ حنين الجذع، وقد مرت قصته.

وأما ما أُعطيه موسى عليه السلام من اليد البيضاء، وكان بياضها يُغشي البصر، فأعطي سيدنا محمد ﷺ ، أنه لم يزل نوراً ينتقل في أصلاب الآباء وبطون الأمهات من لدن آدم، إلى أن انتقل إلى عبد الله، أبيه.

❁ ❁ ❁

وأخرج البيهقي وصححه الحاكم ؛ عن أنس قال: كان عَبَّادُ بن بشر وأسيد بن حضير، عند رسول الله ﷺ في حاجة حتى ذهب من الليل ساعة وهي ليلة شديدة

الظلمة، ثم خرجا وبيد كل واحد منهما عصا، فأضاءت لهما عصا أحدهما، فمشيا في ضوئها حتى إذا افترقت بهما الطريق أضاءت للآخر عصاهُ، فمشى كل واحد منهما في ضوء عصاه حتى بلغ هديَه. رواه البخاري بنحوه في الصحيح.

❀ ❀ ❀

ومما أُعطيهُ موسى عليه السلام، انفلاق البحر له، وقد أُعطي نبينا ﷺ انشقاق القمر - كما مَرَّ - فموسى تصرَّف في عالم الأرض، وسيدنا محمد ﷺ تصرَّف في عالم السماء.

ومما أُعطيه موسى عليه السلام، تفجير الماء له من الحجارة، وقد أُعطي سيدنا محمد ﷺ أن الماء تفجر من بين أصابعه وهذا أبلغُ لأن الحجر من جنس الأرض التي ينبعُ منها الماء، ولم تجرِ العادة بنبع الماء من اللحم.

❀ ❀ ❀

سيدنا محمد ﷺ وهارون عليه السلام....

ومما أُعطيه هارون عليه الصلاة والسلام، فصاحة اللسان، وقد كان نبينا ﷺ من الفصاحة والبلاغة، بالمحل الأفضل، والموضع الذي لا يُجهلُ.

سيدنا محمد ﷺ ويوسف عليه السلام...

وأما ما أعطيه يوسف عليه الصلاة والسلام، من شطر الحسن، فقد أُعطي نبينا ﷺ الحُسنَ كُلَّهُ.

❀ ❀ ❀

سيدنا محمد ﷺ وداود عليه السلام.....

وأما ما أُعطيه داود عليه الصلاة والسلام، من تليين الحديد له، فكان إذا مسح الحديد لاَنَ، فقد أُعطي نبينا ﷺ أن العود اليابس اخضرَّ في يده وأورق، ومسح ﷺ شاة أم معبدٍ الجرباءَ، فبرأت وَدَرَّتْ!!.

❀ ❀ ❀

سيدنا محمد ﷺ وسُليمان عليه السلام . . . .

وأما ما أُعطيهُ سُليمان عليه الصلاة والسلام، من كلام الطير وتسخير الشياطين والريح، والملك الذي لم يُعطَه أحد من بَعده، فقد أُعطي سيدنا محمد ﷺ مثل ذلك وزيادة، وأما منطق الطير والوحش، فنبيُّنا ﷺ كَلمه الحجر، وسبح في كفه الحصى، وهو جماد، وكلمه ذراع الشاةِ المسمومةُ، وكلمه الظبيُ، وشكا إليه البعيرُ!!.

❀ ❀ ❀

ورُوي أنَّ طيراً فُجعَ بولده، فجعل يُرفرف على رأسه ﷺ ويكلمه، فيقول: «**أَيُكم فَجَعَ هذا بولدِهِ**»؟ فقال الرجل: أنا. فقال ﷺ: «**ارددْ وَلَدَهُ**» .ذكره الرازي ورواهُ أبو داود . وقصّةُ كلام الذئب مشهورة.

وأما الريح التي كانت غُدوّها شهرٌ، ورواحها شهرٌ، تحملهُ حيث أراد من أقطار الأرض، فقد أعطي سيدنا محمد ﷺ البُراق الذي هو أسرع من الريح، بل أسرع من البرق الخاطف، فحمله من الفراش إلى العرش[1] في ساعة زمانيةٍ وأقلُّ مسافةِ ذلك سبعةُ آلاف سنةٍ، وتلك مَسافة السمٰوات، وأيضاً فالريح سُخرت لسُليمان لتحمله إلى نواحي الأرض، ونبينا ﷺ زُوِيَتْ له الأرض ـ أي جُمعت ـ حتى رَأى مشارقها ومغاربها، وفرق بين من يسعى إلى الأرض، وبين من تسعى له الأرض.

❀ ❀ ❀

وأما ما أُعطيه من تسخير الشياطين، فقد رُوي أن شيطاناً اعترض سيدنا محمد ﷺ وهو في الصلاة، فأمكنه الله منه، وربطهُ بساريةٍ من سَواري المسجد، وخيرٌ مما أُتيه سُليمان من ذلك، إيمان الجن بمحمد ﷺ.

وأما عدُّ الجن من جنود سُليمان في قوله تعالى: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ﴾[2] فخير منه عدُّ الملائكة جبريل ومن معه من جملة أجناده عليه الصلاة

(1) لم يصل رسول الله ﷺ إلى العرش، وإنما وصل إلى سدرة المنتهى كما في النص القرآن الكريم، وعندها جنة المأوى، وقد ثبت أن العرش سقف الجنة .

والسلام، باعتبار الجهاد تكثير السواد على طريق الأجناد.

❁ ❁ ❁

وأما عدُّ الطير من جملة أجنادِهِ، فأعجب منه حمامةُ الغار وتوكيرها في الساعة الواحدة، وحمايتُها له من عدوه، والغرض من استكثار الجند إنما هو الحماية، وقد حصلت بأيسر شيء.

وأما ما أعطيهُ من الملك فنبينا ﷺ خُيِّرَ بين أن يكون نبياً مَلِكاً، أو يكون عبداً، فاختار ﷺ أن يكون نبياً عبداً!!.

❁ ❁ ❁

سيدنا محمد ﷺ وعيسى عليه السلام ....

وأما ما أعطيه عيسى عليه الصلاة والسلام، من إبراء الأكمه والأبرص، وإحياء الموتى، فقد أُعطي سيدنا محمد ﷺ ، أنه ردَّ العين إلى مكانها، بعدما سقطت، فعادت أحسن ما كانت!.

❁ ❁ ❁

(1) سورة: النمل، الآية: 17 .

الفصل الخامس:
فضل أخلاق الصالحين



الفصل الخامس: فضل أخلاق الصالحين

أخلاق الصالحين

قال الله تعالى: ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ۗ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾﴾[1].

قال الله تعالى: ﴿وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[2].

أحاديث نبوية

* عَن أبِي هريرة رضي الله عنه عَنِ النَبي ﷺ قال: «أَكْمَلُ المُؤْمِنِيْنَ إِيمَاناً أَحْسَنُهُمْ خُلُقاً وَخِيَارُكُمْ خِيَارُكُمْ لِنِسَائِهِمْ»[3].

* عَنْ أبِي الدَرْدَاء رضي الله عنه أن النَبِي ﷺ قال: «مَا مِنْ شيء أَثْقَلُ فِي مِيْزَانِ المُؤمِنْ يَومَ القِيامَةِ مِنْ حُسْنِ الخُلُقِ، وإِنَّ اللهَ يَبْغَضُ الفَاحِشَ البَذِيءَ[4]»[5].

عظماء بأخلاقهم

خلق من الجنة:

قيل تزوج رجل بامرأة، فقبل الدخول ظهر بالمرأة مرض الجدري. فقال الرجل: اشتكت عيني.

---

(1) سورة: البقرة، الآية: 263.

(2) سورة: آل عمران، الآية: 134.

(3) رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح.

(4) البَذِيُّ: هو الذي يتكلم بالفحش ورديء الكلام.

(5) رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح.

ثم قال: عَمِيتْ عيني لطفاً بها في نفي الحزن عنها بظهوره على ما بها من الجدري.

فزفَّت إليه المرأة، ثم ماتت بعد عشرين سنة وهو فيها يوهم المرأة أنه أعمى، لئلا تحزن.ففتح الرجل عينيه بعد موتها، فقيل له في ذلك!! فقال: لم أعمَ ولكن تعاميت حذراً من أن تحزن.

فقيل له لكمال مروءته وشفقته على الخلق: قد سبقت الفتيان ـ أي سبقت أهل المروءة ـ.

هذا يشبه ما وقع لحاتم الأصم لما جاءته المرأة تستفتيه، فخرج منها ريح في حال كلامها معه، فاستحيت وتداركها وجبر حالها فقال لها: ارفعي صوتك حتى أسمع ما تقولين! ففرحت لكونه لم يسمعها، لذلك سُميَّ «بالأصم»[1].

❁ ❁ ❁

خلق وكرم

قيل: إن رجلاً من الحجيج نام بالمدينة المشرفة فتوهم أن هيمانه ـ كيسه ـ سُرق، فخرج فرأى جعفر الصادق ... وهو لا يعرفه!! فتعلق به، وقال له: أنت أخذت هِيماني؟

فقال له: ما الذي كان في داخله؟

فقال: ألف دينار، فأدخله داره ووزن له ألف دينار.

فرجع الرجل إلى منزله ودخل بيته فرأى هيمانه في بيته وكان قد توهم أنه حمله معه على عادته من حرصه عليه وأنه سُرق منه. فخرج إلى جعفر معتذراً مستغفراً مما جرى منه وردَّ عليه الدنانير فأبى أن يقبلها، وقال: شيء أخرجته من يدي لله تعالى ... لا أستردُّه.

(1) الرسالة القشيرية.

فقال الرجل: من هذا؟! فقيل: جعفر بن محمد الصادق.

وفي ذلك دلالة على كرم جعفر الصادق وحفظه لمروءته وصيانته لعرضه وإعانته للملهوف وشفقته على عباد الله.

❁ ❁ ❁

سارقة الكرخي

يقال نزل معروف الكرخيُّ دجلة ليتوضأ ووضع مصحفه ومِلحفته على شاطئ دجلة، فجاءت امرأة واستغفلته وحملتهما ومضت بهما، فتبعها معروف برفق.

وقال لها: يا أختي، أنا معروف ولا بأس عليك من جهتي، ألك ابن يقرأ القرآن؟! قالت له: لا.

قال: فزوج كذلك؟! فقالت: لا، فقال: فهاتِ المصحف وخذي الثوب.

وذلك لغلبةِ ظنه أنها ما أخذتهما إلا لحاجة! ففيه حسن الظنِّ بالمسلمين أنهم يأخذون من أموال الناس ما دعت حاجتهم إليه.

❁ ❁ ❁

يستر على سارقه

دخل اللصوص مرة دار الشيخ أبي عبد الرحمٰن السُلَّمي رحمه الله وحملوا ما وجدوا فيها من الأموال، فسمعت بعض أصحابنا يقول: سمعت الشيخ أبا عبد الرحمٰن يقول: مررت مرَّة بالسوق فرأيت جُبتي على من يزيد[1] فيها ليشتريها فأعرضت عنه ولم ألتفت إليه...

فقد فعل ذلك إمَّا ستراً على سارقها، أو لكونه كان احتسبها عند الله لمَّا سُرقت فكره أن يرجع فيما تركه لله.

❁ ❁ ❁

(1) وهو ما يسمى المزاد العلني وقد فعله النبي ﷺ.

يقبل القبيح

قيل كان لعبد الله الخياط حزيف ـ زبون ـ مجوسي يخيط له ثياباً ويدفع إليه بدل خياطته دراهم زيوفاً ـ أي مزيفة ـ وكان عبد الله يأخذها منه.

فاتفق له أنه قام من حانوته يوماً لشغل، فجاء المجوسي بالدراهم الزيُّوف فدفعها إلى تلميذه فلم يقبلها، فدفع إليه الصِحاح، فلما رجع عبد الله إلى حانوته، قال لتلميذه: أين قميص المجوسي؟! فذكر له القصة. فقال: بئسما عملت!! إنه منذ مدة يعاملني بمثلها وأنا أصبر عليه وآخذها منه وألقيها في بئر لئلا يغترَّ بها غيري.

❀ ❀ ❀

المهدي يستر على امرأة

قال أحمد بن مهديِّ بن رستم: جاءتني امرأة ببغداد فقالت: أكرهت على نفسي[1] وأنا حُبلى وذكرتُ للناس أنك زوجي وأنَّ الحمل منك فلا تفضحني، استرني سترك الله تعالى. قال: فوضعت، فجاء إمام المحلة في جماعة الجيران يهنِّئونني بالولد فأظهرت لهم التهلل ووزنت دينارين ودفعتهما إلى الإمام وقلت أبلغ هذا إلى المرأة فلتنفقه على المولود فإنه سبق ما فرَّق بيني وبينها ـ أي أنه قد طلقها ـ فكنت أدفع كل شهرين دينارين إلى أن أتى على ذلك سنتان ثم توفيَّ المولود، فجاءني الناس يُعزونني فكنتُ أُظهر لهم التسليم والرضا، فجاءتني المرأة ومعها الدنانير فردَّتها، وقالت: سترك الله كما سترتني.

فقلت: هذه الدنانير كانت صلة للمولود وهي لك لأنكِ كنت تربيه[2].

❀ ❀ ❀

(1) أكرهت على نفسي: اغتصبها أحد ما.

(2) أحاسن المحاسن.

طلق خمس نسوة لسوء خُلقه

قال الأصمعي: قلت للرشيد يوماً: بلغني يا أمير المؤمنين أن رجلاً من العرب طلق في يوم خمس نسوة.

قال: إنما يجوز ملك الرجل على أربع نسوة، فكيف طلق خمساً؟

قال: كان لرجل أربع نسوة فدخل عليهنَّ يوماً فوجدهنَّ متلاحيات متنازعات، وكان سيئ الخلق.

فقال: إلى متى هذا التنازع؟ ما أخال هذا الأمر إلا من قبلك، يقول ذلك لامرأة منهنَّ، اذهبي فأنت طالق.

فقالت له صاحبتها: عجلت عليها بالطلاق، ولو أدبتها بغير ذلك لكنت حقيقاً، فقال لها: وأنت أيضاً طالق.

فقالت له الثالثة: قبحك الله، فوالله لقد كانتا إليك محسنتين وعليك مفضلتين، فقال: وأنت أيتها المعددة أياديهما طالق أيضاً.

فقالت له الرابعة: ـ وكانت هلالية[1] وفيها أناة شديدة ـ ضاق صدرك عن أن تؤدب نساءك إلا بالطلاق.

فقال لها: وأنت طالق أيضاً.

وكان ذلك بمسمع جارة له: فأشرفت عليه وقد سمعت كلامه.

فقالت: والله ما شهدت العرب عليك وعلى قومك بالضعف إلا لما بلوه منكم ووجدوه فيكم، أبيت إلا طلاق نسائك في ساعة واحدة.

قال: وأنت أيضاً أيتها المؤنبة المتكلفة طالق إن أجاز زوجك.

فأجابه من داخل بيته: هيه، قد أجزت، قد أجزت!![2].

❀ ❀ ❀

(1) هلالية: من بني هلال.
(2) دولة النساء (سمير المؤمنات).

التواضع من الأخلاق

بلغ عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه أنَّ ابناً له اشترى فصًا - خاتم - يلبسه بألف درهم، فكتب إليه عمر: بلغني أنك اشتريت فصاً بألف درهم فهذا حال المتكبرين!! فإذا أتاك كتابي هذا فبع الخاتم وأشبع بثمنه ألف بطن، فإنه أفضل لك عند الله واتخذ خاتماً من درهمين فأقلَّ، واجعل فصَّه حديداً صينياً - نسبةً إلى بلد الصين - وذلك لأنه أثبتُ للنقش عليه لصلابته واكتب عليه:

«رحم الله امرءاً عرف قدر نفسه» لتتذكر كلما رأيته قدرها وتتواضع لربِّك[1].

خُلق معن بن زائدة

يروى في كتب الأدب أن معن بن زائدة، كان أميراً على العراق وكان حليماً كريماً يُضرب به المثل فيهما، فتقدم إليه أعرابي ممتحن حلمه فقال له:

أتذكرُ إذْ لحافكَ جلدَ شاةٍ وإذ نعلاكَ من جلدِ البعير

قال: نعم، أذكر ذلك ولا أنساه.

فقال:

فسبحانَ الذي أعطاكَ مُلكاً وعلمكَ الجلوس على السرير

قال: سبحانه و تعالى.

قال:

فلستُ مُسَلِّماً إن عشتُ دهراً على معنٍ بتسليمِ الأمير

قال: يا أخا العرب، السلام سنة.

قال:

سأرحلُ عن بلادٍ أنت فيها ولو جارَ الزمان على الفقير

قال: يا أخا العرب إن جاورتنا فمرحباً بك، وإن رحلتَ فمصحوباً بالسلامة.

---

(1) الرسالة القشيرية.

قال :

فـجـدْ لـي يـا بـن نـاقـصـةٍ بـشـيء فـإنـي قـد عـزمـتُ عـلـى الـمـسـيـرِ

قال: أعطوه ألف دينار يستعين بها على سفره، فأخذها وقال :

قـلـيـلٌ مـا أتـيـتَ بـه وإنـي لأطـمـعُ مـنـك بـالـمـالِ الـكـثـيـر

قال: أعطوه ألفاً أُخرى فأخذها.

وقال :

سـألـتُ الله أن يـبـقـيـك ذخـراً فـمـا لـكَ فـي الـبـريـة مـن نـظـيـرِ

فقال: أعطوه ألفاً أُخرى.

فقال الأعرابي: أيها الأمير ما جئت إلا مختبراً حلمك لما بلغني عنك، فلقد جمع الله فيك من الحلم ما لو قُسم على أهل الأرض لكفاهم.

فقال معن: يا غلام، كم أعطيته على نظمه؟

فقال: ثلاثة آلاف دينار.

فقال: أعطه على نثره مثلها، فأخذها ومضى في طريقه شاكراً[1].

❀ ❀ ❀

الخديعة ليست من الأخلاق

قال المغيرة بن شعبة ﷺ لم يخدعني سوى رجل من بني الحرث بن كعب فإني ذكرت امرأة منهم لأتزوجها.

فقال: أيها الأمير لا خير لك فيها . فقلت: ولمَ؟

قال: رأيت رجلاً يُقبِّلها، فأعرضت عنها، فتزوجها الرجل فلمته وقلت له: ألم تخبرني بأنك رأيت رجلاً يُقبّلها . قال: نعم. رأيت أباها يُقبِّلها[1].

❀ ❀ ❀

---

(1) موسوعة الخطباء المرشدين.

الأخلاق عند الأولياء

حُكي أن بعضهم جاء إلى بعض المشايخ وخدمه . وقال له: أريد أن تعلمني الاسم الأعظم.

فقال له: وفيك أهلية؟ قال: نعم.

قال: اذهب إلى باب البلد ثم أخبرني بما جرى فيه.

فذهب وجلس على باب البلد، فإذا بشيخ حطاب معه حطب على حمار فضربه جندي وأخذ حطبه ظلماً، فلما رجع الرجل إلى الشيخ وأخبره بالقصة، قال له الشيخ: لو كنت تعلم الاسم الأعظم ما تصنع بالجندي؟

قال: كنت أدعو عليه بالهلاك.

فقال له الشيخ: اعلم أن الحطاب هو الذي علمني الاسم الأعظم، واعلم أن الاسم الأعظم لا يصلح إلا لمن يكون على هذه الصفة من الصبر والرحمة على الخَلق والشفقة عليهم(1).

❁ ❁ ❁

الوفاء العجيب

عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ : «أنه ذكر رجلاً من بني إسرائيل سأل بعض بني إسرائيل أن يسلفه ألف دينار فقال: ائتني بالشهداء أشهدهم: فقال: كفى بالله شهيداً. قال: فائتني بكفيل، فقال: كفى بالله كفيلاً، قال: قد صدقت.

فدفعها إليه إلى أجل مسمًّى فخرج للبحر فقضى حاجته، ثم التمس مركباً يقدم عليه للأجل الذي أجله فلم يجد مركباً فأخذ خشبة، فنقرها، فأدخل فيها ألف دينار وصحيفة منه إلى صاحبه، ثم زجج موضعها ثم أتى بها البحر، فقال: اللّهم إنك تعلم أني كنت تسلفت فلاناً ألف دينار، فسألني كفيلاً، فقلت: كفى

(1) موسوعة الخطباء والمرشدين .

كفى بالله كفيلاً، وسألني شهيداً، فقلت: كفى بالله شهيداً.

وإني قد جهدت أن أجد مركباً أن أبعث إليه الذي له، فلم أقدر وإني استودعتها فرمى بها في البحر، حتى ولجت[1] فيه ثم انصرف وهو في ذلك يلتمس مركباً يخرج إلى بلده فخرج الرجل الذي كان أسلفه ينظر لعل مركباً قد جاء بماله، فإذا بالخشبة التي فيها المال، فأخذها لأهله حطباً، فلما نشرها وجد المال والصحيفة، ثم قدم الذي كان أسلفه فأتى بالألف دينار وقال: والله ما زلت جاهداً في طلب مركب لآتيك بمالك فما وجدت مركباً قبل الذي أتيت فيه.

قال: فإن الله قد أدى عنك الذي بعثت به في الخشبة، فانصرف بالألف دينار راشداً»[2].

❁ ❁ ❁

جريمة في الجاهلية

روي أن رجلاً من أصحاب النبي ﷺ كان لا يزال مغتماً بين يدي رسول الله ﷺ، فقال له رسول الله ﷺ «**ما لك تكون محزوناً**».

فقال: يا رسول الله إني أذنبت ذنباً في الجاهلية فأخاف أن لا يغفر الله وإن أسلمت، فقال له رسول الله ﷺ: «**أخبرني عن ذلك**»، فقال: يا رسول الله إني كنت من الذين يقتلون بناتهم فولدت لي بنتاً، فتشفعت لي امرأتي أن أتركها، فتركتها حتى كبرت وصارت من أجمل النساء، فخطبوها، فدخلتني الحمية ولم يتحمل قلبي أن أزوجها أو أتركها في البيت بغير زوج، فقلت لامرأتي إني أريد أن أذهب إلى قبيلة كذا وكذا في زيارة أقربائي فابعثيها معي، فسُرت بذلك وزينتها بالحُلى والثياب، وأخذت عليَّ المواثيق بألا أخونها، فذهبت بها إلى رأس بئر فنظرت في البئر ففطنت ابنتي أني أريد أن ألقيها في البئر، فالتزمتني وجعلت تبكي

(1) وَلجت: دخلت ونزلت.
(2) أخرجه البخاري: (2291).

وتقول: يا أبتِ أي شيء تريد أن تفعل بي؟ فرحمتها، ثم نظرت في البئر، فدخلت عليَّ الحمية. ثم التزمتني، وجعلت تقول: يا أبتِ لا تضيع أمانة أمي، فجعلت مرة أنظر في البئر ومرة أنظر إليها فأرحمها، حتى غلبني الشيطان فأخذتها فألقيتها في البئر منكوسة وهي تنادي في البئر: يا أبتِ قتلتني! فمكثت هناك حتى انقطع صوتها فرجعت.

فبكى رسول الله ﷺ ثم قال: «**لو أمرت أن أعاقب أحداً بما فعل في الجاهلية لعاقبتك**».

❀ ❀ ❀

من أخلاق المأمون

حُكي عن القاضي يحيى بن أكثم قال: كنت نائماً ذات ليلة عند المأمون فعطش، فامتنع أن يصيح بغلام يسقيه وأنا نائم فانتبهت من نومي، فرأيته وقد قام يمشي على أطراف أصابعه، حتى أتى مشربه وبينه وبين المكان الذي فيه الكيزان نحو ثلثمائة خطوة فأخذ منه فشرب، ثم رجع على أطراف أصابعه، حتى قرب من الفراش فخطا خطوات خفيفة كيلا ينبهني حتى صار إلى فراشه.

ثم رأيته آخر الليل وقد قام لقضاء الحاجة وكان يقوم أول الليل وآخره، ولما أتى الفجر قعد طويلاً منتظراً أن أتحرك فيصيح، فلما تحركت وثب قائماً وصاح: يا غلام و تأهب للصلاة ثم جاءني فقال لي: كيف أصبحت يا أبا محمد؟ وكيف كان مبيتك؟ قلت: خير مبيت، جعلني الله فداءك يا أمير المؤمنين، قد حبب الله إليك سيرة الأنبياء، فهنأك الله تعالى بهذه النفحة وأتمها. وكنت معه يوماً في بستان فجعلنا نمر بالريحان فيأخذ من الطاقة[1] والطاقتين، ويقول لقَيِّم البستان: أصلح هذا الحوض، في هذا الحوض شيء من البقول.

قال يحيى: ومشينا في البستان من أوله إلى آخره، وكنت أمشي مما يلي الشمس والمأمون مما يلي الظل، فكان يجذبني لأتحول أنا في الظل وهو في

---

(1) الطاقة: الحزمة من ريحان، أو زهر.

الشمس، فأمتنع عن ذلك حتى بلغنا آخر البستان.

قال يحيى: لتكونَنَّ في مكاني، ولأكونن في مكانك، فقلت: والله يا أمير المؤمنين، لو قدرت يوم الهول أفديك بنفسي لفعلت فلم يزل بي حتى تحولت إلى الظل، وهو إلى الشمس، وقال: إنه لا خير في صحبة من لا يُنصِف.



الفصل السادس:
فضل عظمة القرآن



الفصل السادس: فضل عظمة القرآن

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾﴾[1].

قال الله تعالى ﴿وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾﴾[2].

أحاديث نبوية

* عَن عَائِشَة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ «**الَّذِي يَقْرَأُ القُرْآنَ وَهُوَ مَاهِرٌ بِهِ[3] مَعَ السَّفَرَةِ الكِرامِ البَرَرَةِ، وَالَّذِي يَقْرَأُ القُرْآنَ وَيَتَتَعْتَعُ فِيهِ وَهُوَ عَلِيهِ شَاقٌّ لَهُ أَجْرَان**»[4].

* عَنْ ابِنَ عمر رضي الله عنهما عَن النبي ﷺ قال: «**لاَ حَسَدَ[5] إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ القُرآنَ، فَهُوَ يَقُومُ بِهِ آنَاءَ[6] اللّيل وَآنَاءَ النَّهَارِ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالاً فَهُوَ يُنْفِقَهُ آنَاءَ اللّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ**»[7].

أعزهم القرآن

وُلد توأمين: الحسن وعلي، وكانا وأُمهما قد جزأوا الليل ثلاثة أجزاء يقومُ

---

(1) سورة: الإسراء، الآية: 45 .

(2) سورة: النمل، الآية: 92 .

(3) ماهر به: أي مجيد لفظه بحيث لا يتشابه ولا يقف في قراءته .

(4) متفق عليه .

(5) لا حسد: أي لا غبطة .

(6) آناء: أي الساعات .

(7) متفق عليه .

عليٌّ الثلثَ والحسنُ الثلث وأُمُّهما الثلث، فماتت أُمُّهما فجزّءا الليل بينهما يقومان به حتى الصباح، ثم مات عليٌّ فقام به الحسن كله فكان يختم القرآن كل ليلة.

قال الحسن: قال لي أخي (عليٌّ) في الليلة التي توفي فيها: اسقني ماء وكنت أصلي ... فلما قضيتُ صلاتي أتيتهُ.

فقلت: هذا ماء. قال: قد شربتُ الساعة.

قلت: ومن سقاك وليس في الغرفة غيري؟

قال: أتاني جبرائيل الساعة بماءٍ فسقاني وقال: وأنت وأخوك وأبوك وأمك مع الذين أنعمَ عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وخرجت روحهُ.

كان الحسن يقال له: حيَّةُ الوادي لأنه لا ينام الليل وكان يقول: إني لأستحي من الله تعالى أن أنام تكلفاً.

قال أبو سليمان الداراني: ما رأيت أحداً الخوفُ أظهر على وجهه والخشوع من الحسن.

قال ليلة بعمَّ يتساءلون بآية فيها، ثم غشيَ عليه ثم عاد إليها فغشيَ عليه حتى طلع الفجر[1].

❀ ❀ ❀

بالقرآن أكل من الجنة

أبو بكر بن عيَّاش الكوفي المحدث:

قال أبو بكر عيَّاش: أتيت زمزم فاستسقيتُ منها عسلاً وأتيتها فاستسقيتُ منها لبناً، فاستسقيتُ منها ماءً.

ولمَّا كبُر كان يقول للملكين رقيب وعتيد: يا ملكيَّ طالت صحبتي لكما، فإن كان لكما عند الله شفاعة فاستشفعا لي. ولم يُفرش له فِراش خمسين سنة ولم يضع جنبهُ إلى الأرض أربعين سنة.

---

(1) أحاسن المحاسن.

ولما حضرته الوفاة بكت أختهُ فقال لها: ما يبكيكِ وقد ختمَ أخوك في هذه الزاوية ثمانية عشر ألف ختمة؟

وبكى ابنه فقال: ما يبكيكَ؟ أترى الله تعالى يضيِّعُ لأبيك أربعين سنة يختمُ القرآن كل ليلة؟

وقال الهيثم بن خارجة: رأيت أبا بكر العيَّاش في النوم أمامهُ طبق رُطب، فقلت: ألا تدعونا إليه وقد كنت سخيًّا على الطعام؟

قال: يا هيثم، هنا طعامُ أهل الجنة لا يأكله أهل الدنيا.

قلت: وبمَ نلت هذا؟

قال: تسألني عن هذا، وقد مضت عليَّ ست وثمانون سنة أختمُ في كل ليلة فيها القرآن[1].

❀ ❀ ❀

عتاب من القرآن

قيل رأى أيوب السختيانيُّ جنازة عاصٍ فدخل دهليزاً واختفى فيه لئلا يحتاج إلى الصلاة عليها! ورأى أن هذا الميت فيمن ينبغي لأهل الدين أن لا يصلُّوا عليه، زجراً لأمثاله عن المعصية.

فرأى بعضهم الميِّت في المنام، فقال له: ما فعل الله بك؟ فقال: غفر لي.

وقال لي: قل لأيوب السختياني: ﴿قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّيٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ﴾[2].

فيه بينة على سعة رحمة الله وجواز مغفرته للكبائر من الذنوب غير الشرك لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾[3] وأن الله يعاتب أحبابه بكلامه[4].

❀ ❀ ❀

(1) أحاسن المحاسن.
(2) سورة: الإسراء، الآية: 100.
(3) سورة: النساء، الآية: 48.
(4) الرسالة القشيرية.

مغفرة باقتداء

قيل دخل الحسن البصريُّ مسجداً ليصليَّ فيه المغرب مع جماعة فوجد إمامهم حبيباً العجميَّ ولم يسمع قراءته ولكن نُقل إليه أنه يُلحن فيها!! فلم يُصلِّ خلفه، لأنه خاف أن يُلحن لحناً يضرُّ بالصلاة لعُجمةٍ كانت في لسانه!!

فرأى في المنام في تلك الليلة قائلاً يقول له: لمَ لمْ تُصلِّ خلفه، لو صلَّيتَ خلفه لغفر لك ما تقدم من ذنبك، لأن صلاته كانت صحيحة، وكان فيها من الحضور والخشوع و التذلُّل بين يدي الله تعالى ما تزيد فضيلتهُ على ذلك اللحن اليسير الذي لا يضرُّ[1].

❀ ❀ ❀

غلبة الفقهاء

الانتصار العلمي

يُحكى أن بعض العلماء في العراق كانوا يحقدون على الإمام الشافعي لأنه تربع على قلوب طلاب العلم، ولذلك اتفقوا على تحضير بعض الأسئلة المعقدة في أسلوب الألغاز حتى يختبروا ذكاءه، أمام الخليفة الرشيد، وهذه الأسئلة هي :

السؤال الأول: ما قولك في رجل ذبح شاة في منزله ثم خرج لحاجة وعاد، فقال لأهله: كلوا أنتم الشاة، فقد حُرِّمَتْ عليَّ؟ فقال أهله: ونحن حرمت علينا كذلك.

إجابة السؤال الأول: إن هذا الرجل كان مشركاً، فذبح الشاة على اسم الأنصاب وخرج من منزله لبعض المهمات فهداه الله تعالى إلى الإسلام وأسلم فحرمت عليه الشاة، وعندما علم أهله بإسلامه أسلموا هم أيضاً فحرمت عليهم الشاة كذلك.

السؤال الثاني: ما قولك في رجل هرب له غلام، فقال: هو حر إن أكلت الطعام حتى أجده فكيف المخرج له عما قال؟

(1) الرسالة القشيرية .

إجابة السؤال الثاني: يهب الغلام لبعض أولاده ثم يأكل، ثم بعد ذلك يسترد ما وهب.

السؤال الثالث: شرب مسلمان عاقلان خُران الخمر يُحَدّ أحدهما و لا يحد الآخر؟

إجابة السؤال الثالث: إن أحدهما كان بالغاً و الآخر كان صبياً.

السؤال الرابع: لقيت امرأتان غلامين فقالتا: مرحباً يا ابنينا وزوجينا وابني زوجينا؟

إجابة السؤال الرابع: إن الغلامين كانا ابني امرأتين فتزوجت كل واحدة منهن بابن صاحبتها، فكان الغلامان ابنيهما وزوجيهما وابني زوجيهما.

السؤال الخامس: أخذ رجل قدح ماء ليشرب فشرب نصفه حلالاً وحرم عليه بقية ما في القدح.

إجابة السؤال الخامس: إن الرجل شرب نصف القدح ورعَفَ ـ أي تساقط الدم الأسود من أنفه ـ في الماء الباقي في القدح فاختلط الدم بالماء فصار محرماً عليه.

السؤال السادس: زنى خمسة نفر بامرأة، فوجب على أولهم القتل، وثانيهم الرجم، وثالثهم الجلد، ورابعهم نصف الحد، وخامسهم لا شيء عليه.

إجابة السؤال السادس: استحل الأول الزنا فصار مرتداً فوجب عليه القتل، والثاني كان محصناً متزوجاً، والثالث كان غير محصن، والرابع كان عبداً، والخامس كان مجنوناً.

السؤال السابع: رجل صلى ولما سلّم عن يمينه طُلِّقت زوجته، ولما سلم عن يساره بطلت صلاته ولما نظر إلى السماء وجب عليه دفع ألف درهم؟

إجابة السؤال السابع: لما سلم الرجل عن يمينه رأى شخصاً تزوج هو ـ المصلي ـ امرأته في بيته، فلما رآه حضر طلقت منه، ولما نظر عن شماله رأى نجاسة في ثوبه فبطلت صلاته، ولما نظر إلى الهلال وقد ظهر في السماء وكان

عليه دَيْن ألف درهم يستحق سداده في أول الشهر من ظهور الهلال.

السؤال الثامن: كان إمام يصلي مع أربعة نفر في المسجد فدخل عليهم رجل وصلى عن يمين الإمام فلما سلم الإمام عن يمينه ورأى ذلك الرجل وجب على الإمام القتل وعلى المصلين الأربعة الجلد ووجب هدم المسجد إلى أساسه.

إجابة السؤال الثامن: إن الرجل كانت له زوجة وسافر وتركها في بيت أخيه فقتل الإمام هذا الرجل وادعى أن المرأة كانت زوجة المقتول، فتزوج منها وشهد على ذلك الأربعة المصلون وأن المسجد كان بيتاً للمقتول، فجعله الإمام مسجداً.

السؤال التاسع: أعطى رجل لامرأته كيساً مملوءاً مختوماً وطلب إليها أن تُفرغ ما فيه بشرط ألا تفتحه، أو تفتقه، أو تكسر ختمه، أو تحرقه، وهي إن فعلت شيئاً من ذلك فهي طالق.

إجابة السؤال التاسع: إن الكيس كان مملوءاً بالسكر أو الملح، وما على المرأة إلا أن تضعه في الماء فيذوب ما فيه.

السؤال العاشر: رأى رجل وامرأة غلامين في الطريق فقبلاهما ولما سئلا عن ذلك قال الرجل: أبي جدهما، وأخي عمهما، زوجتي امرأة أبيهما، وقالت المرأة: أمي جدتهما، وأختي خالتهما؟

إجابة السؤال العاشر: إن الرجل كان أب الغلامين، والمرأة أمهما.

... فأعجب الرشيد بالشافعي، فقال: لله درُّ[1] بني عبد مناف، فقد بنيت فأحسنت، وفسرت فأبلغت، وعبرت فأفصحت.

فقال الشافعي: أطال الله عُمر أمير المؤمنين إني سائل هؤلاء العلماء في مسألة فإن أجابوا عليها فالحمد لله، و إلا فأرجو أمير المؤمنين أن يكف عني شرهم.

فقال الرشيد: لك ذلك وسلهم ما تريد يا شافعي.

---

(1) لله دَرُّه: لله ما خرج منه من خير، وهي تُقال عند المدح والتعجب.

فقال لهم: مات رجل عن 600 درهم فلم تنل أخته من هذه التركة إلا درهماً واحداً فكيف كان النظر في توزيع التركة؟

فنظر بعضهم إلى بعض ولم يستطيعوا الجواب، فقال الرشيد: قل لهم الجواب يا شافعي.

فقال الشافعي: مات هذا الرجل عن ابنتين، وأم، وزوجة واثني عشر أخاً وأختاً، فأخذت البنتان الثلثين وهما 400 درهم وأخذت الزوجة الثُّمُن وهو 75 درهم، وأخذت الأم السدس وهو 100 درهم، وأخذ الإخوة الاثنا عشر 24 درهماً، بقي درهم واحد أخذته الأخت.

فتبسم الرشيد وقال: أكثر الله في أهلي منك، وأمر بألفي دينار فتسلمها الشافعي ووزعها على خدم القصر وحاشيته[1].

شيطانان

التقى شيطان المؤمن وشيطان الكافر فإذا شيطان الكافر دهين سمين كاسٍ، وشيطان المسلم مهزول أشعث أغبر عارٍ.

فقال شيطان الكافر لشيطان المؤمن: ما لك مهزولاً؟

فقال: أنا مع رجل إذا أكل سَمَّى الله فأظل جائعاً، وإذا شرب سمى الله فأظل عطشاناً، وإذا لبس سمى الله فأظل عرياناً، وإذا دهن سمى الله فأظل شعثاً.

فقال: ولكني على رجل لا يفعل شيئاً من ذلك فأنا أشاركه في طعامه وشرابه ولباسه.

❀ ❀ ❀

(1) الوصايا، ص: 536، 537، ج1 ،بتصرف .

الفصل السابع:
فضل الدعاء



الفصل السابع: فضل الدعاء

الله يحب الدعاء

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِى وَلْيُؤْمِنُوا بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾[1].

قال الله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾﴾[2].

أحاديث نبوية

* عَنْ أَبِي الدَرداء ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَقُول: «**دَعْوَةُ المَرْءِ المُسْلِمِ لأَخِيْهِ بِظَهْرِ الغَيْبِ مُسْتَجَابَةٌ، عِنْدَ رَأسِهِ مَلَكٌ مُوَكَّلٌ كُلَّمَا دَعَا لأَخِيْهِ[3] بِخَيْرٍ قَالَ المَلَكُ المُوَكَّلُ بِهِ: آمِيْنَ وَلَكَ بِمِثْلٍ**»[4].

* وَعَنْ عُبَادَةَ بن الصَامت ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**مَا عَلَى الأَرضِ مُسْلِمٌ يَدْعُو اللهَ تَعَالَى بِدَعْوَةٍ إِلَّا آتَاهُ اللهُ إِيَّاهَا، أَوْ صَرَفَ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ مِثْلَهَا مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْم، أَوْ قَطِيْعَةِ رَحِمٍ**» فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ القَوْمِ: إِذَا نُكْثِرُ[5]، قَالَ: «**الله أَكْثَرُ**[6]»[7].

❀ ❀ ❀

---

(1) سورة: البقرة، الآية: 186 .

(2) سورة: إبراهيم، الآية: 39 .

(3) لأخِيْهِ: أي في الإسلام .

(4) رواه مسلم .

(5) إذا نُكْثِرُ: أي من الدعاء .

(6) الله أَكْثَرُ: أي أكثر إحساناً مما تسألون .

(7) رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح .

جعل الله قبرها تحت قدمها

في زمن بني أمية وقعت بسعيد بن زيد ـ أحد العشرة المبشرين بالجنة ـ حادثة ظل أهل يثرب يتحدثون بها زمناً طويلاً.

ذلك أن أروى بنت أويس زعمت أن سعيد بن زيد قد غصب شيئاً من أرضها وضمها إلى أرضه وجعلت تتحدث بهذا الأمر بين المسلمين، ثم رفعت أمرها إلى مروان بن الحكم والي المدينة فأرسل إليه مروان أُناساً يكلمونه في ذلك، فصعب الأمر على صاحب رسول الله ﷺ وقال: يرونني أظلمها!! كيف أظلمها؟! وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«من ظلم شبراً من الأرض طوقه يوم القيامة من سبع أرضين»**[1].

اللَّهم إنها قد زعمت أني ظلمتها فإن كانت كاذبة فأعم بصرها وألقها في بئرها الذي تنازعني فيه، وأظهر من حقي نوراً يُبِّين للمسلمين أَني لم أظلمها.

فلم يمضِ غير قليل حتى سال العقيق[2] بسيل لم يَسِل مثله قط، فكشف عن الحدِّ الذي كانا يختلفان فيه، وظهر للمسلمين أن سعيداً كان صادقاً.

ولم تلبث المرأة بعد ذلك شهراً حتى عميت وبينما هي تطوف في أرضها تلك سقطت في بئرها.

قال عبد الله بن عمر: فكنا ونحن غلمان نسمع الرجل يقول للرجل أعماك الله كما أعمى الأروى[3].

الله ينصر المظلوم

قال بعضهم: رأيت رجلاً مقطوع اليد من الكتف وهو ينادي: من رآني فلا يظلمنَّ أحداً، فتقدمت فقلت له: يا أخي ما قصتك؟ قال: يا أخي قصتي عجيبة، رأيت يوماً صياداً وقد اصطاد سمكة كبيرة فأعجبتني، فجئت إليه فقلت: أعطني هذه السمكة.

---

(1) حديث صحيح رواه مسلم في: باب: تحريم الظلم.
(2) العقيق: وادي في المدينة يجري فيه السيل.
(3) في كتاب الكبائر للذهبي.

فقال: لا أعطيكها حتى آخذ ثمنُها قوتاً لعيالي، فضربته وأخذتها منه قهراً ومضيت بها.

قال: فبينما أنا أمشي بها حاملها إذا عضت على إبهامي عضة قوية، فلما جئت بها إلى بيتي وألقيتها من يدي وإبهامي تؤلمني ألماً شديداً حتى لم أنم من شدة الوجع والألم و وَرِمَتْ يدي، فلما أصبحت أتيت الطبيب وشكوت إليه الألم فقال: هذه بدء الآكلة[1] اقطعها و إلا قطعت يدك، فقطعت إبهامي، ثم ضربت عليَّ يدي فلم أطق النوم من شدة الألم، فقيل لي: اقطع كفك، فقطعته، وانتشر الألم إلى الساعد وآلمني ألماً شديداً فقيل لي: اقطعها إلى المرفق، فقطعتها، فانتشر الألم إلى العضد أشد من الألم الأول فقيل: اقطع يدك من كتفك و إلا سرى إلى جسدك كله فقطعتها، فقال لي بعض الناس: ما سبب ألمك؟ فذكرت قصة السمكة.

فقال لي: لو كنت رجعت إلى صاحب السمكة واستحللت منه ما أصابك الألم وما قُطِع من أعضائك عضو، فاذهب الآن إليه واطلب رضاه قبل أن يصل الألم إلى بدنك.

قال: فلم أزل أبحث عنه في البلد حتى وجدته، فوقعت على رجليه أُقبلهما وأبكي فنهاني، فقلت له: يا سيدي سألتك بالله إلا عفوت عني. فقال لي: ومن أنت؟

قلت: أنا الذي أخذت منك السمكة غصباً وذكرت له ما جرى معي وأريته يدي، فبكى حين رآها ثم قال: يا أخي قد سامحتك وعفوت عنك.

فقلت: يا سيدي بالله عليك هل كنت قد دعوت عليَّ لما أخذتها؟ قال: نعم دعوت «اللهم إنَّ هذا تَقَوّى عليَّ بقوته على ضعفي ظلماً على ما رزقتني فأرني قدرتك فيه».

فقلت: يا سيدي قد أراك الله قدرته فيَّ وأنا تائب إلى الله ﷻ.

---

(1) الآكلة: داء في العضو يتآكل منه.

قال عبد الله بن سلام: «إن الله تعالى لمَّا خلق الخلق واستووا على أقدامهم رفعوا رؤوسهم إلى السماء، وقالوا: يا رب مع من أنت؟ قال: مع المظلوم حتى يؤدّى إليه حقه»[1].

❁ ❁ ❁

تعفَّن جسدَهُ وهو حيٌّ

قال ﷺ : **«من لا يرحمُ الناس لا يرحمهُ الله»**[2].

وقال ﷺ : **«لا تنتزعُ الرحمةُ إلا من شقيٍّ»**[3].

أخبرني بعض أهل الثقة أن رجلاً كان يعمل بالسحر، ويأتي بأعمال محرَّمة، كالتفريق بين الزوجين، ويتعاطى المحرمات مثل دخول دورة المياه بالمصحف وقد لبسه في رجليه على هيئة الحذاء!! والعياذ بالله وغير ذلك من الأعمال المكفرة. وانطلقت الألسن المتضرعة بالدعاء عليه، فالسماء قبلة المستضعفين والمظلومين.

وفي بعض الكتب يقول الله تعالى: «اشتدَّ غضبي على من ظلم ومن لم يجد ناصراً غيري»[4] ودارت عجلة الزمن وأخيراً آن للمجرم أن يذوق مرارة العذاب ويشرب من نفس الكأس الذي طالما سقاه لعباد الله.

ابتلاه الله بمرض أقعده وأمرضه، وطفح المرض على جلده فامتلأ بالقيح والصديد، ووقف الطب أمام مرضه عاجزاً لا يبدي ولا يعيد وحرَّم عليه مس الماء، وفاحت منه رائحة كريهة يشُمها المارون على بيته من على بعد عدة أمتار!! وجعل يئن ويتأوه، وطال عذابه واستعجل الموت وتمناه فلم يجده وظل هكذا يتجشم الأوصاب ويتجرع كؤوس العذاب عدة سنوات ثم قضى عليه الموت ليقف أمام الديَّان الذي لا يموت.

❁ ❁ ❁

---

(1) نهاية الظالمين.
(2) حديث صحيح: رواه البخاري ومسلم والترمذي.
(3) إسناده حسن: رواه أبو داوود واللفظ له.
(4) الكبائر للذهبي.

دعوات أُجيبت لصاحبها

«عتيبة الغلام»: [1]

سُمِّي الغلام لجدِّه واجتهاده وهو الخاشع الزاهد، كان من نساك أهل البصرة ويأوي إلى السواحل والمقابر، وكان رأس ماله فلساً يشتري به خوصاً يعمله ويبيعه بثلاثة فلوس، فيتصدق بفلس، ويتعيش بفلس، وفلس رأسماله ونازعته نفسه لحماً فما طالها سبع سنين.

قال سليم الحبيفُ: رأيت عتبة ذات ليلة بساحل البحر، فما زاد حتى أصبح على هذه الكلمات: إن تُعذبني فإني لك محب وإن ترحمني فإني لك محب، فلم يزل يردِّدُها ويبكي حتى طلع الفجر. وقال: كابد الصلاة عشرين سنة، وتنعّم بها عشرين سنة، وقد دعا ربه ﷺ أن يهبَ له ثلاث خصالٍ، دعا الله تعالى أن يَمُنَّ عليه بصوت حزين، ودمع غزير، وغذاءٍ من غير تكلُّف. فكان إذا قرأ بكى وأبكى وكانت دموعه جارية دهرَهُ، وكان يأوي إلى منزلِهِ فيصيبُ قوتهُ لا يدري من أين يأتيه وكان إذا استحسن الطَّيرَ دعاهُ فيجيء حتى يسقُط على فخذِهِ فيمسَّه ثم يتركه فيطير.

قال قدامة بن أيوب: رأيت عتبة في المنام فقلتُ: ما صنع الله بك؟

قال: دخلتُ الجنة بتلك الدعوات المكتوبة في بيتك، فأتيت إلى بيتي فإذا خطُّ عتبة في الحائط:

«يا هادي المضلِّين وراحم المذنبين ومقيل عثرات العاثرين ارحم عبدك ذا الخطر العظيم والمسلمين كُلَّهم أجمعين واجعلنا من الأحياء المرزوقين مع الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ... آمين يا ربَّ العالمين»[2].



(1) عتبة الغلام (عتبة بن أبان): هو الخاشع الخائف.

(2) أحاسن المحاسن.

الظلم داء والعفو دواء

قال الأستاذ أبو علي الدقاق رَحِمَهُ الله: ظهر بيعقوب بن الليث علة أعيت الأطباء فقيل له: في ولايتك رجل صالح يسمى: «سهل بن عبد الله» لو دعا لك لعلَّ الله يستجيب له، فاستحضر سهلاً فقال له: ادعُ الله عز وجل لي.

فقال سهل رَحِمَهُ الله: كيف يجاب دعائي فيك وفي محبسك ـ حبسك ـ مظلومين!! فأطلق كل من كان في حبسه.

فقال سهل: «اللَّهم كما أريته ذلَّ المصيبة بما ابتليته به وعجز عن إزالته ... فأره عِزَّ الطاعة التي طلب الخلاص منها وفرَّج عنه» فعوفي من ساعته.

فعرض مالاً على سهل فأبى أن يقبله، فقيل له: لو قبلت ودفعته إلى الفقراء لكان خيراً لك! فنظر إلى الحصباء ـ في الصحراء ـ فإذا هي جواهر، فقال لأصحابه: من يُعطَى مثل هذا يحتاجُ إلى مال يعقوب بن الليث!!

في ذلك دلالة على أن الكرب العظام لا يفرجها مالٌ ولا جاه ولا سلطة ولا طب إنما يفرَّجها رد المظالم وصحيح الافتقار والتوبة و الالتجاء إلى من بيده النفع و الضر.

❀ ❀ ❀

عتيق من النار

قيل: تعلَّق شابٌ بأستار الكعبة وقال: «إلٰهي ...لا لك شريكٌ فيؤتى ولا وزير فيُرشى، إن أطعتك فبفضلك... ولك الحمد، وإن عصيتك... فبجهلي ولك الحجَّةُ فبإثبات حجَّتك عليَّ وانقطاع حجَّتي لديك ... إلا غفرت لي».

فسمع هاتفاً يقول: الفتى عتيقٌ من النار.

استدعاء الرحمة :

هذا من أحسن الأسباب في استدعاء الرحمة بالفعل والقول أما الفعل: فالتعلَّق بالجنان، وأما القول: فحسنُ الخطاب لأن قوله: «فبإثبات حجَّتك عليَّ»

إقرارُ لله بلزوم الحق عليه كما قال تعالى: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ﴾[1]. وقوله: «وانقطاع حُجتي لديك» إقرارُ بالمعصية ومن تكون هذه حالته فهو فقير إلى الرحمة، ومن له الحجة فهو المقتدر على ما يشاء ويرغب إليه في العفو عن الخطأ.

❀ ❀ ❀

حوَّل الحصاة إلى ذهب

قال خالد بن الغرز: كان حيوة بن شريح داعياً من دعاة البكائين وكان ضيق الحال جداً، فجلست إليه ذات يوم، وهو مُخْتَلٍ وحده يدعو، فقلت: رحمك الله، لو دعوت الله فوسع عليك في معيشتك.

قال: فالتفت يميناً وشمالاً، فلم يرَ أحداً، فأخذ حصاة من الأرض فقال: «للَّهم اجعلها ذهباً» !!.

قال الرجل: فإذا هي والله تبره في كفه ما رأيت أحسن منها . قال: فرمى بها إليّ، وقال: ما خير في الدنيا إلا الآخرة، ثم التفت إليَّ فقال: هو أعلم بما يصلح عباده، فقلت: ما أصنع بهذه؟ قال: استبقها فهُبْتُ والله أن أرده.

❀ ❀ ❀

لماذا لا يستجيب الله لنا

قيل لإبراهيم بن أدهم: ما لنا ندعو فلا يستجاب لنا؟ قال: لأنكم :

1 ـ عرفتم الله فلم تطيعوه.

2 ـ وعرفتم الرسول ﷺ فلم تتبعوا سنته.

3 ـ وعرفتم القرآن فلم تعملوا به.

4 ـ وأكلتم نعم الله فلم تؤدّوا شكرها.

5 ـ وعرفتم الجنة فلم تطلبوها.

---

(1) سورة: الأنعام، الآية: 149 .

6 ـ وعرفتم النار فلم تهربوا منها.

7 ـ وعرفتم الشيطان فلم تحاربوه ووافقتموه.

8 ـ وعرفتم الموت فلم تستعدوا له.

9 ـ ودفنتم الأموات فلم تعتبروا.

10 ـ وتركتم عيوبكم واشتغلتم بعيوب الناس[1].

قال سهل بن عبد الله التستري شروط الدعاء ـ أي شروط قبوله ـ سبعة: أولها التضرع، الرجاء، والمداومة، والخشوع، والعموم، «الدعاء للجميع» وأكل الحلال.

❀ ❀ ❀

(1) تفسير القرطبي 1/ 686 عند الآية: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي﴾ سورة: البقرة، الآية: ١٨٦.

الفصل الثامن:
فضل الخوف

الفصل الثامن: فضل الخوف

مقام الخوف

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾﴾[1].

قال الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ يَٰعِبَادِ فَاتَّقُونِ ﴿١٦﴾﴾[2].

أحاديث نبوية

* عَنْ ابنِ مسعود رضي الله عنه قال: حَدَثَنا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهوَ الصَّادقُ المصدُوقُ: «إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ[3] فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْماً نُطْفَةً، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِك، ثُمَّ يُرْسَلُ المَلَكُ فَيَنفُخُ فِيهِ الرُّوحَ وَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: بِكَتْبِ رِزْقِه، وَأَجلهِ وَعَمَلِهِ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ. فَوَالَّذِي لاَ إِلَهَ غَيْرُهُ إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلَهَا، وإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ فَيَدْخُلَهَا»[4].

* عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: خَطَبَنَا رَسُولَ اللهِ ﷺ خُطْبَةً مَا سَمِعْتُ مِثْلَهَا قَطُّ فَقَالَ: «لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلاً وَ لَبَكَيْتُمْ كَثِيراً» فَغطَّى أَصْحَابُ رَسُولِ الله ﷺ وجُوهَهُمْ وَلَهُمْ خَنِينٌ[5].

---

(1) سورة: البروج، الآية: 12.
(2) سورة: الزمر، الآية: 16.
(3) يجمع خَلقهُ: أي ما يخلق منه.
(4) متفق عليه.
(5) خنين: هو بكاء مع الغنة وانتشاق الصوت من الأنف.

وفي رواية: بَلَغَ رَسُولَ الله ﷺ عَنْ أَصْحَابِهِ شَيءٌ فَخَطب، فَقَالَ: «**عُرِضَتْ عَلَيَّ الجَنَّةُ وَالنَّار، فَلَمْ أَرَ كَاليَوْمِ فِي الخَيْرِ وَالشَّرِّ، وَلَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُم قَلِيلاً، وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيراً**» فَمَا أَتَى عَلَى أَصْحَابِ رَسُول الله ﷺ يَوْمٌ أَشَدُّ مِنْهُ غَطَّوْا رؤُوسَهُمْ وَلَهُمْ خَنِينٌ[1].

❁ ❁ ❁

دموع الخائفين تطفئ لهب المحشر

ورد أنه إذا كان يوم القيامة، جيء بجهنم تزفر زفرة فتجثو كل أمة على ركبها من هولها كما قال الله تعالى:

﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً﴾:[2] أي على الركب، كل أمة تدعى إلى كتابها فإذا أتوا النار سمعوا لها تغيظاً وزفيراً، وتسمع زفرتها من مسير خمسمائة عام، وكل واحد من الأنبياء يقول: نفسي ... نفسي، إلا صفيَّ الأنبياء ﷺ فإنه يقول: **أمتي ... أمتي**، وتخرج من الجحيم نار مثل الجبال، فتجهد أمة محمد ﷺ في دفعها وتقول: يا نار بحق المصلين، وبحق المصدقين، وبحق الخاشعين، وبحق الصائمين، أن ترجعي فلا ترجع، وينادي جبريل عليه السلام: أن النار قد قصدت أمة محمد ﷺ ثم يأتي بقدح من ماء فيتناوله رسول الله ﷺ ويقول: يا رسول الله خذ هذا فرشَّه عليها، فتطفأ في الحال، فيقول رسول الله ﷺ: ما هذا الماء؟

فيقول جبريل عليه السلام: هذا ماء دموع عصاة أمتك، الذين بكوا من خشية الله تعالى، فالآن أمرت أن أعطيكه لترشه على النار فتنطفئ بإذن الله تعالى[3].

وحكي عن محمد بن المنذر رحمه الله أنه كان إذا بكى يمسح وجهه ولحيته بدموعه ويقول: بلغني أن النار لا تأكل موضعاً مسته الدموع.

❁ ❁ ❁

---

(1) متفق عليه.

(2) سورة: الجاثية، الآية: 28.

(3) موسوعة الخطباء والمرشدين.

الخوف علَّمه الحياء

قال أبو سليمان الداراني: قال الله تعالى: «يا عبدي إنك ما استحييت مني .. أنسيتُ الناس عيوبك وأنسيتُ بقاع الأرض ذنوبك لئلا تشهد عليك يوم القيامة ومحوت من أم الكتاب زلاتك ولا أناقشك في الحساب يوم القيامة».

قيل: رؤي رجل يصلي خارج المسجد فقيل له: لِمَ لا تدخل المسجد فتصلي فيه!؟

فقال: أستحي منه تعالى أن أدخل بيته وقد عصيته[1].

❁ ❁ ❁

من خوفه غفر له

قيل: خرج عيسى ﷺ ومعه صالح من صالحي بني إسرائيل فتبعهما رجل خاطئ مشهور بالفسق فيهم، فقعد منتبذاً ـ منفرداً ـ عنهما منكسراً ذليلاً فدعا الله سبحانه وقال: «اللَّهم اغفر لي».

ودعا هذا الصالحُ وقال: «اللَّهم لا تجمع غداً ـ أي يوم القيامة ـ بيني وبين ذلك العاصي» فأوحى الله تعالى إلى عيسى ﷺ:

«إني قد استجبت دعاءهما جميعاً، رددت ذلك الصالح لاغتراره بعمله وغفرت لذلك المجرم».

فقد استحق هذا المقام من خوفه من عمله ومهابته من ربه ونظر إلى عمله بعين النقص[2].

❁ ❁ ❁

موعظة صغير لمالك بن دينار

روي عن مالك بن دينار رحمه الله أن مرَّ يوماً على صبي وهو يلعب بالتراب

---

(1) الرسالة القشيرية.
(2) الرسالة القشيرية.

يضحك تارة ويبكي أُخرى.

قال: فهممت أن أسلم عليه فامتنعت نفسي تكبراً فقلت: يا نفس! كان رسول الله ﷺ يسلم على الكبار والصغار، فسلمت عليه.

فقال: عليك السلام ورحمة الله وبركاته يا مالك بن دينار.

فقلت: من أين عرفتني ولم تكن رأيتني؟

فقال: حيث التقت روحي بروحك في عالم الملكوت، عرَّف بيني وبينك الحي الذي لا يموت.

فقلت: ما الفرق بين العقل والنفس؟

قال: نفسك التي منعتك عن السلام، وعقلك الذي بعثك عليه.

فقلت: ما بالك تلعب بهذا التراب؟

فقال: لأنَّا منه خلقنا وإليه نعود.

فقلت: أراك تضحك تارة وتبكي تارة أُخرى؟

قال: نعم!! إذا ذكرت عذاب ربي بكيت، وإذا ذكرت رحمته ضحكت.

فقلت: يا ولدي أي ذنبٍ لك حتى تبكي؟

فقال: يا مالك لا تقل هذا فإني رأيت أمي لا توقد الحطب الكبار إلا ومعه الصغار فعليك بالاعتبار[1].

❀ ❀ ❀

علاج الهم

رأى العابد الزاهد إبراهيم بن أدهم رحمه الله رجلاً مهموماً فقال له: أيها الرجل: إني أسألك عن ثلاث فأجبني، قال: نعم .قال إبراهيم: أيجري في هذا الكون شيء لا يريده الله؟ قال الرجل: كلا.

قال إبراهيم: أفينقص من رزقك شيء قدره الله؟ قال الرجل: كلا. فقال له إبراهيم: أفينقص من أجلك لحظة كتبها الله لك في الحياة؟ قال الرجل: كلا،

(1) موسوعة الخطباء والمرشدين.

فقال له إبراهيم: فعلامَ الهم إذن؟

* قال أبو الربيع لداود الطائي: عظني، فقال: صم عن الدنيا واجعل فطرك الآخرة وفِر من الناس فرارك من الأسد.

* وقال الحسن: كلمات أحفظهنّ من التوراة: قنع ابن آدم فاستغنى، اعتزل الناس فسلم، ترك الشهوة فصار حراً، ترك الحسد فظهرت مروءته، صبر قليلاً فتمتع طويلاً.

* وقال رجل لسهل: أريد أن أصحبك، فقال: إذا مات أحدنا فمن يصحب الآخر؟ فقال: الله، قال: فليصحبه الآن. وفي هذا المعنى:

خذ عن الناس جانباً وارض بالله صاحباً قَلِّب الناس كيف شئت تجدهم عقارباً

* وقيل لإبراهيم بن أدهم لمَ لم تصحب الناس؟

فقال: إن صحبت من هو دوني آذاني بجهله، وإن صحبت من هو فوقي تكبر، وإن صحبت من هو مثلي حسدني فاشتغلت بمن ليس في صحبته ملال ولا في وصله انقطاع ولا في الأنس به وحشة.

❀ ❀ ❀

الثعبان الأقرع ينتظر تارك الصلاة

حكي الإمام القرطبي أن رجلاً تاركاً للصلاة، جاؤوا ليدفنوه وبعد حفر القبر نظروا فإذا الثعبان الأقرع قد أحلّ بجنبات القبر وركض ينتظر قدوم تارك الصلاة، فحفروا قبراً آخر، فإذا الثعبان الأقرع قد شق الأرض، وجلس في القبر الثاني فحفروا قبراً ثالثاً، فوجدوا الثعبان الأقرع فألقوه مع الثعبان الأقرع.

وحُكي مثل هذا في زماننا هذا إلا أنهم في المرة الثالثة حاولوا أن يخرجوا الثعبان الأقرع من القبر عن طريق الشرطة وغيرهم فخرج.

وبعد أن دفنوا تارك الصلاة جاء الثعبان الأقرع وشق الأرض وأحاط بتارك الصلاة إحاطة السوار بالمعصم حتى سمع المشيعون صوت تحطيم وتكسير عظم تارك الصلاة.

الفصل التاسع:
فضل التوبة

الفصل التاسع: فضل التوبة

التوبة

قال الله تعالى: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[1].

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾[2].

أحاديث نبوية

* عَنْ أَبِي هُريرة رضي الله عنه قَال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**وَاللهِ إِنِّي لأَسْتَغْفِرُ اللهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً**»[3].

* عَنْ أَبِي مُوسَى عَبْد الله بِن قَيْس الأَشْعَري رضي الله عنه عَنْ النَبي ﷺ قَال: «**إِنَّ اللهَ تَعَالى يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا**»[4].

نداء لذرية آدم

عن الحسن البصري أنه قال: لما تاب الله على آدم عليه السلام هبط جبرائيل وكذلك ميكائيل وإسرافيل عليهم السلام. . . وقالوا: يا آدم ... قرت عيناك بتوبة الله تعالى عليك ... فقال آدم: يا جبرائيل ... فإن كان بعد هذه التوبة السؤال فأين مقامي؟ فأوحى الله تعالى إليه: «يا آدم ... ورثت ذريتك التعب والنصب، وورثتهم أنا التوبة .. من دعاني منهم بدعوتك تبت عليه كما تبت عليك، ومن سألني المغفرة

---

(1) سورة: النور، الآية: 31 .

(2) سورة: التحريم، الآية: 8 .

(3) رواه البخاري .

(4) رواه مسلم .

لم أبخل عليه كما لم أبخل عليك ...لأني قريب مجيب ...يا آدم ...احشر التائبين من القبور مستبشرين ودعاؤهم مستجاب.

❀ ❀ ❀

توبة آدم عليه السلام

روي أن آدم عليه السلام لما أكل من الشجرة، ونزع عنه لباس الجنة ولّى هارباً وجعل يستتر بورق الشجرة .. فناداه ربه: «أفراراً مني يا آدم» قال: بل حياء منك يا رب ...

فقال الله تعالى: «أما خلقتك بيدي؟ أما أسجدت لك ملائكتي؟ أما نفخت فيك من روحي؟ أما أسكنتك جنتي في جواري؟ فلمَ عصيتني؟ اخرج من جواري فلا يجاورني من عصاني» ..

فقال آدم: «سبحانك اللّهم وبحمدك ... لا إلٰه إلا أنت ... علمت سوءاً وظلمت نفسي فاغفر لي فإنك خير الغافرين ... سبحانك اللّهم وبحمدك ...لا إلٰه إلا أنت ... رب عملت سوءاً وظلمت نفسي فارحمني إنك أنت أرحم الراحمين ... سبحانك اللّهم وبحمدك ...لا إلٰه إلا أنت ... رب ظلمت نفسي وعملت سوءاً فتب عليَّ وإنك أنت التواب الرحيم».

❀ ❀ ❀

صدقة ودعاء تمحو الذنوب

كان ببغداد رجل مسرف على نفسه وله أم صالحة، وكان كلما عمل معصية كتبها في الديوان، فبينما هو ذات ليلة وإذ بالباب يُطرق، فخرج فوجد امرأة جميلة.

فقال: ما حاجتك؟ قالت: أيتام عندي ما أكلوا طعاماً منذ ثلاثة أيام. فقال: ادخلي، فعرفت منه الفساد.

فقالت: معاذ الله، فجذبها كرهاً، فقالت: يا كاشف كل شدة اعصمني منه، ثم قالت: اسمع ما أقول لك:

ألا أيـهـا الـنـاسـي لـيـوم رحـيـلـه أراك عـن الـمـوت الـمـفـرق لاهـيـاً
ألـم تـعـتـبـر بـالـطـاغـيـن إلـى الـبـلا وتـركـهـم الـدنـيـا جـمـيـعـاً كـمـا هـيـا
ولـم يـخـرجـوا إلا بـقـطـن وخـرقـة ومـا عـمَّـروا مـن مـنـزل ظـل خـالـيـاً
وأنـت غـداً أو بـعـده فـي جـوارهـم وحـيـداً فـريـداً فـي الـمـقـابـر ثـاويـا

ثم بكت وقالت: يا رب أغثني وخلِّصني من هذا الرجل، فلما سمع كلامها بكى بكاءً كثيراً فأعطاها مالاً كثيراً وقال أطعمي أولادك واسأليهم الدعاء بمحو ما في الديوان.

فقالت: نعم إن شاء الله، فلما صنعت لهم الطعام سألتهم الدعاء له:

فقالوا: والله لا نأكل حتى ندعو له، فإن الأجير لا يستحق الأجرة حتى يعمل، ثم إن الرجل دخل على أمه ونظر في الديوان الذي كان يكتب فيه ذنوبه فوجده أبيض ما فيه سيئة، فأخبر أمه بذلك، فقالت: ما السبب؟ قال: جاءتني امرأة تطلب قوت أولادها، فجرى الصلح على يديها، ثم توضأ وقال:

«اللهم كما محوت عني المكتوب ألحقني بك»، ثم سجد فحركته أمه فإذا هو قد مات[1].

❀ ❀ ❀

توبة امرأة

قال أبو قاسم محرز الجلاب: حدثني سعدان، قال: أمرَ قوم امرأة ذات جمال بارع أن تتعرض للربيع بن خيثم لعلها تفتنه، وجعلوا لها إن فعلت ذلك ألف درهم.

فلبست أحسن ما قدرت عليه من الثياب وتطيبت بأطيب ما قدرت عليه.

ثم تعرضت له حين خرج من مسجده، فنظر إليها فراعه أمرها فأقبلت عليه وهي سافرة، فقال لها الربيع: كيف بكِ لو قد نزل بكِ ملك الموت فقطع منكِ حبل الوتين؟ أم كيف بكِ لو سألكِ منكر ونكير؟

(1) نزهة المجالس.

فصرخت صرخة فسقطت مغشياً عليها، فوالله لقد أفاقت وبلغت من عبادة ربها ما روي أنها كانت يوم ماتت كأنها جزعٍ محترق على كثرة عبادتها وزهدها في الدنيا[1].

❀ ❀ ❀

المسارعة إلى التوبة بعد الذنب

عن إبراهيم بن أدهم: بلغني أن رجلاً من بني إسرائيل ذبح عجلاً بين يدي أمه، فيبست يده، فبينما هو جالس إذ سقط فرخ من وكره وهو يبصبص، فرده إلى عشه فرحمه الله لذلك وأطلق يده.

فينبغي للمؤمن أن يسارع إلى التوبة والعمل الصالح فإن الحسنات يذهبن السيئات.

❀ ❀ ❀

توبة نصرانية

قال بعضهم: كنت جالساً عند الحسن البصري ﷺ فمر بنا قوم يجرون قتيلاً، فلما رآه الحسن وقع مغشياً عليه فلما أفاق من غشيته سألت عن أمره، فقال: إن هذا الرجل كان من أفضل العبَّاد وكبار السادات الزهاد.

فقلت له: يا أبا سعيد أخبرنا بخبره وأطلعنا على أمره.

قال: إن هذا الشيخ خرج من بيته يريد المسجد ليصلي فيه فرآى في طريقه جارية نصرانية فافتتن بها فامتنعت عنه.

فقالت له: لا أتزوجك حتى تدخل في ديني!

فلما طالت المدة وزاد به الأمر جذبته شقوته فأجاب إلى ذلك وبرئ من دين الإسلام، فلما صار نصرانياً وكان منه ما كان خرجت المرأة من خلف الستر وقالت: يا هذا لا خير فيك، خرجت من دينك الذي صحبته عمرك من أجل

---

(1) موسوعة الخطباء والمرشدين.

شهوة لا قدر لها لكن أنا أترك دين النصرانية طلباً لنعيم لا يفنى عني طول الأبد في جوار الواحد الأحد الصمد ثم قرأت:

﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾[1] فتعجب الناس من أمرها وقالوا لها: كنت تحفظين السورة قبل هذا؟!.

قالت: لا والله ما عرفتها قط، ولكن الرجل لما ألح عليَّ رأيت في النوم كأني دخلت النار فعرض عليَّ مكاني منها فارتعبت وخفت خوفاً شديداً.

فقال لي مالك[2]: لا تخافي ولا تحزني فقد فداك الله بهذا الرجل منها، ثم أخذ بيدي وأدخلني الجنة فوجدت فيها سطراً مكتوباً فقرأته فوجدت فيه: ﴿يَمْحُوا ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ۝٣٩﴾[3] ثم أقرأني سورة الإخلاص فأقبلت أُرددها ثم انتبهت وأنا أحفظها.

قال الحسن: فأسلمت المرأة وقتل الشيخ على ردته، نسأل الله الثبات والعافية[4].

❀ ❀ ❀

رحمة الله لعباده

روي أن إبراهيم عليه السلام حدَّث نفسه أنه أرحم الخلق فرفعه الله تعالى فأشرف على أهل الأرض فأبصر أعمالهم وما يفعلون، في بعض التفاسير لقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[5] فعرج به ذات ليلة فاطلع على مذنبٍ على فاحشة فقال: «اللَّهم أهلكه إنه يأكل رزقك ويمشي على أرضك ويخالف أمرك». فأهلكه الله تعالى، فاطلع على آخر فقال: «اللهم أهلكه» فنودي

(1) سورة: الإخلاص، الآيات: 1 ـ 4.
(2) مالك: خازن النار.
(3) سورة: الرعد، الآية: 39.
(4) قصص التابعات.
(5) سورة: الأنعام، الآية: 75.

كف عن عبادي رويداً فإني طالما رأيتهم عاصين.

وفي رواية أخرى: فأوحى الله إليه يا إبراهيم أين رحمتك للخلق؟

أنا أرحم بعبادي منك إما يتوبون فأتوب عليهم وإما أن أخرج من أصلابهم من يسبحني ويقدسني وإما أن يبعثوا في شيئين فأعفو أو أعاقب[1].

❀ ❀ ❀

(1) إيقاظ الهمم في شرح الحكم.

الفصل العاشر:
فضل الصدقة



الفصل العاشر: فضل الصدقة

قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾﴾[1].

قال الله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾[2].

أحاديث نبوية

* عَنْ أَبِي هُريرة رضي الله عنه عَنْ النَبِي ﷺ قَال: «بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِفَلاةٍ[3] مِنَ الأرْضِ فَسَمِعَ صَوتاً فِي سَحَابَةٍ: اسْقِ حَدِيقَةَ فُلانٍ، فَتَنحَّى ذَلِكَ السَّحَابُ فَأَفْرَغَ مَاءَهُ فِي حَرَّةٍ[4]، فإذَا شَرْجَةٍ[5] مِنْ تِلكَ الشَّراجِ قَدِ اسْتَوعَبَتْ ذَلِكَ المَاءَ كُلَّهُ فَتَتَبَّعَ المَاءَ، فإذَا رَجُلٌ قَائمُ فِي حَدِيقَتِهِ يُحَوِّلُ المَاءَ بِمِسْحَاتِهِ فَقَالَ لهُ: يَا عَبْدَ اللهِ ما اسمك؟ قَالَ: فُلانٌ (للاسْمِ الَّذي سَمِعَ فِي السَّحَابَةِ)، فَقَالَ لهُ: يا عبد الله لِمَ تَسْأَلُنِي عَنْ اسْمِي؟ فَقَالَ: إنِّي سَمِعْتُ صَوتاً فِي السَّحابِ الَّذي هَذا مَاؤهُ يَقُولُ: اسْقِ حَدِيقَةَ فُلانٍ لاِسْمِكَ فَمَا تَصْنَعُ فِيْها؟ فَقَالَ: أَمَا إذْ قُلْتُ هَذا، فَإنِّي أَنْظُرُ إلَى مَا يَخْرُجُ مِنْهَا، فَأَتَصَدَّقُ بِثُلُثِهِ وَآكُلُ أَنَا وَعِيالي ثُلُثَاً وَأَردُّ فِيها ثُلُثَهُ»[6].

* عَنْ أَبِي هُريرة رضي الله عنه قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«مَا مِنْ يَوْم يُصْبِحُ العِبَادُ فِيْهِ إلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلانِ فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقاً خَلَفَاً وَيَقُولُ الآخَرُ اللَّهُمَّ**

(1) سورة: التوبة، الآية: 104.
(2) سورة: التوبة، الآية: 103.
(3) بفلاة: الأرض التي لا ماء فيها.
(4) حَرة: الأرض الملبسة حجارة سوداء.
(5) شَرْجَة: مسيل الماء.
(6) رواه مسلم.

أَعْطِ مُمسِكاً تَلَفاً»[1].

❀ ❀ ❀

الله يكرم الكريم ويهين البخيل

روي عن عائشة رضي الله عنها: أنها كانت جالسة ذات يوم إذ جاءتها امرأة وقد سترت يدها في كمها.

فقالت لها عائشة: مالكِ لا تخرجين يدك من كُمَكِ؟

قالت: لا تسألي يا أم المؤمنين.

قالت عائشة رضي الله عنها لابدَّ لكِ أن تخبريني.

فقالت: يا أم المؤمنين، إنه كان لي أبوان، فكان أبي يحب الصدقة وأما أمي فكانت تبغض الصدقة، فلم أرها تصدقت بشيء إلا قطعة شحم وثوباً خَلِقاً، فلما ماتا رأيت في المنام كأن القيامة قد قامت، ورأيت أمي قائمةً بين الخَلق والثوب الخلق موضوعٌ على عورتها ورأيت الشحم بيدها وهي تلحسه وتنادي: واعطشاه، ورأيت أبي على شفير الحوض وهو يسقي الماء، ولم يكن عند أبي أي صدقة أحب إليه من سقية الماء، فأخذت قدحاً من الماء فسقيت أمي، فنودي من فوق: ألا من سقاها شُلَّت يده، فاستيقظت وقد شُلَّت يدي[2].

❀ ❀ ❀

منفعة الصدقة

حدثنا محمد بن الفضل بإسناده عن رجلٍ من أهل البصرة قال: كان أعرابي صاحب ماشية، وكان قليل الصدقة فتصدقت بفريض من غنمه ـ أي بسخلة مهزولة ـ فرأى فيما يرى النائم كأنها أقبلت عليه غنمه كلها تنطحه، فجعل الغريض يحامي عنه ـ يخاصم عنه ـ فلما انتبه قال: والله لئن استطعت لأجعلنَّ

(1) متفق عليه .
(2) تنبيه الغافلين .

أتباعك كثرة . قال: وكان بعد ذلك يعطي ويقسم[1] .

❁ ❁ ❁

صدقة على الأرملة

قيل: إن عبد الله بن المبارك عزم على الحج فأحضر نفقةً كافية إذ رأى امرأة بيدها دجاجة ميتة تنتفها وتسلخها فوقف عليها وسألها فقالت: إليك عني، فألح عليها.

فقالت: إن لي أطفالاً جياعاً منذ ثلاث يتباكون وقد حلَّت لنا الميتة.

قال: فحللت زناري وأفرغت لها نفقة الحج وقلت: على هذا أحج، ومضيت.

فلما رجع الحجاج صاروا يهنئونني ويثنون على دعائي ودروسي في الحج.

فقلت: لم أبرح بلدتي فما الخبر؟

ولما رجعت لمنزلي ونمت رأيت رسول الله ﷺ في المنام يقول لي: **«يا بن مبارك لما أعطيت الدنانير وفرَّجت عن المرأة وعن أيتامها بعث الله ملكاً يحج عنك كلَّ عام على صورتك إلى يوم القيامة ويجعل ثواب الحج لك»**.

❁ ❁ ❁

مضاعفة الأجر للصدقات غير الزكاة

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقْرَضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١٨﴾﴾[2].

أي: إنما يضاعف للمتصدق، والمتصدق هو الذي يعطي الزائد على واجبه القائم بالنوافل المقبولة، وأما الفرائض فلا أجر لها، وإنما هي تدفع غضبَ الله وعذابه عن القائم بها لأنّ من لم يقم بها وعصى ربه بتركها يحمى عليها في نار

(1) تنبيه الغافلين .
(2) سورة: الحديد، الآية: 18 .

جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم ولذلك يُقال لهم: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾﴾(1) فلكل من عدم الصلاة وعدم الزكاة وعدم الحج عذاب خاص، وكذلك لترك الإيمان والعياذ بالله تعالى، وكذا لمن يأكل لحم أخيه.

وأما الأجور ومضاعفاتها فللنوافل قال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾﴾(2).

❀ ❀ ❀

الشجاع الأقرع في القبر لمن لا يؤدي زكاة ماله

عن كتاب حكايا الصوفية:

قال أبو اليسر عابدين لم أبلغ العشر سنين كنت واقفاً في تشييع جنازة رجل أعرفه بقرية الأشرفية، فحفروا قبره فرأيت حية خضراء سمينة لها عينان أكبر من عيون الإنسان وهي منثنية على بعضها شأن الحيات و الثعابين، وثخنها بقرب من ثخن الإنسان، وكنت صغيراً، وإذ هم ردموا القبر، ثم حفروا قبراً ثانياً فرأيتها بمكانها الأول، وإذ هم ردموا القبر الثاني، ثم حفروا القبر الثالث فرأيتها والله بنفس المكان الأول رؤية عين لا رؤيا منامية، ولا أدري ماذا قالوا حتى أنزلوا الميت فيه، ولما كبرت سألتهم لماذا حفروا ثلاثة قبور؟ قالوا: وجدوا الأول متهدِّماً، فحفروا الثاني، فوجدوه متهدِّماً فحفروا الثالث فوجدوه متهدِّماً، فقالوا: أنحفر كل القبور؟ فألقوه فيه. ولكن الله تعالى لم يطلعهم على ما أطلعني عليه، ولا أدري ما كان يصنع ذلك الرجل في حياته حتى سلّط الله عليه هذا التنين، الذي يقال له الشجاع الأقرع، فقد ورد في الحديث: «ما من أحد لا يؤدي زكاة ماله إلا مُثِّل له يوم القيامة شجاع أقرع حتى يطوِّق به عنقه» ثم قرأ علينا رسول الله مصداقه من كتاب الله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ

---

(1) سورة: المدثر، الآيات: 42 ـ 44.

(2) سورة: البقرة، الآية: 261.

هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾[1].

❀ ❀ ❀

ما للمتصدق من أجر

قال سفيان لما نزل: ﴿مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾[2].

قال ﷺ: «ربِّ زِدْ لأمتي» فنزل: ﴿مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ﴾[3] فقال ﷺ: «ربِّ زِدْ لأمتي» فنزل: ﴿مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾[4] فقال ﷺ: «ربِّ زِدْ لأمتي». فنزل: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝١٠﴾[5]. فانتهى رسول الله ﷺ.

دعاء منصور بن عمَّار لمتصدق

كان رجل يشرب مع جمعٍ من ندمائه، ودفع إلى غلام له أربعة دراهم وأمره أن يشتري شيئاً من الفواكه للمجلس، فمرَّ الغلام بباب مسجد منصور بن عمَّار، وهو يسأل لفقير شيئاً ويقول: من دفع إليه أربعة دراهم دعوتُ له أربع دعوات. فدفع الغلام الدراهم، فقال منصور: ما الذي تريد أن أدعو لك؟ فقال: لي سيد أريد أن أتخلَّص من ملكته. فدعا له منصور، ثم قال: الأخرى. فقال: أن يخلف الله عليَّ دراهمي. فدعا له، ثم قال: الأخرى. فقال: أن يتوب الله على سيدي. فدعا، ثم قال: الأخرى. فقال: أن يغفر الله لي ولسيِّدي ولك وللقوم. فدعا منصور، فرجع الغلام إلى سيِّده فقال: لِمَ أبطأت؟ فقَصَّ عليه القصة. فقال: وبِمَ دعا؟ فقال: سألتُ لنفسي العتق فقال: اذهب فأنت حر. ثم قال: وأيش الثاني؟ فقال: أن يخلف الله عليَّ الدراهم. فقال: لك أربعة آلاف درهم.

(1) سورة: آل عمران، الآية: 180.
(2) سورة: الأنعام، الآية: 160.
(3) سورة: البقرة، الآية: 261.
(4) سورة: البقرة، الآية: 245.
(5) سورة: الزمر، الآية: 10.

ثم قال: وأي شيء الثالث؟ فقال: أن يتوب الله عليك. فقال: تبت إلى الله، ثم قال: وأي شيء الرابع؟ فقال: أن يغفر الله لي ولك وللمذكِّر وللقوم. فقال هذا الواحد ليس إليَّ. فلما بات رأى في المنام كأنّ قائلاً يقول له: أنت فعلت ما كان إليك، أترى أني لا أفعل ما إليّ فقد غفرتُ لك وللغلام ولمنصور وللقوم الحاضرين.



أحب الطاعات إلى جبريل

في «روح البيان»: عن محمد بن إسماعيل البخاري قال: بلغنا أن الله تعالى أوحى إلى جبريل عليه الصلاة والسلام فقال: يا جبريل لو بعثتك إلى الدنيا وجعلتك من أهلها، ما الذي عملت من الطاعات فيها؟ فقال جبريل: أنت أعلم بشأني مني، ولكني كنت أعمل ثلاثة أشياء: أولها كنت أعين صاحب العيال في النفقة على عياله، والثاني كنتُ أستر عيوب الخلق وذنوبهم حتى لا يعلم أحد من خلقك عيوبَ عبادك وذنوبهم غيرك، والثالث أسقي العطشان وأرويه من الماء.

❀ ❀ ❀

الفصل الحادي عشر:
فضل أهل الولاية

الفصل الحادي عشر: فضل أهل الولاية

أهل الولاية

قال الله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[1].

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩٦﴾﴾[2].

أحاديث نبوية

* عَنْ أَبِي هُريرة ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«لَقَدْ كَانَ فِيمَا قَبْلَكُمْ مِنَ الأُمَمِ ناسٌ مُحَدَّثُونَ، فَإِنْ يَكُ فِي أُمَّتي أَحَدٌ فَإِنَّهُ عُمَرُ»**[3].

* عَنْ أَنَس ﷺ أَنَّ رَجُلَيْنِ مِنْ أَصْحَابِ النَّبي ﷺ خَرَجَا مِنْ عِنْدِ النَّبي ﷺ فِي لَيْلَةٍ مُظْلِمَةٍ وَمَعَهُمَا مِثْلُ المِصْبَاحَيْنِ بَيْنَ أَيْدِيهِمَا، فَلَمَا افْتَرقَا، صَارَ مَعَ كُلِّ وَاحِدٍ منهما وَاحِدٌ حَتَى أَتَى أَهْلَهُ[4].

* قَالَ الشَيْخ عَبْد الله بن عَلَوي الحَداد في الحَديث: «مَنْ عَادَ لِي وَلِياً آذَنْتَهُ بِالحَرب، أي أَعْلَمْتَهُ أَنِي مُحَارِبٌ لَهُ وَذَلِكَ لأَنَّ الوَلي لاَ يَنْتَصِر لِنفسهِ، فَيكُونَ الله سُبْحَانَهُ هُوَ الَّذِي يَنْتَصر لَهُ»[5].

الله يحفظ أولياءه

قال بعضهم: كنت عند خير نسّاج فجاءه رجل، وقال له: أيها الشيخ رأيتك

---

(1) سورة: يونس، الآية: 62 .

(2) سورة: الأعراف، الآية: 196 .

(3) رواه البخاري .

(4) رواه البخاري .

(5) موسوعة الخطباء .

يوم أمس وقد بعتَ الغزل بدرهمين، وصررتهما في طرف إزارك فجئت خلفك فحللتهما من طرف إزارك وقد صارت منقبضة على الدرهمين في كفي ... لا أقدر على فتحها لأشتري بهما شيئاً.

قال: فضحك فرحاً بصنع مولاه معه وحفظه له فيما يتعاطاه وأوما بيده شفقةً ورحمة عليَّ إلى يدي ودعا لي ففتحتها.

ثم قال لي: امضِ واشترِ بهما لعيالك شيئاً ولا تعد لمثله، فقد سمح له بهما ونهاه عن العود إلى المنكر![1].

❀ ❀ ❀

راهب له كرامتان

حكي عن إبراهيم الخوّاص قال: دخلت البادية مرةً فرأيت نصرانياً على وسطه زنار فسألني الصحبة فأجبته، فمشينا سبعة أيام فقال لي: يا راهب الحنفية ـ أي يا شيخ المسلمين ـ هات ما عندك من الانبساط مما تقدر عليه فقد جعنا!

فقلت: إلٰهي لا تفضحني مع هذا الكافر، فرأيت طبقاً عليه خبز وشواء ورطب وكوز ماء فأكلنا وشربنا ومشينا سبعة أيام ثم بادرت وقلت: يا راهب النصارى هات ما عندك فقد انتهت النوبة إليك، فاتكأ على عصاه ودعا وإذا بطبقين عليهما كأضعاف ما كان على طبقي!

قال: فتحيّرتُ لا تحيّر شكٍ في ديني بل تحيّراً في حال هذا الكافر وبأيِّ وجه أجرى الله على يديه هذين الطبقين وهل هو زيادة مكرٍ في حقه أم أمرٌ آخر تجدَّد له، وتغيرت لذلك وأبيت أن آكل مما فيهما، فألح عليَّ في الأكل فلم أُجبه له. فقال لي: كُلْ، فإني أُبشرك ببشارتين، إحداهما أني أشهد أن لا إلٰه إلا الله وأشهد أن محمد رسول الله، وحلّ الزنّار من وسطه.

والبشارة الأخرى أني سألت الله بك فإني قد قلت: " اللَّهم إن كان لهذا العبد خَطَرٌ ـ قدر وكرامة ـ عندك فافتح عليَّ بهذا الذي رأيته، ففتح عليَّ به.

---

(1) الرسالة القشيرية.

قال: فأكلنا ومشينا وحججنا، وفي نسخة وحججنا وأقمنا بمكة سنة ثم إنه مات فيها ودفن بالبطحاء[1].

❀ ❀ ❀

كرامة ميت

حكى بعضهم أنه قال: مات فقير في بيت مظلم فلما أردنا غسله تكلفنا طلب سراج يضيءُ علينا فلم يتيسر... فوقع في كُوَّةٍ ـ نافذة ـ من البيت ضوء فأضاء البيت، فغسلناه، فلما فرغنا من تجهيزه ذهب الضوء كأنه لم يكن.

الكرامة فيه: ظهور النور عليه ليستكملوا به تنظيفه وحُسنَ تجهيزه.

❀ ❀ ❀

نشارة تُقلب دقيق

حكي عن عطاءِ الأزرق أنه دفعت إليه امرأتُه درهمين من ثمن غزلَها ليشتري لهم بهما شيئاً من الدقيق، فخرج من بيته فلقيَ جارية تبكي، فقال لها: ما بالكِ تبكين؟!.

فقالت: دفع إليَّ مولاي درهمين أشتري له بهما شيئاً فسقطا مني فأخاف أن يضربني!! فدفع عطاءُ الدرهمين إليها، ومرَّ وقعد في حانوت صديق له ممن يشق الخشب الساجَ وذكر له الحال وما يخاف من سوء خُلق امرأته بسبب ذلك.

فقال له صاحبه: خذ من هذه النِّشارة في هذا الجراب لعلكم تنتفعون بها في سجر التنُّور ـ أي حميه واشتعاله ـ فحمل عطاء النشارة في الجراب وفتح باب داره ورمى بالجراب وردَّ الباب ودخل المسجد واستمر فيه إلى ما بعد العتمة ـ العشاء ـ ليكون أخذهم ولا تستطيل عليه امرأته بكلام أو غيره، فلما فتح الباب وجدهم يخبزون الخبز!! فقال لهم: من أين لكم هذا الخبز؟

فقالوا له: من الدقيق الذي كان في الجراب، لا تشترِ لنا دقيقاً من غير هذا الدقيق الجيد.

---

(1) الرسالة القشيرية.

فقال: أفعلُ إن شاء الله تعالى[1].

❀ ❀ ❀

الإيثار عند الأولياء

حُكي أن غلام الخليل سعى بالصوفية إلى خليفة بغداد، وقال: إنهم زنادقة فاقتلهم، ولك ثواب جزيل، فأحضرهم الخليفة وفيهم الجنيد والشبلي والنوري فأمر بضرب رقابهم فتقدم أبو الحسين النوري فقال السياف: أتدري إلامَ تبادر؟ فقال: نعم.

فقال: وما يعجلك؟ فقال: أوثر أصحابي بحياة ساعة.

فتحير السياف وأنهى الأمر إلى الخليفة، فتعجب الخليفة ومن عنده من ذلك فأمر بأن يختبر القاضي حالهم، فقال القاضي: يخرج إليَّ واحد منهم حتى أبحث معه، فخرج إليه أبو الحسن النوري فألقى إليه القاضي مسائل فقهية، فالتفت عن يمينه ثم عن يساره ثم أطرق ساعة ثم أجابه عن الكل ثم أخذ يقول: وبعد فإن لله عباداً إذا قاموا قاموا بالله وإذا نطقوا نطقوا بالله، وسرد كلاماً أبكى القاضي ثم سأله القاضي عن التفاته؟

فقال: سألتني عن المسائل ولا أعلم لها جواباً، فسألت عنها صاحب اليمين فقال: لا علم لي.

ثم سألت عنها صاحب الشمال فقال: لا علم لي. فسألت قلبي فأخبرني قلبي فأجبتك بذلك، فأرسل القاضي إلى الخليفة فقال: إن كان هؤلاء زنادقة فليس على وجه الأرض مسلم[2].

❀ ❀ ❀

تلاوة كفيف

حدثنا عبد الله بن سليمان قال: قال أبو حمزة نصرُ بن الفرج ـ خادم أبي

(1) الرسالة القشيرية.

(2) موسوعة الخطباء والمرشدين.

معاوية الأسود ـ قال: كان أبو معاوية قد ذهب بصره فإذا أراد أن يقرأ القرآن نشر المصحف بين يديه فيردُّ الله عليه بصرهِ إكراماً له، فإذا أطبق المصحف ذهب بصره وصار على حاله.

تعليق: فإن القراءة في المصحف زيادة أجر على القراءة بالغائب لاستعمال أكثر الأعضاء فيها، فعن عائشة رضي الله عنها قالت:

قال رسول الله ﷺ: **«النظرُ في كتاب الله عز وجل عبادة»**[1].

❀ ❀ ❀

تحفظه الملائكة

قال إبراهيم الخوَّاص: دخلتُ خربة في بعض الأسفار في طريق مكة بالليل، فإذا فيها سبعٌ عظيم، فخفتُ منه، فهتف بي هاتف: أثبت ولا تخف فإنَّ حولك سبعين ألفَ ملك يحفظونك.

❀ ❀ ❀

الولي المُتحسر

عن علي بن يعقوب بدمشق قال: سمعتُ أبا بكر محمد بن أحمد يقول: سمعت قاسماً الجرعي يقول: رأيت رجلاً في الطواف لا يزيد على قوله: «إلٰهي قضيت حوائجَ الكلِّ ولم تقضِ حاجتي» فقلت له: ما لكَ لا تزيد على هذا الدعاء؟

فقال: أُحدثك بما جرى لي.... اعلم أنَّا كنا سبعة أنفس في بلدان شتى فخرجنا إلى الجهاد، فأسرنا الروم ومضوا بنا لنقتل فرأيت سبعة أبواب فتحت من السماء وعلى كل باب جارية حسناء من الحور العين، فَقُدِّم واحد منا للقتل، فضرب عنقه فرأيت جارية منهنَّ هبطت إلى الأرض وبيدها منديل، فقبضت روحه!! وهكذا فيمن بعده ... حتى ضربت أعناقُ الستة منَّا فاستوهبني بعض رجالهم ـ أي اشتراني بعض رجال الروم ـ فقالت الجارية: أيُّ شيء عظيم فاتك

(1) أخرجه الديلمي: في مسند الفردوس عن عائشة رضي الله عنها.

يا محروم بتخلفك عن أصحابك؟! وأُغلقت الأبواب!! فأنا يا أخي متأسف ومتحسرٌ على ما فاتني.

قال قاسم الجرعي: أراه أفضلهم وإن تحسر على ما فاته لأنه رأى بعينه ما لم يروه، وعمل على الشوق بعدهم ما لم يعملوه بالقلب والجوارح لأن تحسُّرَه على ما ذكر حمله على الجدِّ في العمل ودوام السؤال والتضرع وقوة اليقين.

والكرامة في ذلك رؤية هذا الرجل الأبواب والحور العين التي عليها.

❁ ❁ ❁

النوريُّ واللص

قال جعفر الدبيلي: دخل النوريُّ الماء ليطَّهر وترك ثيابه خارج الماء، فجاء لصٌّ فأخذ ثيابه، ثمَّ إنه بعد أن مشى بها جاء ومعه الثياب ووضعها مكانها وقد جفَّت يده ـ يبست ـ وتفطَّن بسبب يبسها الذي هو سببٌ لمجيئه بالثياب.

فقال النوريُّ مكاشفاً له بما أصابه: يا رب قد ردَّ علينا اللصُّ الثياب فردَّ عليه يده، فعوفي بردِّها[1].

❁ ❁ ❁

أولياء الله لا خوف عليهم

حُكي عن إبراهيم الآجُريِّ قال: جاءني يهوديٌّ يتقاضى عليَّ في دين ـ يطالبني بدين ـ كان له عليَّ.... وأنا قاعد عند الأتُّون ـ التنور ـ أُوقدُ تحت الآجرّ ـ أطبخه ـ فقال لي اليهوديُّ: يا إبراهيم أرني آية ـ كرامة ـ أُسلمُ عليها، فقلت له: تفعل ـ تسلم ـ إذا أريتك آية!!

فقال لي: نعم، فقلت له: انزع ثوبك فنزعه فلففته ولففتُ على ثوبه ثوبي وطرحتُ الثوب في النار ثم دخلت الأتُّونَ وأخرجتُ الثوب من وسط النار وخرجت من الباب الآخر وإذا ثيابي بحالها لم يصبها شيء وثيابهُ في وسطها، فأسلم اليهوديُّ لما رأى من ذلك[2].

---

(1) الرسالة القشيرية. (2) الرسالة القشيرية.

❁ ❁ ❁

خاتمة ورّاد العجلي

في مجلس وعظ " ابن ذر" يذكر رواجف القيامة وزلزالها، فإذا برجل من بني عجل يقال له ورّاد يبكي ويصرخ ويضطرب فحمل من بين القوم صريعاً، فقال ابن ذر: ما الذي صدر منا وكَلَمَ[1] قلبه حتى أبكاه؟ وسأل عن ليله كيف يقضيه؟.

فقالت أخته: كان يبكي عامة الليل ويصرخ، قال: فما كان طُعمه ـ طعامه ـ؟ قالت: قرصاً في أول الليل وقرصاً في آخره عند الشجرة، وكان إذا سجد بكى ثم قال: مولاي عبدك يحب الاتصال بطاعتك فأعنه عليها بتوفيقك، يا أيها المنان مولاي عبدك يحب اجتناب سخطك فأعنه على ذلك بمنّك، أيها المنان مولاي عبدك عظيم الرجاء لخيرك فلا تقطع رجاءه يوم يفرح الفائزون . فلما مات ورّاد نحمل إلى حفرته نزلوا إليه ليدفنوه فإذا اللحد مفروش بالريحان فأخذ بعض القوم الذين نزلوا إلى القبر من ذلك الريحان شيئاً فمكث سبعين يوماً طرياً لا يتغير يغدو الناس ويروحون وينظرون إليه قال: فكثر الناس في ذلك حتى خاف الأمير أن يفتن الناس فأرسل إلى الرجل فأخذ ذلك الريحان وفرّق الناس، وقال: فقده الأمير من منزله لا يدري كيف ذهب.

❁ ❁ ❁

ذاك في الدرجات العُلى

قال صالح البراد: رأيت زرارة بن أوفى بعد موته فقلت: رحمك الله ماذا قيل لك، وماذا قلت؟ فأعرض عني.

قلت: فما صنع الله بك؟ قال: تفضَّل عليَّ بجوده وكرمه.

قلت: فأبو العلاء بن يزيد أخو مطرف قال: ذاك في الدرجات العُلى.

قلت: فأي الأعمال أبلغ فيما عندك؟ قال: التوكل وقِصَر الأمل.

---

(1) كلم: جرح .

الفصل الثاني عشر:
فضل الجود والسخاء



الفصل الثاني عشر: فضل الجود والسخاء

الجود والسخاء

قال الله تعالى: ﴿وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾﴾[1].

قال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ﴾[2].

احاديث نبوية

* عَنْ جَابِر ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**اتَّقُوا الظُّلْمَ فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَاتَّقُوا الشُّحَّ فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَمَلَهُمْ عَلَى أَنْ سَفَكُوا دِماءَهم[3] وَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُمْ**»[4].

* عن أَبِي كَبْشة عمَر بن سعد الأنماري ﷺ أَنَّه سَمِعَ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**ثلاثَةٌ أُقْسِمُ عَلَيْهِنَّ وَأُحَدِّثُكُمْ حَدِيثاً فَاحْفَظُوهُ: مَا نَقَصَ مَالُ عَبْدٍ مِنْ صَدَقَةٍ، وَلاَ ظُلِمَ عَبْدٌ مَظْلَمَةً صَبَرَ عَلَيْهَا إِلاَّ زَادَهُ الله عِزًّا، وَلاَ فَتَحَ عَبْدٌ بَابَ مَسْأَلةٍ إِلَّا فَتَحَ الله عَلَيْهِ بَابَ فَقْرٍ ـ أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا ـ وَأُحَدِّثُكُمْ حَدِيثاً فَاحْفَظُوهُ قَالَ: إِنَّمَا الدُّنْيا لأَرْبَعَةِ نَفَر عَبْدٍ رَزَقَهُ الله مَالاً وعِلْماً فَهُوَ يَتَّقِي فِيْهِ رَبَّهُ وَيَصِلُ فِيْهِ رَحِمَهُ وَيَعْلَمُ للهِ فِيْهِ حَقًّا فَهَذَا بِأَفْضَلِ المَنَازِل، وَعَبْدٍ رَزَقَهُ الله عِلْماً وَلَمْ يَرْزُقْهُ مَالاً فَهُوَ صَادِقُ النِّيةِ يَقُولُ: لَو أَنَّ لِي مَالاً لَعَمِلْتُ بِعَمَلِ**

---

(1) سورة: البقرة، الآية: 272 .

(2) سورة: الليل، الآيات: 5 ـ 10 .

(3) سفكوا دماءهم: أي قتل بعضهم بعضاً .

(4) استحلوا محارمهم: أي ما حرم الله عليهم من الشحوم وغيرها .

فُلانٍ فَهُوَ بِنِيَّتِهِ فَأَجْرُهُمَا سَوَاءٌ، وَعَبْدٍ رَزَقَهُ الله مَالاً وَلَمْ يَرْزُقْهُ عِلْماً فَهُوَ يَخْبِطُ فِي مَالِهِ بِغَيرِ عِلْمٍ وَلاَ يَتَّقِي فِيْه رَبَّهُ وَلاَ يَصِلُ فِيْهِ رَحِمَهُ وَلاَ يَعْلَمُ للهِ فِيْهِ حَقًّا فَهَذا بِأَخْبَثِ المَنَازِل، وَعَبْدٍ لَم يَرْزُقْهُ مَالاً وَلاَ عِلْماً فَهُوَ يَقُولُ: لَوْ أَنَّ لي مَالاً لَعَمِلْتُ فِيْهِ بِعَمَلِ فُلانٍ فَهُوَ نِيَّتُهُ فَوِزْرُهُمَا سَوَاءٌ»[1].

❀ ❀ ❀

جود يذكره التاريخ

مرض قيس بن سعد بن عبادة رضي الله عنه. . . . فاستبطأ إخوانه في عيادته وزيارته فسأل عنهم، فقيل له: إنهم يستحيون من عيادتك مما لك عليهم من الدين الذي لك بإقراض أو غيره!! فقال: أخزى الله مالاً يمنع الإخوان من الزيارة والعيادة! ثم أمر أن ينادي: من كان لقيس عليه دين فهو منه في حِلٍّ، فكسرت عتبته ـ عتبة بابه ـ بالعشيّ لكثرة من عادهُ وزاره من إخوانه.

❀ ❀ ❀

السجن مقابل العطاء

قيل: كان أبو مِرثد رحمه الله أحد الكرام فمدحه بعض الشعراء بقصيدة، فقال: ما عندي ما أعطيك ولكن قدّمني إلى القاضي وادّعِ عليَّ أن لك عندي عشرة آلاف درهم حتى أُقِرَّ لك بها، ثم احبسني فإن أهلي لاَ يتركونني مسجوناً!!

ففعل ذلك، فلم يُمسِ حتى دُفع إليه عشرة آلاف درهم وخرج من السجن في يومه!!

إنما التزم هذا المال العظيم مكافأة لمن مدحه كما جرت به عادة العرب وخشية أن تلحقه النقيصة في كونه لم يكافئ مادحه.

❀ ❀ ❀

رأفة غريبة

قال بعضهم: دخلتُ على بشر بن الحارث في يوم شديد البرد وقد تعرَّى

---

(1) رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

من الثياب ما يدفع عنه ألم البرد. . . . . ودفعه إلى فقير وهو ينتفض من البرد!! فقلت له: يا أبا نصر، الناس يزيدون في الثياب في مثل هذا اليوم و أنت قد نقصتَ منها؟!

فقال: ذكرتُ الفقراء وما هم فيه من البرد ولم يكن لي ما أُواسيهم به ... فأردت أن أوافقَهم بنفسي في مقاساة البرد ؛ بأن أخرجت من ثيابي ما كان يدفع عني ألمَ البرد لفقير ولم أقدر أن أعمَّهم، فوافقتهم بأن قاسيت ألمَ البرد مثلهم[1].

❀ ❀ ❀

التلطف بالتصدق

وقيل: كان مورق العِجِليُّ يتلطف في إدخال الرِّفق على إخوانه بحيث أنَّه إذا عرف منهم حاجة إلى شيء .. فلا يأتيهم به على وجه الصَّدقة ؛ خوفاً من انكسار قلوبهم وقت ذكرهم له، بل يضعُ عندهم ألف درهم مثلاً بصورة الأمانة، فيقول: أمسكوها عندكم حتى أعود إليكم، ثمَّ يتركهم زماناً . ثم يرسل إليهم من يقول لهم: «أنتم منها في حِلٍّ فأنفقوها» فلم يباشر بأنها صدقةٌ!! وكلُّ ذلك شفقة على قلوبهم، وفي ذلك صيانة لماء وجه الفقير، ورفعة لقَدْره.

❀ ❀ ❀

أستاذ يعلمنا الغنى

وقيل: لقيَ رجلٌ من أهل «منبج»[2] رجلاً من أهل المدينة المشرَّفة ؛ فقال: مِمَّن الرَّجلُ (من أهل أيِّ بلد؟!)

فقال: من أهل المدينة . فقال له: لقد أتانا رجل منكم يقال له الحكم بن المطلب فأغنانا . فقال له المدني: وكيف أغناكم وما أتاكم إلَّا في جبَّة صوف؟! .. فقال: ما أغنانا بمال، ولكنَّه علَّمنا الكرم، فعاد بعضنا على بعض: واسى

(1) الرسالة القشيرية .

(2) منبج: بلدة في شمالي حلب من بلاد الشام .

غنيُّنا فقيرنا حتى استغنينا كلنا!

إذ الغنى غنى النفس في الخبر: **«ليس الغنى عن كثرة العرض إنما الغنى غنى النفس»**[1].

وذلك لأن من استغنت نفسه بالله، ووثق به هان عليه بذل ما في يده في البر، ومن كثر ماله ولم يهن عليه بذله وربما اشتد حرصه على الزيادة فيه، فهو فقير، فهذا المدنيُّ لمّا أتى إلى منبج ووجد فيها الفقير والغني: دلَّهم على غنى النفس فزهد ذو المال وهان عليه بذله وقنع الفقير فاستغنى بما تيسر له، فاستغنوا كلهم.

❀ ❀ ❀

سقاية الماء

وقيل: عطش عبيد الله بن أبي بكرة يوماً في طريقه، فاستسقى ماءً من منزل امرأة، فأخرجت له كوزاً من الماء وقامت خلف الباب، وقالت: تنحّوا عن الباب، وليأخذه بعض غلمانكم، فإني امرأةٌ من العرب مات خادمي منذ أيام!! فشرب عبيد الله، وقال لغلامه: احمل إليها عشرة آلاف درهم، إعانةً لها، ففهمت أنه يسخر بها! فقالت له: سبحان الله تسخر بي!؟ فهِمَ أنها ما رضيت بذلك، وأنها لكونها من العرب لا تواجه بمثله، فقال لغلامه: احمل إليها عشرين ألف درهم. فزاد تعجبها بحسب ما فهمته، فقالت له: أسأل الله تعالى لك العافية مما ابتليت به من السخرية!! فقال لغلامه: يا غلام احمل إليها ثلاثين ألف درهم. فردت الباب، وقالت له (بناءً على ما فهمته من أنه يسخر بها): أفٌّ لك. فحمل إليها ثلاثين ألف درهم فأخذتها، فشاع أن عبيد الله أرسل إليها ثلاثين ألف درهم، وكانت ذا شرفٍ في نفسها وبيتها فزاد شرفها بالمال فما أمست حتى كثر خطّابها ورغبوا في نكاحها.

وفي ذلك دلالةٌ على كرم عبيد الله وحسن نيَّتِهِ وعدم تأثره بما قابلته به.

❀ ❀ ❀

---

(1) متفق عليه عند البخاري، الحديث (6446) ومسلم، الحديث (120 ـ 1051) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

أربعة لا تؤنف

قال إبراهيم بن الجنيد: أربعة لا ينبغي للشريف (شريف الهمة الطالب لمعالي الأمور) بأن يأنف منهنَّ وإن كان أميراً :

1 ـ قيامه من مجلسه لأبيه، لأن ذلك يزيده شرفاً عند الله وعند الخلق.

2 ـ خدمته لضيفه، لأنها تدل على كمال شرفه وشدة رغبته في الخير.

3 ـ خدمته لعالم يتعلّم منه، وليقتديَ به غيره، ولأنها كمال في درجته وتحمل العالم أن يخصَّه بفوائد.

4 ـ والسؤال عمَّا لم يعلم مما طلب منه شرعاً لأنه إما واجب أو مندوب.



الفصل الثالث عشر: فضل سر المنامات

الفصل الثالث عشر: فضل سر المنامات

سر المنامات

قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾﴾(1).

قال الله تعالى: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾(2).

أحاديث نبوية

* عَنْ أَنَس بن مَالك ﷺ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«الرُّؤيَا مُعَلّقَة بِرِجْلِ طَائِر مَا لَمْ يُحَدّثْ بِهَا صَاحِبُهَا، فَإِذَا حَدَثَ بِهَا وَقَعَتْ فَلا تُحَدثَنّ بِهَا إِلَّا عَالِماً أَوْ نَاصِحاً أَوْ لَبِيْباً، وَالرُّؤيَا الصَّالِحَة جزْء مِنْ سِتٍّ وَأَرْبَعِيْنَ جزءاً مِنَ النُّبوة»**(3).

* عَنْ أَبِي قُتَادة ﷺ قَالَ: قَالَ النَّبي ﷺ **«الرُّؤيَا الصَّالِحَةُ - وَفِي رِوَاية - الرُّؤيَا الحَسَنَةُ مِنَ الله، والحُلُمُ مِنَ الشَّيْطَانِ فَمَنْ رَأى شَيْئاً يَكْرَهُهُ فَلْيَنْفُثْ عَنْ شِمَالِهِ ثَلاثاً وَلْيَتَعَوَّذ مِنَ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهَا لاَ تَضُرُّهُ»**(4).

* قَالَ رَجل لعلي بن الحُسَين ﷺ: رَأَيْتُ كأنّي أَبُولُ فِي يَدي، قَالَ: تَحْتَكَ مُحرم، فَنَظَروا فإذَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ امرأته رِضَاع. وفِي هذا الحُلم نجد أنَّ اليد

---

(1) سورة: الزمر، الآية: 42.

(2) سورة: الفتح، الآية: 27.

(3) أخرجه الحاكم عن أنس ﷺ وهو صحيح الإسناد.

(4) متفق عليه.

هي عضو منَ أعضاء البَدَن ـ كناية عنِ الأخت ـ وهو عضو فسَّر البول في اليد بنكاح المحرم.

❀ ❀ ❀

ما وهب الله لابن سيرين

قال محمد بن سيرين: رأيت في المنام كأني دخلت الجامع فإذا أنا بمشايخ ثلاثة وشاب حسن الوجه إلى جانبهم.

فقلت للشاب: من أنت رحمك الله؟ قال: أنا يوسف.

قلت: فهؤلاء المشيخة. قال: آبائي إبراهيم وإسحاق ويعقوب. فقلت: علمني مما علمك الله!

قال: ففتح فاه وقال: انظر ماذا ترى؟

فقلت: أرى لسانك، ثم فتح فاه فقال: انظر ماذا ترى؟

فقلت: لهاتك. ثم فتح فاه فقال: انظر ماذا ترى؟ قال: أرى قلبك.

فقال: عبّر ولا تخف. فأصبحت وما قُصت عليَّ رؤيا إلا وكأني أنظر إليها في كفي[1].

❀ ❀ ❀

سارق يُفضح برؤيا

روي عن ابن سيرين أنه أتاه رجل فقال: رأيت كأني أُقشر بيضة وأرمي صفارها وآكل بياضها، فقال ابن سيرين: هذا رجل نباش للقبور، فقيل له: من أين أخذت هذا؟

فقال: البيضة: القبر، والصفار: الجسد، والبياض: الكفن، فيلقي الميت ويأكل ثمن الكفن وهو البياض.

---

(1) الرؤيا والأحلام بين العلم والإسلام.

لقد ظهرت الخيانة الخفية للرجل الذي كان يشق القبور ليلاً ويسرق الأكفان.

❀ ❀ ❀

أصاب ابن سيرين

جاء رجل إلى ابن سيرين فقال: رأيت فيما يرى النائم أني أُجامع فأرة ويخرج من شرجها تمرة.

فقال له ابن سيرين: هكذا أفهم أنك متزوج بامرأة زانية أو فاسقة، قال: نعم. قال له: إنها حامل أبشرك بأنها تلد ولداً طاهراً شريفاً[1].

❀ ❀ ❀

الرؤيا تبشر بولادة الإمام الشافعي

روي أن أم الإمام الشافعي ﷺ رأت في منامها بعد أن حملت به أن المشتري خرج من فرجها وانقضَّ بمصر ثم تفرق في كل بلد قطعة، فقال المعبرون: إنها ستلد ابناً وسيكون عالماً فذاً في مصر وينشر علمه في أكثر البلاد طولاً وعرضاً[2].

❀ ❀ ❀

سقوط الأسنان يدل على موت الأقارب

روي أن بعض الخلفاء قال لمعبر: إني رأيت جميع أسناني سقطت، فقال له: جميع أقاربك مولانا أمير المؤمنين يموتون، فغضب منه واستدعى معبراً غيره وقص عليه الرؤيا. فقال له: إن صدقت رؤيا أمير المؤمنين فإنه يكون أطول عمراً من أقاربه! فأقبل عليه وأحسن إليه. و المعنى واحد والعبارة متفاوتة.

بشرى للطائي

قال بعضهم: رأيت الليلة التي مات فيها داود الطائيُّ نوراً وملائكة صعوداً وملائكة نزولاً.

---

(1) الرؤيا والأحلام بين العلم والإسلام.

(2) أحلام الأنبياء والصالحين.

فقلت: أي ليلة هذه؟! فقالوا: ليلة مات فيها داود الطائيُّ وقد زخرفت الجنة لقدوم روحه على أهلها.

❁ ❁ ❁

مغفرة بكلمة

رُئي مالك بن أنس في المنام فقيل له: ما فعل الله بك. فقال: غفر لي بكلمة كان يقولها عثمان بن عفان ﷺ عند رؤية الجنازة: «سبحان الحيّ الذي لا يموت» وكنت أُرددها فأخذت أجرها.

❁ ❁ ❁

عتاب في المنام

قال عليُّ بن الموفَّق: كنت أفكر يوماً ؛ تغيَّرت فيه الأحوال والأسباب (كتضييق الرزق وقلَّة المطر والسَّيل) في سبب عيالي والفقر الذي نزل بهم.

فرأيت في المنام رقعة فيها مكتوب: بسم الله الرحمٰن الرحيم، يا ابن الموفَّق. . . . أتخشى الفقر وأنا ربُّك؟! (عاتبه بذلك لكونه لم يعتمد عليه)، فلما كان وقت الغَلَس أتاني رجل بكيس فيه خمسة آلاف دينار وقال لي: خذها إليك يا ضعيف اليقين[1].

❁ ❁ ❁

دمعة خشية

قال أحمد ابن أبي الحواريّ: رأيت في النوم جارية من الحور العين ما رأيتُ أحسن منها يتلألأ وجهها نوراً!!

فقلت لها: ما أنور وجهك!

فقالت لي: تذكرُ الليلة التي بكيت فيها؟ فقلت: نعم.

---

(1) الرسالة القشيرية.

فقالت: حُملت إليَّ دمعتُك (قطرة من دمعك) فمسحتُ بها وجهي فصار وجهي هكذا.

❁ ❁ ❁

سر العافية

وحُكي عن بعضهم وهو عمر الحمَّال أنه كان يقول أبداً ودائماً: «العافية. . . .العافية» فقيل له: ما معنى هذا الدعاء؟ فقال: كنت حمَّالاً في ابتداء أمري، وكنت حملتُ يوماً صدراً شيئاً ثقيلاً من الدقيق فوضعته لأستريح، فكنت أقول: يا رب لو أعطيتني كلَّ يوم رغيفين من غير تعب (أي: لكنت أكتفي بهما ولم أعذب نفسي بهذا العمل).

فإذا رجلان يختصمان، فتقدمت أُصلح بينهما، فضرب أحدهما رأسي بشيء أراد أن يضرب به خصمه فأدمى وجهي، فجاء صاحب السلطان فأخذهما فلما رآني ملوثاً بالدم. . . . أخذني أيضاً وظنَّ أني ممن تشاجر معهما فأدخلني السجن تأديباً فبقيت في السجن مدة طويلة. . . . وأُتى كلَّ يوم برغيفين، فرأيت ليلة في المنام قائلاً يقول لي: إنك سألته الرغيفين كلَّ يوم من غير نصب ولا تعب ولم تسأل العافية! فأعطاك ما سألت دون غيره.

فانتبهتُ وقلت: «العافية. . . .. العافية» فرأيت باب السجن يقرعُ وقائل يقول لأهل السجن: أين عُمر الحمَّال!؟ خلُّوا سبيله، فأطلقوني وخلُّوا سبيلي.

اختبار العبد: في ذلك دلالة على أنه ينبغي للعبد أن لا يختار لنفسه شيئاً كما فعل الحمَّال، حيث كره فيه من الحمل واختار غيره، بل يرضى بكل ما يُجريه الله عليه وإن سأل فليسأل العافية في الدين والدنيا والآخرة[1].

(1) الرسالة القشيرية.

الفصل الرابع عشر:
فضل في عبر الموت



الفصل الرابع عشر: فضل في عبر الموت

عبر الموت

قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُواْ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْ قُلْ فَٱدْرَءُواْ عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٦٨﴾﴾[1].

قال الله تعالى: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾[2].

أحاديث نبوية

* عَنْ أَبِي سَعِيد الخدري رضي الله عنه أنَّ رسُولَ الله ﷺ قَال: «**إِذَا وُضِعَتِ الجَنَازَةُ وَاحْتَمَلَهَا النَّاسُ أَو الرِجَالُ عَلَى أَعْنَاقِهِمْ**[3]**، فَإِنْ كَانَتْ صَالِحةً قَالَتْ: قَدِّمُونِي قَدِّمُونِي، وَإِنْ كَانَتْ غَيْرَ صَالِحَةٍ، قَالَتْ: يَا وَيْلَهَا أَيْنَ تَذْهَبُونَ بِهَا؟ يَسْمَعُ صَوْتَهَا كُلُّ شَيءٍ إِلَّا الإِنْسَانُ وَلَوْ سَمِعَهُ صَعِقَ**[4]»[5].

* عَنْ هَانِئٍ مَوْلَى عثمان بن عفان رضي الله عنه، قَالَ: كَانَ عُثمانُ رضي الله عنه إِذَا وَقَفَ عَلَى قَبرٍ يَبْكِي حَتَّى يَبُلَّ لِحْيَتَهُ، فَقِيلَ لهُ: تَذكُرُ الجَنَّةُ و النَّارَ فَلا تَبْكِي وَتَذْكُرُ القَبْرَ فَتَبْكِي! فَقَالَ: إِنِّي سَمعتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**القَبْرُ أَوّلُ مَنْزِلٍ مِنْ مَنَازِلِ الآخِرَةِ فَإِنْ نَجَا مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَيسَرُ وَإِنْ لَمْ يَنْجُ مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَشَدُّ مِنْهُ**».

قَالَ: وَسَمعتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**مَا رَأَيْتُ مَنْظَراً قَطُّ إِلَّا والقَبْرُ أَفْظَعُ مِنْهُ**»[6].

---

(1) سورة: آل عمران، الآية: 168. (2) سورة: النساء، الآية: 78.

(3) أعناقهم: أي وضعت الجنازة بين الرجال ليحملوها.

(4) صعق: أي مات لشدة الصوت الناشئ عن شدة ما يرى مما أعد من الويل والثبور.

(5) رواه البخاري.

(6) رواه الترمذي.

سليمان وملك الموت

روي أن ملك الموت كان صديقاً لسليمان ﷺ وكان يزوره دائماً فدخل يوماً وعنده رجل يكلمه سليمان فجعل ملك الموت ينظر إلى الرجل الذي مع سليمان نظرة أنكرها.

فقال الرجل لسليمان بعد خروج ملك الموت: يا نبي الله من هذا الرجل الداخل عليك آنفاً؟ فقال: ملك الموت.

فقال له: لقد رأيته يحد النظر إليَّ.

فأمر سليمان الريح فحملته إلى الهند، ثم قال سليمان بعد أيام لملك الموت: وجدت عندي مذ أيام رجلاً فنظرت إليه نظرة منكرة.

فقال ملك الموت: كنت أعجب منه، أُمرت بقبض روحه في ذلك اليوم في الهند وهو عندك بالشام، فقبض روحه في ذلك اليوم بالهند[1].



قبول مسكين

وقال بعضهم وقد قربت وفاته لغلام عنده: يا غلام اشدد كِتافِي وعفّر خدي بالتراب ـ لاحظ نفسه بعين التقصير ـ فأمر الغلام أن يفعل به ذلك ثم قال: دنا الرحيل ولا براءة لي من ذنب ولا عذر لي أعتذرُ به ولا قوة لي أنتصر بها!! أنت لي ... أنت لي! ثم صاح صيحة ومات عقبها!! فسمعوا صوتاً من قائل يقول: استكان العبد لمولاه فقبله بفضله وكرمه[2].

ألم الفراق

قال يزيد الرقاشي: دخلتُ على عابدٍ بالبصرة، وأهلُ بيته حوله وهو مجهود، قال: فبكى أبوهُ فنظر إليه وقال: ما يبكيك؟ قال: أبكي فقدك . فبكت

(1) بستان الواعظين ورياض السامعين .
(2) الرسالة القشيرية .

أمهُ، فقال: ما يبكيك؟

قالت: أبكي فِراقك وما أتعجل من الوحشة بعدك، فبكى صبيانه وأهلهُ، فقال: ما يبكيكم؟ قالوا: نبكي فراقك وما نتعجل من اليتم بعدك.

فقال: أقعدوني، ألا كلكم يبكي لدنياي، أما فيكم من يبكي لآخرتي؟

أما فيكم من يبكي لما يلقاه في التراب وجهي؟ أما فيكم من يبكي لمُساءلةِ منكرٍ ونكير إياي؟ أما فيكم من يبكي لوقوفي بين يدي ربي ﷻ؟

قال: ثم صرخ صرخة فمات رحمة الله تعالى عليه[1].

❀ ❀ ❀

مثل الدنيا والموت

ذُكر عن بعض الصالحين أنه قال: رأيت في المنام رجلاً وهو في برية وأمامه غزالة يجري خلفها وهي تفر منه، وأسد كأعظم ما يكون خلفه وقد همَّ أن يلحقه والرجل يدير رأسه وينظر إلى الأسد فلا يجزع منه، ثم يجري خلف الغزالة حتى لحق به الأسد فقتله، فوقفت الغزالة تنظر إليه وهو مقتول، إذ جاء رجل آخر قد فعل ما فعله المقتول فقتله الأسد ولم يدرك الغزالة، فخرج آخر ففعل كذلك، قال: فما زلت أعدُ واحداً بعد واحد حتى عددت مائة رجل صرعى والغزالة واقفة.

فقلت: إن هذا لعجيب! فقال الأسد: مم تعجب وما تدري من أنا؟ وما هذه الغزالة؟ فقلت: لا.

فقال: أنا ملك الموت وهذه الغزالة هي الدنيا، وهؤلاء أهلها يجدُّون في طلبها وأنا أقتلهم واحداً بعد واحد حتى آتي على آخرهم، فاستيقظ فزعاً مرعوباً[2].

❀ ❀ ❀

(1) أحاسن المحاسن للحنبلي.

(2) بستان الواعظين ورياض السامعين.

قصة عذاب القبر

عن البراء بن عازب ﵁ قال: خرجنا مع النبي ﷺ في جنازة رجل من الأنصار، فانتهينا إلى القبر ولما يلحد، فجلس رسول الله ﷺ مستقبل القبلة، وجلسنا حوله وكأن على رؤوسنا الطير، وفي يده عود يَنْكُث في الأرض، فجعل ينظر إلى السماء، وينظر إلى الأرض، وجعل يرفع بصره ويخفضه ـ ثلاثاً ـ. فقال: «استعينوا بالله من عذاب القبر» مرتين أو ثلاثاً ـ.

ثم قال ﷺ: «اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر» ثلاثاً.

ثم قال ﷺ: «إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال على الآخرة نزل إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس، معهم كفن من أكفان الجنة وحنوط[1] من حنوط الجنة، حتى يجلسوا منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت ﵇ حتى يجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس الطيبة ـ وفي رواية: المطمئنة ـ اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان» قال: «فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من فِيّ السِّقَاء، فيأخذها»

وفي رواية: «حتى إذا خرجت روحه صلى عليه كل ملك بين السماء والأرض، وكل ملك في السماء، وفتحت له أبواب السماء، ليس من أهل باب إلا وهم يدعون الله أن يعرج بروحه من قبلهم، فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن وفي ذلك الحنوط، فذلك قوله تعالى: ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾[2].

«ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض».

قال: «فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملأ ـ يعني من الملائكة ـ إلا قالوا: ما هذا الروح الطيب؟ فيقولون: فلان ابن فلان بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا حتى ينتهوا بها إلى السماء الدنيا، فيستفتحون له، فيفتح لهم، فَيُشيّعهُ من كل سماء مقربوها إلى السماء التي تليها، حتى ينتهي به إلى

---

(1) الحَنوط: ما يخلط من الطيب لأكفان الموتى وأجسامهم خاصة.
(2) سورة: الأنعام، الآية: 61.

السماء السابعة، فيقول الله ﷻ: اكتبوا كتاب عبدي في عليين» ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ۝١٩ كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ ۝٢٠ يَشۡهَدُهُ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ۝٢١﴾(1).

«فيكتب كتابه في عليين، ثم يقال: أعيدوه إلى الأرض، فإني وعدتهم أني منها خلقتهم، وفيها أعيدهم، ومنها أخرجهم تارة أخرى» قال: «فيُرد إلى الأرض وتعاد روحه في جسده».

قال: «فإنه يسمع خَفْقَ نعال أصحابه إذا ولوا عنه مدبرين، فيأتيه ملكان شديدا الانتهار، فينتهرانه، ويجلسانه فيقولان له: من ربك؟ فيقول: ربي الله، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: ديني الإسلام، فيقولان له: فما تقول في الرجل الذي بُعث فيكم؟ فيقول: هو رسول الله ﷺ، فيقول له: وما علمك بهذا؟ فيقول: قرأت كتاب الله، فآمنت به وصدقت، فينتهره فيقول: من ربك؟ ما دينك؟ من نبيك؟ وهي آخر فتنة تُعرض على المؤمن، فذلك حين يقول الله ﷻ: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾(2) فيقول:

«ربي الله، وديني الإسلام، ونبيي محمد ﷺ، فينادي مناد في السماء: أن صدق عبدي، فأفرشوه من الجنة، وألبسوه من الجنة، وافتحوا له باباً إلى الجنة» قال: «فيأتيه من روحها وطيبها، ويُفْسَح له في قبره مَدّ بصره. قال: «ويأتيه». ـ وفي رواية: «يمثل له رجل حسن الوجه، حسن الثياب، طيب الريح، فيقول: أَبشر بالذي يسرك، أبشر برضوان من الله وجنات فيها نعيم مقيم، هذا يومك الذي كنت توعد، فيقول له: وأنت فبشرك الله بخير من أنت؟ فوجهك الوجه يجيء بالخير فيقول: أنا عملك الصالح، فوالله ما علمتك إلا كنت سريعاً في طاعة الله، بطيئاً في معصية الله، فجزاك الله خيراً، ثم يفتح له باب من الجنة، وباب من النار، فيقال: هذا منزلك لو عصيت الله أبدلك الله به هذا، فإذا رأى ما في الجنة قال: رَبِّ عَجِّل قيام الساعة، كيما أرجع إلى أهلي ومالي، فيقال له: اَسْكُن».

---

(1) سورة: المطففين، الآيات: 19 ـ 21 .

(2) سورة: إبراهيم، الآية: 27 .

قال: «وإن العبد الكافر ـ وفي رواية ـ: الفاجر ـ إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال على الآخرة، نزل إليه من السماء ملائكة غلاظ شداد سود الوجوه، معهم المسوح[1] من النار، فيجلسون منه مد البصر ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس الخبيثة اخرجي إلى سخط من الله وغضب، قال: فتفرق في جسده فينتزعها كما ينتزع السَّفُّود الكثير الشعب من الصوف المبلول، فتقطع معها العروق والعصب، فيلعنه كل ملك بين السماء والأرض، وتغلق أبواب السماء، ليس من أهل باب إلا وهم يدعون الله ألا تعرج روحه من قبلهم، فيأخذها، فإذا أخذها لم يدعها في يده طرفة عين حتى يجعلوها في تلك المسوح، ويخرج منها كأنتن ريح جيفة وجدت على وجه الأرض، فيصعدون بها، فلا يمرون بها على ملإ من الملائكة إلا قالوا: ما هذه الروح الخبيث؟ فيقولون: فلان ابن فلان (بأقبح أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا) حتى ينتهي به إلى السماء الدنيا فيستفتح له، فلا يفتح له».

ثم قال رسول الله ﷺ: ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾[2] **«فيقول الله عز وجل: اكتبوا كتابه في سجين في الأرض السفلى، ثم يقال: أعيدوا عبدي إلى الأرض فإني وعدتهم أني منها خلقتهم، وفيها أعيدهم، ومنها أخرجهم تارة أخرى، فتطرح روحه من السماء طرحاً حتى تقع في جسده، ثم قرأ:** ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾[3] «فتعاد روحه في جسده».

قال: «فإنه ليسمع خَفْق نعال أصحابه إذا ولوا عنه، ويأتيه ملكان شديدا الانتهار فينتهرانه ويجلسانه، فيقولان له: من ربك؟ فيقول: هاه هاه[4] لا أدري! فيقولان له: ما دينك؟

---

(1) المسوح: جمع المِسْح: وهو كساء غليظ من الصوف أو الشعر.

(2) سورة: الأعراف، الآية: 41.

(3) سورة: الحج، الآية: 31.

(4) هاه هاه: كلمة تقال في الضحك، وفي الإيعاد، وقد تقال للتوجع، وهو أليق بمعنى الحديث، والله أعلم.

فيقول: هاه هاه، لا أدري!

فيقولان: فما تقول في هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فلا يهتدي لاسمه، فيقال: محمد. فيقول: ها هاه لا أدري! سمعت الناس يقولون ذاك، قال: فيقال: لا دريت ولا تلوت، فينادي مُناد من السماء أن كذب، فأفرشوا له من النار، وافتحوا له باباً إلى النار، فيأتيه من حرها وسمومها، ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه، ويأتيه».

وفي رواية: «وَيُمثَّل له رجل قبيح الوجه قبيح الثياب، منتن الريح، فيقول: أبشر بالذي يسوءك، هذا يومك الذي كنت توعد فيقول: وأنت فبشرك الله بالشر من أنت؟ فوجهك الوجه يجيء بالشر. فيقول: أنا عملك الخبيث، فوالله ما علمتك إلا كنت بطيئاً عن طاعة الله، سريعاً إلى معصية الله، فجزاك الله شراً، ثم يقيّض له أعمى أصم أبكم في يده مِرزَبة لو ضرب بها جبل كان تراباً، فيضربه ضربة حتى يصير بها تراباً، ثم يعيده الله كما كان، فيضربه ضربة أخرى فيصيح صيحة يسمعها كل شيء إلا الثقلين، ثم يفتح له باب من النار، ويمهد له فراش من النار»[1].

وقد اتفق أهل السنة على أن عذاب القبر حق، وهو مقتضى السنة الصحيحة.

قال المروزي: قال أبو عبد الله أحمد بن حنبل: عذاب القبر حق لا ينكره إلا ضَالٌّ أو مُضل، وقال حنبل: قلت لأبي عبد الله في عذاب القبر فقال: هذه أحاديث صحاح نؤمن بها ونقر بها، كلما جاء عن النبي ﷺ إسناد جيد أقررنا به، إذا لم نقر بما جاء به رسول الله ﷺ ودفعناه ورددناه رددنا على الله أمره، قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾[2] قلت له: وعذاب القبر حق؟

قال: حق، يعذبون في القبور.

---

(1) هكذا جمع الألباني طرق الحديث وزياداته ووضعها في نسق واحد في كتابه: «أحكام الجنائز» (156ـ 159) وفي مختصر أحكام الجنائز له (65ـ 69).

(2) سورة: الحشر، الآية: 7.

قال: وسمعت أبا عبد الله يقول: نؤمن بعذاب القبر وبمنكر ونكير وأن العبد يُسأل في قبره ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾[1] في القبر.

وقال أحمد بن القاسم: قلت: يا أبا عبد الله: نقر بمنكر ونكير وبما يروى من عذاب القبر؟! فقال: سبحان الله! نعم نقر بذلك ونقول به[2].

❀ ❀ ❀

قبرها يشتعل ناراً لأنها كانت تُؤخِّر الصلاة

ذُكِرَ عن عمرو بن دينار قال: «كان رجل من أهل المدينة وكانت له أخت في ناحية المدينة فاشتكت وكان يأتيها يعودها ثم ماتت فدفنها فلما رجع ذكر أنه نسي شيئاً في القبر كان معه فاستعان برجل من أصحابه.

قال: فنبشنا القبر ووجدت ذلك المتاع فقال للرجل: تَنَحَّ حتى أنظر على أي حالٍ أختي، فرفع بعض ما على اللحد فإذا القبر مشتعل ناراً فَردَّه وسَوّى القبر فرجع إلى أمه فقال: ما كان حال أختي؟ فقالت: ما تسأل عنها وقد هلكت؟ فقال: لتخبريني، قالت: كانت تؤخر الصلاة ولا تصلي فيما أظن بوضوء، وتأتي أبواب الجيران فتلقُم أُذنها أبوابهم وتخرج حديثهم».

❀ ❀ ❀

رجل مُسمَّر بالمسامير في القبر

قال ابن أبي الدنيا: حدثني عبد المؤمن بن عبد الله بن عيسى القيسي أنه قيل لنبَّاش قد تاب: ما أعجب ما رأيت؟

قال: نبشت فإذا هو مسمر بالمسامير في سائر جسده ومسمار كبير في رأسه وآخر في رجليه.

قال: وقيل لنباش آخر: ما أعجب ما رأيت؟ قال: رأيت جمجمة إنسان مصبوباً فيها رصاص.

---

(1) سورة: إبراهيم، الآية: 27 .

(2) الروح، لابن القيم (77ـ 78)، تسلية أهل المصائب (ص199) .

قال: وقيل لنباش آخر: ما كان سبب توبتك؟ قال: عامة من كنت أنبش كنت أراه مُحَوّل الوجه عن القبلة.

❁ ❁ ❁

جزاء من ماتت على غير وصية

ذكر ابن أبي الدنيا، عن سعيد بن خالد بن يزيد الأنصاري، عن رجل من أهل البصرة، كان يحفر القبور، قال: حفرت قبراً ذات يوم، ووضعت رأسي قريباً منه، فأتتني امرأتان في منامي فقالت إحداهما: يا عبد الله نشدتك بالله إلا صرفت عنا هذه المرأة ولم تجاورنا بها، فاستيقظت فزعاً فإذا بجنازة امرأة قد جيء بها فقلت: القبر وراءكم، فصرفتهم عن ذلك القبر، فلما كان بالليل إذا أنا بالمرأتين في منامي تقول إحداهما: جزاك الله عنَّا خيراً فلقد صرفت عنا شراً طويلاً، قلت: ما لصاحبتك لا تكلمني كما تكلمينى أنت؟

قالت: إن هذه ماتت عن غير وصية، وحقٌّ لمن مات عن غير وصية ألا يتكلم إلى يوم القيامة.

يقول ابن القيم: وهذه الأخبار وأضعافها وأضعاف أضعافها مما لا يتسع لها الكتاب مما أراه الله ﷻ لبعض عباده من عذاب القبر ونعيمه عياناً.

وأما رؤية المنام فلو ذكرناها لجاءت عدة أسفار ومن أراد الوقوف عليها فعليه «بكتاب المنامات» لابن أبي الدنيا و " كتاب البستان ".(انظر كتاب الروح).

❁ ❁ ❁

الحي الساكن القبر

كان الربيع بن خيثم رَحِمَهُ الله قد حفر قبراً في بيته، وكان يأوي إليه، ويغطيه بخشبة، ويجلس على هيئة الميت، يفكر في حاله ويتذكر فتنة القبر، وسؤال منكر ونكير، فإذا اشتد به الحر، وقرب الظلام نادى وقال: ﴿رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ

صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُۚ﴾[1] ثم يرفع الخشبة ويقول: يا نفس ها أنت قد عُذتِ فاعملي ما قُلتِ.

وأعجب من هذا: أن روح النائم يحصل لها في المنام فتصبح يراها على البدن عياناً وهي من تأثير الروح في الروح كما ذكر القيرواني في كتاب «البستان» عن بعض السلف.

❀ ❀ ❀

الفأس في جسده

روى بعض مشايخ دمشق قال: حججنا فمات صاحب لنا في الطريق فاستعرنا من قوم فأساً فدفنّاه، ونسينا الفأس في القبر فنبشنا لنأخذها، فإذا الرجل قد جمعت عُنقه ويداه ورجلاه في حلقة الفأس، فسوينا التراب عليه، وأرضينا القوم في ثمن الفأس، فلما رجعنا سألنا امرأته عن حاله قالت: صَحِبه رَجُلٌ معه مال فقتل زوجي الرجل، وأخذ ماله، وكان يحج بهذا المال الحرام ويغزو به[2].

❀ ❀ ❀

خاتمة عبد الملك بن مروان

لما حضرت عبد الملك بن مروان الوفاة نظر إلى غَسّال بجانب دمشق يلوي ثوباً بيده ثم يضرب به المغسلة، فقال عبد الملك: ليتني كنت غسالاً آكل من كسب يدي يوماً بيوم ولم آلِ من أمر الدنيا شيئاً، فبلغ ذلك أبا حازم، فقال: الحمد لله الذي جعلهم إذا حضرهم الموت يتمنون ما نحن فيه، وإذا حضرنا الموت لم نتمنَّ ما هم فيه، وقيل لعبد الملك بن مروان في مرضه الذي مات: كيف تجدك يا أمير المؤمنين؟ قال: أجدني كما قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْۖ﴾[3].

❀ ❀ ❀

(1) سورة: المؤمنون، الآيتان: 99 ـ 100.
(2) التحرير المرسخ في أحوال البرزخ للصالحي، ص: 231.
(3) سورة: الأنعام، الآية: 49.

خاتمة الجُنيد

حُكي أن أبا العباس بن عطاء دخل على الجُنيد في وقت نزعه فسلم عليه فلم يُجبه ثم أجابه بعد ساعة وقال: اعذرني فإني كنت في وردي! ثم ولى وجهه إلى جهة القبلة ومات . وقيل له وهو في النزع الأخير قل: لا إله إلا الله . قال: ما نسيته فأذكره، وكان آخر حاله مع القرآن أنه ختمه في هذا اليوم وهذا الوقت.



الفصل الخامس عشر:
في فضل حكمة النساء



الفصل الخامس عشر: في فضل حكمة النساء

حكمة النساء

قال الله تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾[1].

قال الله تعالى: ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوٓا۟ أَن تَعْدِلُوا۟ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ۖ فَلَا تَمِيلُوا۟ كُلَّ ٱلْمَيْلِ[2] فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِ ۚ وَإِن تُصْلِحُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[3].

أحاديث نبوية

* وَعَنْ أَبِي هريرة ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «اسْتَوصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْراً؛ **فَإِنَّ المَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ، وَإِنَّ أَعْوَجَ مَا فِي الضِّلَعِ أَعْلاهُ، فَإِنْ ذَهَبْتَ تُقِيْمُهُ كَسَرْتَهُ، وَإِنْ تَرَكْتَهُ، لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ، فَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ»**[4].

❀ ❀ ❀

الوصية الغالية

أوصت أعرابية ابنتها في ليلة زفافها فقالت: أي بنية، إن الوصية لو تركت لعقل وأدب أو مكرمة في حسب لتركت ذلك منك ولزويته[5] عنك، ولكن الوصية تذكرة للعاقل وتنبيه للغافل، أي بنية: إنك قد فارقت الحواء الذي فيه درجت إلى

---

(1) سورة: آل عمران، الآية: 48.

(2) الميل: أي لا تفعلوا فعلاً تقصدون به التفضيل وأنتم تقدرون على تركه. فتذروها: أي الزوج كالمعلقة، فلا هي ذات زوج ولا هي أيم.

(3) سورة: النساء، الآية: 129.

(4) متفق عليه.

(5) زويته: زوى الشيء: نحاه، منعه.

وكر لم تعرفيه، وقرين لم تألفيه، فأصبح بملكه عليك ملكاً، فكوني له أمة يكن لك عبداً، واحفظي عني خصالاً عشراً تكن لك دركاً وذكراً :

فأما الأولى والثانية: فالمعاشرة له بالقناعة، وحسن السمع والطاعة، فإن القناعة راحة القلب، وحسن السمع والطاعة رأفة الرب.

وأما الثالثة والرابعة: فلا تقع عيناه منك على قبيح ولا يشم منك إلا أطيب ريح، واعلمي بنية أن الماء أطيب الطيب المفقود، وأن الكحل أحسن الحسن الموجود.

وأما الخامسة والسادسة: فالتعهد لوقت طعامه، والهدوء عند منامه، فإن حرارة الجوع ملهبة[1]، وتنغيص النومة مغضبة[2].

وأما السابعة والثامنة: فالاحتفاظ بماله والرعاية على حشمه (ذوي قرباه) وعياله، فإن الاحتفاظ بالمال من حسن التقدير، والرعاية على الحشم والعيال من حسن التدبير.

وأما التاسعة والعاشرة: فلا تفشي له سراً، ولا تعصي له أمراً، فإنك إن أفشيت سره لم تأمني غدره، إن عصيت أمره أوغرت صدره، واتقي الفرح بين يديه إن كان ترحاً - حزناً - والاكتئاب عنده إذا كان فرحاً، فإن الأولى من التقصير والثانية من التكدير.

واعلمي أنك لن تصلي إلى ذلك منه حتى تؤثري هواه على هواك ورضاه على رضاك فيما أحببت وكرهت[3].



نُبل امرأة

من طريف ما يحكى عن نبل المرأة ما ذكره العتبي: أنه كان ماشياً في

(1) مُلهبة: المراد يُلهب ويُغضب .
(2) مغضبة: يسبب الغضب .
(3) الحقوق الإسلامية، لطه عفيفي، ص: 351 .

شوارع البصرة، فإذا امرأة من أجمل النساء وأظرفهن تلاعب شيخاً سمجاً قبيحاً، وكلما كلمته تضحك في وجهه، فدنوت منها، وقلت لها: من يكون هذا منك؟ فقالت: هو زوجي، فقلت لها: كيف تصبرين على سماجته وقبحه مع حسنك وجمالك؟! إن هذا من العجب!

فقالت: يا هذا لعله رُزق مثلي فشكر، وأنا رُزقت مثله فصبرت والصبور والشكور من أهل الجنة، أفلا أرضى بما قسمه الله لي؟! فأعجزني جوابها فمضيت وتركتها[1].

❀ ❀ ❀

اجلدوا غاسلة المَيِّتَات

كانت امرأة تغسل الميتات وبينما تغسل إحدى المسلمات قالت: ربما زنى هذا الفرج ـ أي فرج الميتة ـ فألصق الله يدها بفرج الميتة ولم تستطع أن تتخلص من انتقام الله تعالى وظلت وقتاً طويلاً في الغُسل حتى دخل الناس إليها فوجدوا يدها التصقت بفرج الميتة فأرسلوا إلى الأطباء فقالوا: نقطع جزءاً من فرج الميتة، وقال بعضهم: نقطع جزءاً من يد الحية، فأرسلوا إلى الفقهاء فاختلفوا فأرسلوا إلى الإمام مالك فقال: لعل المغسلة قذفت الحية فاسألوها، فإن اعترفت فاجلدوها. فسألوها، فاعترفت، فجلدوها ثمانين جلدة ففكَّ الله يدها.



إكليل الذهب

رصد أحد الملوك إكليلاً من الذهب يقدمه جائزة لأعظم عمل يقوم به أحد أفراد رعيته. وذات يوم مثل أمامه شاعر ورسام وعالم. وتقدم الشاعر وأنشد أمام الملك قصائد من روائع شعره.

وبعده جاء الرسام الذي عرض أمامه لوحاته الفنية ورسومه الجميلة وخطوطه البديعة. وأخيراً جاء العالم وهو يحمل كتبه ويشرح للملك بعض

(1) تحفة العروس، ص: 147.

اختباراته وتجاربه ويوضح له الاكتشافات والاختراعات التي توصل إليها في مباحثه.

وفي النهاية ظهرت امرأة كلل الشيب شعرها، فسألها الملك: ما لديك أيتها العجوز؟ وما عندك لتقدميه؟

أجابت: إن الذين مثلوا أمامك أيها الملك هم أولادي، وقد جئت لأرى من منهم ينال الجائزة ويحظى بتاج الذهب.

وهتف الملك على الفور:

ضعوا التاج على رأس هذه السيدة صانعة هؤلاء الرجال العظماء.

❀ ❀ ❀

فقه امرأة

نظر رجل إلى زوجته وهي تصعد السلم فقال لها:

أنت طالق إذا صعدتِ..... وطالق إن نزلتِ.... وطالق إن وقفتِ....
فما كان من المرأة إلا أن قفزت من فوق السلم إلى الأرض في الحال.

فقال لها: فداك أبي وأمي ... إذا مات الإمام مالك ... احتاج إليك أهل المدينة في الفقه.

❀ ❀ ❀

نضارة وجمال

سئلت امرأة عجوز تقدم بها السن عن سر احتفاظها بنضارتها وجمالها وبهاء منظرها ـ أي مواد التجميل تستعملين ـ؟

فأجابت: أستخدم لشفتي الصدق ... ولصوتي الصلاة ... ولعيني الرحمة والشفقة ...وليدي الإحسان ... ولقوامي الاستقامة ... ولقلبي الحب ...

❀ ❀ ❀

حاجتها للزواج

مرضت عجوز ... فذهب بها ابنها إلى الطبيب ... فرآها متزينة بأثواب جميلة ... فعرف الطبيب حالها ...

فقال: ما أحوجها إلى الزواج ..؟

فقال الابن: ما للعجائز والأزواج ..؟

فقالت العجوز لابنها: ويحك يا بني ... أأنت أعلم من الطبيب ..؟.!

❀ ❀ ❀

أخبري من وراءك من النِّساء

وفدت «أسماء بنت يزيد» على النبي ﷺ فقالت:

بأبي أنت وأمي يا رسول الله، إنه ليس في شرق البلاد وغربها امرأة إلا وهي مثل رأيي. إن الله تعالى بعثك إلى الرجال والنساء، فآمنا بك وبإلٰهك الذي بعثك، وإنا معشر النساء محصورات مقصورات قوامات بيوتكم وحاملات أولادكم، وحافظات أموالكم، وخوالفكم في سفركم، وممرضاتكم في الحضر. وإنكم معشر الرجال فضلتم علينا بالجمع والجماعات، وعيادة المرضى، وشهود الجنائز، والحج والعمرة، وأفضل من ذلك كله الجهاد في سبيل الله، وإنكم إذا خرجتم حجاجاً ومجاهدين، وتجاراً ومسافرين حفظنا لكم أموالكم، وربينا لكم أولادكم ثم غزلنا لكم الأثواب، وجمعنا لكم الطعام.

أفنشارككم في الأجر يا رسول الله؟؟

فأقبل النبي ﷺ على أصحابه وقال لهم:

«هل سمعتم مقالة امرأة قط أحسن من مقالتها في حسن مساءلتها عن أمر دينها؟».

ثم أقبل عليها فقال:

«ارجعي أيتها المرأة، فأخبري من وراءك من النساء أن حسن تبعل إحداكن

لزوجها واجتنابها سخطه، واتباعها مرضاته، يعدل ذلك كله».

فولت المرأة تكبر وتهلل استبشاراً.

❁ ❁ ❁

زوجة خسرو والصياد

يقال إن الملك خسرو بن برويز كان يحب أكل السمك، وكان يوماً جالساً في المنظرة ومعه زوجته شيرين فجاء صياد ومعه سمكة كبيرة وأهداها للملك ووضعها بين يديه فأعجبته فأمر له بأربعة آلاف درهم.

فقالت شيرين: بئس ما صنعت. فقال الملك: لمَ؟

فقالت: لأنك إذا أعطيت بعد هذا لأحد من حشمك هذا القدر قال: قد أعطاني مثل عطية الصياد.

فقال: لقد صدقت ولكن يقبح الملوك أن يرجعوا في هباتهم وقد فات الأمر. فقالت شيرين: أنا أدبر هذا الحال. فقال: وكيف؟

فقالت: تدعو الصياد وتقول له: هذه السمكة ذكر هي أم أنثى؟ فإن قال ذكر فقل إنما طلبت أنثى. وإن قال أنثى قل إنما طلبت ذكر.

فنودي الصياد فعاد وكان ذا ذكاء وفطنة، فقال له الملك: هذه السمكة ذكر أم أنثى؟

فقبَّل الصياد الأرض وقال له: هذه السمكة خنثى لا ذكر و لا أنثى.

فضحك الملك من كلامه وأمر له بأربعة آلاف درهم. فمضى الصياد إلى الخازن وقبض منه ثمانية آلاف درهم ووضعها في جراب كان معه وحملها على عنقه وهمَّ بالخروج فوقع من الجراب درهم واحد، فوضع الصياد الجراب عن كاهله وانحنى على الدرهم فأخذه، والملك وشيرين ينظران إليه.

فقالت زوجته شيرين: أرأيت خسة هذا الرجل وسفالته، سقط منه درهم واحد فألقى عن كاهله ثمانية آلاف درهم وانحنى على الدرهم الواحد ولم يسهل عليه أن يتركه ليأخذه غلام من غلمان الملك، فحرد الملك من ذلك وقال:

صدقت يا شيرين . ثم أمر بإعادة الصياد وقال له :

يا ساقط الهمة، وضعت هذا المال عن كاهلك لأجل درهم واحد وأسفت أن تتركه في مكانه؟ فقبَّل الصياد الأرض وقال :

أطال الله بقاءك أيها الملك، إني لم أرفع ذلك الدرهم لخطره عندي وإنما رفعته عن الأرض لأن على وجهه صورة الملك وعلى الوجه الآخر اسم الملك فخشيت أن يأتي أحد بغير علم فيضع عليه قدميه فيكون ذلك استخفافاً باسم الملك وأكون أنا المؤاخذ والمسبب بهذا.

فعجب الملك من كلامه واستحسن ما ذكره وأمر له بأربعة آلاف درهم، فعاد الصياد ومعه اثنا عشر ألف درهم، فأمر الملك منادياً ينادي: ألا يتدبر أحد برأي النساء فإنه من تدبر برأيهنَّ وائتمر بأمرهنَّ خسر دراهمه.

❀ ❀ ❀

وصية العمر كله

قال القاضي شريح: تزوجت امرأة صغيرة فلما بَنَيْتُ ـ دخلت بها ـ قالت: عرفني خلقك لأعمل على مداراتك؟

فقلت لها: أحب كذا وأكره كذا، ونحن جميع فلا تفرقي، وما رأيت من حسنة فانشريها وما رأيت من سيئة فاستريها.

ثم قالت: كيف محبتك لزيارة الأهل؟

قلت: ما أحب أن يملني أصهاري.

قالت: فمن تحب من جيرانك أن يدخل دارك آذن له، ومن تكرهه أمنعه؟

قلت: بنو فلان قوم صالحون وبنو فلان قوم سوء.

قال: ومكثت معي حولاً لا أرى إلا ما أحب، فلما كان رأس الحول جئت من مجلس القضاء، فإذا بعجوز تأمر وتنهى في الدار.

فقلت: من هذه؟ قالوا: فلانة خَتَنَتُك، فلما جلست أقبلت العجوز.

فقالت: السلام عليك يا أبا أمية. قلت: وعليك السلام، من أنت؟ قالت: أنا فلانة خَتَنَتُك - أم زوجتك -

قلت: قربك الله.

قالت: كيف رأيت زوجتك؟ قلت: خير زوجة.

فقالت لي: أبا أمية، إن المرأة لا تكون أسوأ حالاً منها إلا في حالتين: إذا ولدت غلاماً أو حظيت عند زوجها، فإن رابك ريب فعليك بالسوط، فو الله ما حاز الرجال في بيوتهم شراً من المرأة المدللة.

قلت: أما والله لقد أدبت فأحسنت الأدب، ورضت فأحسنت الرياضة.

قالت: تحب أن يزورك أختانك؟ قلت: متى شاءوا.

قال: فكانت تأتيني في رأس كل حول توصيني تلك الوصية، فمكثت معي عشرين سنة لم أعتب عليها في شيء.

وكان لي جار يقرع امرأته ويضربها فقلت في ذلك:

رأيت رجالاً يضربون نساءهم فشلت يميني حين أضرب زينبا

أأضربها في غير ذنبٍ أتت به فما العدل مني ضرب من ليس مذنبا

فزينب شمس والنساء كواكب إذا طلعت لم يُبد منهن كوكبا

❀ ❀ ❀

المرأة الحرورية

كان الحجاج بن يوسف الثقفي جالساً في مجلسه بعد انتصاره على عبد الله ابن الزبير، وقال لحجابه: عليَّ بالمرأة الحرورية.

فلما حضرت قال لها: أنت بالأمس كنتِ في وقعة (ابن الزبير) تُحرضين الناس على قتلي وقتل رجالي ... ونهب أموالي؟

قالت: قد كان ذلك. فالتفت الحجاج إلى وزرائه وقال لهم: ما ترون فيها؟ قالوا: عجل بقتلها.

وعندما سمعت المرأة ذلك ضحكت ضحكة مدوية اغتاظ لها الحجاج فقال لها: ما أضحكك؟

قالت: إن وزراء فرعون كانوا خيراً من وزرائك هؤلاء.

فالتفت إليهم الحجاج فرآهم خجلوا. فقال لها: كيف ذلك؟

قالت: لأنه لما استشارهم في قتل (موسى) قالوا: ﴿أَرْجِهْ وَأَخَاهُ﴾[1] - يعني أنظره إلى وقت آخر - وهؤلاء يسألونك تعجيل قتلي. فضحك الحجاج، ثم أمر لها بعطاء وأطلقها وأعجبه مقالتها.

❀ ❀ ❀

كيف تختار امرأتك

سئل حكيم: كيف تختار امرأتك؟

فقال: أريدها ليست بالجميلة لكيلا يطمع فيها غيري، ولا بالقبيحة فتشمئز منها نفسي، ولا بالطويلة فأرفع إليها هامتي، ولا بالقصيرة فأطأطئ لها رأسي، ولا بالسمينة فتسد عليَّ منافذ النسيم، ولا بالهزيلة فأحسبها خيالي، ولا بالبيضاء كالشمع، ولا بالسوداء فتكون كالشبح، ولا بالجاهلة فلا تفهمني، ولا بالفيلسوفة فترهقني، ولا بالغنية فتقول مالي، ولا بالفقيرة فتذل من بعدي، وخير من كل ذلك ذات الدين كما قال ﷺ: **«فاظفر بذات الدين تربت يداك»**.

❀ ❀ ❀

الكرم طبع في الناس

يحكى أن رجلاً قال: كنت في سفر فضللت الطريق فرأيت بيتاً في الفلاة فأتيته، فإذا به أعرابية، فلما رأتني قالت: من تكون؟

قلت: ضيف. قالت: أهلاً ومرحباً بالضيف. انزل على الرحب والسعة وقدمت لي طعاماً وشراباً وأكرمتني بكل أدب، فبينما أنا على ذلك، إذ أقبل صاحب البيت، فقال: من هذا؟

(1) سورة: الأعراف، الآية: 111.

قالت: ضيف، فقال: لا أهلاً ولا مرحباً ما لنا وللضيف . فلما سمعت، غادرت وسافرت، فلما كان من الغد رأيت بيتاً في الفلاة فقصدته، فإذا به أعرابية، فلما رأتني قالت: من تكون؟

قلت: ضيف . فقالت: لا أهلاً ولا مرحباً، ما لنا وللضيف . فبينما هي تكلمني، إذ أقبل صاحب البيت، فلما رآني قال: من هذا؟

قالت: ضيف . فقال الرجل: أهلاً ومرحباً بالضيف فأكرمني، وبينما أنا معه تذكرت ما حدث لي بالأمس، فتبسمت . فقال: مم تبسمك؟

فقصصت عليه من أمر الأعرابية وزوجها . فضحك الرجل: وقال لا تعجب إن تلك الأعرابية هي أختي، وأما بعلها فهو أخو هذه المرأة زوجتي، والعرق دساس!

❀ ❀ ❀

توقيع من الملك القدوس

بينما الوزير فخر الملك يمشي إذ بامرأة تعترضه وترفع إليه شكايتها، فذكرت له أن بعض غلمانه قد قتلوا زوجها، فجعل الوزير لا يلتفت إليها!

فقالت له ذات يوم: أيها الوزير أرأيت القصص التي رفعتها إليك فلم تلتفت إليها؟ قد رفعتها إلى الله ﷻ! وأنا أنتظر التوقيع عليها!!

فلم تمضِ أيام حتى قبض سلطان الدولة على الوزير فجرده من كل أمواله وأمر بقتله، وعندها قال الوزير بحرقة وأسى: والله قد خرج توقيع المرأة!.

أتهزأ بالدعاء وتزدريه؟ وما تدري بما صنع الدعاء
سهام الليل نافذة ولكن لها أمد وللأمد انقضاء
فيمسكها إذا ما شاء ربي ويرسلها إذا نفذ القضاء

❀ ❀ ❀

أرحنا بها يا بلال

جاءت امرأة يوماً إلى أحد الصالحين فقالت: إن ابني قد أخذه الحرس وإني أحب أن تبعث إلى صاحب الشرطة لئلا يضرب . فقام فصلى وأطال

الصلاة، وجعلت المرأة تحترق في نفسها، فلما انصرف من الصلاة قالت المرأة: الله الله في ولدي، فقال لها: إني إنما كنت في حاجتك، فما رام مجلسه الذي صلى فيه حتى جاءت امرأة إلى تلك المرأة فقالت لها: أبشري فقد أُطلق ولدك وها هو في المنزل، فانصرفت إليه.

وهل هناك أعظم من الصلاة في طلب قضاء الحوائج؟ أليس فيها الاتصال مع الله ومناجاته؟ وأقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، فأكثروا فيها من الدعاء عسى أن يستجاب لكم، فأولى بالعبد أن يناجي ربه في قضاء حوائجه لأن الأمور بيده «**والقلوب بين إصبعين من أصابع الرحمٰن يقلبها كيف يشاء**» وقد كان النبي ﷺ إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة .. وقال: «**أرحنا بها يا بلال**».





فصل
في ذكر
مناقب الأئمة الأربعة
أصحاب المذاهب
رضي الله عنهم



فصل: في ذكر مناقب الأئمة الأربعة أصحاب المذاهب ﷺ

الإمام أبو حنيفة

صفاته

كان حسن الوجه وسيم الطلعة عذب المنطق حلو الحديث ليس بالطويل البائن ولا بالقصير الذي تنبو عنه العيون، وهو إلى ذلك لبَّاس أنيق الثياب بهي الطلعة كثير التعطر إذا طلع على الناس عرفوه من طيبه قبل أن يروه. ذالكم هو «النعمان بن ثابت» المكنَّى بأبي حنيفة أول من فتق أكمام الفقه واستخرج أروع ما فيه من طيوب. أدرك أبو حنيفة طرفاً من آخر عصر «بني أمية» وطرفاً من أول عصر «بني العباس».

علمه

قال أبو حنيفة: دخلت على أبي جعفر أمير المؤمنين فقال لي: يا أبا حنيفة عمن أخذت العلم؟.

فقلت: عن حماد عن إبراهيم عن عمر بن الخطاب ﷺ، وعن علي بن أبي طالب وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس ﷺ.

قال: بخ بخ[1]، استوثقت ما شئت يا أبا حنيفة، الطيبين الطاهرين المباركين رضي الله عنهم أجمعين.

وروي عن أبي حنيفة أنه قال: دخلت البصرة فظننت أني لا أسأل عن شيء إلا أجبت عنه. فسألوني عن أشياء لم يكن عندي فيها جواب، فجعلت على

---

(1) بخ: كلمة تقال عند الرضا والإعجاب بالشيء أو المدح أو الفخر. تقول مكرراً: بخ بخ.

نفسي ألا أفارق حماداً فصحبته عشرين سنة . قال: وما صليت صلاة إلا واستغفرت لحماد مع والديّ ولكل من قرأت عليه.

وكان أبو حنيفة رضي الله عنه يقول: ما جاءنا ـ أو يقول ـ ما أتانا عن الله ورسوله قبلناه على الرأس والعين، وما جاءنا أو أتانا عن الصحابة اخترنا أحسنه ولم نخرج عن أقاويلهم، وما جاءنا أو أتانا عن التابعين فهم رجال ونحن رجال . كذا في (ربيع الأبرار).

مكانته من رسول الله ﷺ

ذكر الخطيب في ﷺ تاريخه: أن أبا حنيفة رأى في المنام أنه نبش قبر رسول الله ﷺ فبعث من سأل محمد بن سيرين.

فقال ابن سيرين: صاحب هذه الرؤيا يثور علماً لم يسبقه إليه أحد.

وعن صالح بن محمد بن يوسف بن رزين عن أبي حنيفة أنه قال: رأيت في المنام كأني نبشت قبر رسول الله ﷺ وأخرجت عظاماً فاحتضنتها، قال: فهالتني[1] هذه الرؤيا فدخلت على ابن سيرين وقصصتها عليه، فقال: إن صدقت رؤياك لتُحيينَّ سنة رسول الله ﷺ .

عبادته

فلقد روي أنه قام الليل كله وهو يردد قول الله ﷻ :

﴿بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوۡعِدُهُمۡ وَٱلسَّاعَةُ أَدۡهَىٰ وَأَمَرُّ﴾[2].

وهو يبكي من خشية الله بكاءً يقطع نياط القلوب وينشج نشيجاً مبحوحاً يفطر الأفئدة.

وقد عرف عنه أنه صلى الفجر بوضوء العشاء نحواً من أربعين عاماً ما ترك ذلك خلالها مرة واحدة.

---

(1) فهالتني: أي أفزعتني .
(2) سورة: القمر، الآية: 46

وكان عامة ليله يقرأ القرآن في ركعة واحدة وكان يبكي في الليل حتى يرحمه جيرانه، وختم القرآن في الموضع الذي توفي فيه سبعة آلاف مرة.

وكان إذا قرأ سورة الزلزلة اقشعر جلده ووجل فؤاده وأخذ لحيته بيده وطفق يقول: يا من يجزي بمثقال ذرة خيرٍ خيراً ويا من يجزي بمثقال ذرة شرٍ شراً أجر عبدك النعمان من النار، وباعد بينه وبين ما يقربه منها وأدخله في واسع رحمتك يا أرحم الراحمين.

مواقفه

إن أبا حنيفة رضي الله عنه كان له جار إسكاف[1] يعمل نهاره فإذا رجع إلى منزله ليلاً تعشى ثم شرب فإذا دبَّ الشراب غنى وقال:

أضاعوني وأي فتى أضاعوا ... ليوم كريهة وسِداد ثغر

ولا يزال يشرب ويردد هذا البيت حتى يأخذه النوم وأبو حنيفة يسمع صوته كل ليلة، ومرة كان أبو حنيفة يصلي الليل كله ففقد صوته فسأل عنه فقيل له: أخذه العسس[2] منذ ليال. فصلى أبو حنيفة الفجر من غده ثم ركب بغلته و أتى إلى دار الأمير فاستأذن عليه فقال: ائذنوا له، و أقبلوا به راكباً و لا تدعوه ينزل حتى يطأ البساط، ففعل به ذلك فوسع له الأمير من مجلسه و قال: ما حاجتك؟ قال: أشفع في جاري.

فقال الأمير: أطلقوه و كل من أخذ في تلك الليلة فأطلقوهم أيضاً وذهبوا، وركب أبو حنيفة بغلته و خرج الإسكاف يمشي وراءه فقال له أبو حنيفة: يا فتى هل أضعناك؟ فقال: بل حفظتَ و رعيتَ جزاك الله خيراً عن حرمة الجوار.

ثم تاب الرجل ولم يعد إلى ما كان يفعل. كذا في(تاريخ بغداد).

حكمته

روي أن امرأة دخلت في مسجد أبي حنيفة وهو جالس بين أصحابه فأخرجت

---

(1) الإسكاف: صانع الأحذية ومصلحها.

(2) العسس: جمع عاسّ وهو من يطوف الليل يحرس الناس و يكشف أهل الريبة.

تفاحة أحد جانبيها أحمر و الآخر أصفر فوضعتها بين يديه و لم تتكلم، فأخذها أبو حنيفة وشقها نصفين، فقامت المرأة وخرجت ولم يعرف أصحابه مرادها فسألوه عن ذلك، قال: إنها ترمي تارة أحمر مثل أحد جانبي التفاحة وتارة أصفر مثل الجانب الآخر، سألت: أيكون حيضاً أو طهراً؟ فشققت التفاحة وأريتها باطنها وأردت بذلك ألا تطهري حتى تري البياض مثل باطنها، فقامت وخرجت.

وقيل: إن أعرابياً دخل على أبي حنيفة وهو جالس بين أصحابه فقال له: أفي الصلاة واو أو واوان؟.

فقال: واوات.

فقال: بارك الله فيك كما بارك في لا ولا.

فلم يفهم أحد سؤال السائل ولا جواب أبي حنيفة فسألوه عن ذلك فقال: سألني أفي التشهد واو أو واوان، فقلت: واوات بالجمع.

فدعا لي بالبركة كما بارك في الشجرة الزيتونة لا شرقية ولا غربية. كذا في (المبسوط).

روي أن أبا حنيفة ﷺ كان جالساً يوماً في المسجد فدخل عليه طائفة من الخوارج شاهرين سيوفهم، فقالوا: يا أبا حنيفة نسألك عن مسألتين فإن أجبت نجوت و إلا قتلناك.

قال: أغمدوا[1] سيوفكم فإن برؤيتها يشتغل قلبي.

قالوا: نحن نغمدها ونحن نحتسب الأجر الجزيل بإغمادها في رقبتك.

فقال: سلوا إذاً، فقالوا: جنازتان على الباب إحداهما رجل شرب خمراً فغص فمات سكراناً والأخرى امرأة حملت حملاً من الزنا فماتت في ولادتها قبل التوبة أهما كافران أم مؤمنان؟.

والقوم السائلون مذهبهم التكفير بارتكاب ذنب واحد فإن قال: مؤمنان قتلوه.

(1) اغمدوا: أي أرجعوها إلى غمدها.

فقال: من أي فرقة كانا أمن اليهود؟. قالوا: لا.

قال: أمن النصارى؟. قالوا: لا.

قال: أمن المجوس؟. قالوا: لا.

قال: أمن عبدة الأوثان؟. قالوا: لا.

قال: ممن كانا؟.

قالوا: من المسلمين.

قال: قد أجبتم.

قالوا: وكيف؟.

قال: قد اعترفتم بأنهما كانا مسلمين، ومن كان من المسلمين كيف تجعلونه من الكافرين.

قالوا: هما في الجنة أو في النار؟.

قال: أقول فيهما ما قال إبراهيم الخليل عليه السلام في حق من هو شر منهما: ﴿فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾﴾[1] أو أقول ما قال عيسى روح الله عليه الصلاة والسلام فيمن هو شر منهما: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾[2] فتابوا واعتذروا إليه. من (الروض الفائق).

من ذلك أن رجلاً من أهل الكوفة أضله الله، وكان ذا قدر في عيون بعض الناس وصاحب كلمة مسموعةٍ لديهم، وكان الرجل يزعم للناس فيما يزعمه لهم أن عثمان بن عفان كان يهودياً في أصله وأنه ظل على يهوديته بعد الإسلام أيضاً بعد، فلما سمع أبو حنيفة مقالته هذه مضى إليه وقال له: لقد جئتك خاطباً ابنتك فلانة لأحد أصحابي.

فقال: أهلاً بك ومرحباً إن مثلك لا ترد له حاجة يا أبا حنيفة، ولكن من الخاطب؟.

---

(1) سورة: إبراهيم، الآية: 36.

(2) سورة: المائدة، الآية: 118.

فقال: رجل موسوم بين قومه بالشرف والغنى سخي اليد مبسوط الكف حافظ لكتاب الله ﷻ يقوم الليل كله في ركعة كثير البكاء من خوف الله تعالى.

فقال الرجل: بخ بخ، حسبك يا أبا حنيفة إن بعض ما ذكرته يا أبا حنيفة من صفات الخاطب يجعله كفؤاً لبنت أمير المؤمنين.

فقال أبو حنيفة: غير أن فيه خصلةً لا بدَّ من أن تقف عليها.

قال: وما هي؟. قال: إنه يهودي.

فانتفض الرجل وقال: يهودي! أتريد أن أزوج ابنتي من يهودي يا أبا حنيفة؟ والله لا أزوجها منه ولو جمع خصال الأولين والآخرين.

فقال أبو حنيفة: تأبى أن تزوج ابنتك من يهودي وتنكر ذلك أشد الإنكار، ثم تزعم للناس أن رسول الله ﷺ زوج ابنتيه كلتيهما من يهودي.

فعرف الرجل خطأه وقال: أستغفر الله من قول سوء قلته وأتوب إليه من فرية افتريتها.

روي أن الخليفة دعا أبا حنيفة ﷺ وقال له: كم للرجل الحر من النساء الحرائر؟.

فقال: أربع، فقال: اسمعي يا حرة.

فقال أبو حنيفة على البديهة[1]: يا أمير المؤمنين لا يحل لك إلا واحدة. فغضب الخليفة وقال: الآن قلت أربع.

فقال: يا أمير المؤمنين قال الله تعالى: ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تَعۡدِلُواْ فَوَٰحِدَةً﴾[2] فلما سمعتك تقول: اسمعي يا حرة، عرفت أنك لا تعدل فلهذا قلت: لا يحل لك إلا واحدة.

---

(1) البديهة: سداد الرأي عند المفاجأة.
(2) سورة: النساء، الآية: 3.

فلما خرج أبو حنيفة بعثت زوجة الخليفة إليه ألف دينار وأنفذت تشكره وتثني عليه، فلم يقبلها وردها وقال للرسول: قل لها ما تكلمت لأجلك وما تكلمت إلا لأجل الله وأجري على الله.

دقة أبي حنيفة في الأحكام

كان أبو حنيفة دقيقاً في الأحكام الفقهية. حدث أن أبا ليلى قاضي الكوفة من قبل المنصور، نظر في امرأة مجنونة سبَّت رجلاً وقالت له: يا ابن الزانيين. فأقام أبو ليلى عليها الحد في المسجد وهي قائمة، وحدَّها حدين لقذف الأب والأم.

فبلغ ذلك أبا حنيفة فقال: إن أبا ليلى أخطأ في ستة مواضع، الموضع الأول أنه أقام الحد في المسجد ولا تقام الحدود في المساجد، والموضع الثاني أنه ضربها قائمة والنساء لا يضربن قائمات، والموضع الثالث أنه ضربها حدين للأم والأب ومن يقذف جماعة فعليه حد واحد، والموضع الرابع أنه جمع بين حدين في آن واحد ولا يجمع بينهما، والموضع الخامس أن المجنونة ليس عليها حد، والموضع السادس أنه حدَّ للأبوين وهما غائبان ولم يحضرا فيدَّعيا. فما أدق هذه الأحكام.

يسر مذهب أبي حنيفة

هذا وأبو حنيفة في صلب مذهبه يعمد إلى التيسير على المسلمين لا العسر، يضع نصب عينيه قول رسول الله ﷺ:

«إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه فسددوا وقاربوا وأبشروا».

فالدين في روحه ومفهومه يسر لا عسر فيه، فالإمام ييسر على المسلمين في العبادات والمعاملات إلى الحد الذي يلفت النظر.

فيرى أن الحكم الشرعي لإزالة النجاسة عن الثوب هو إزالة عينها، إذن يصح إزالتها بكل ماء طاهر ولو بماء الورد أو الخل.

ومن اشتبهت عليه القبلة ولا مخبر ولا محراب تحرَّى بقدر المستطاع ولا إعادة عليه إن أخطأ، وإذا علم بخطئه في صلاته استدار وبنى.

وفي مجال الزكاة يقف أبو حنيفة في صف الفقراء حين يوجب الزكاة على الحلي من الذهب والفضة وفي جميع ما يأكله الآدميون من الخضار والثمار مستهدفاً التوسعة على الفقير، وهو يقول: إن الزكاة لا تجب على المدين الذي يستغرق دينه جميع ماله.

وأبو حنيفة يجعل للمرأة البالغة العاقلة الرشيدة الحق في الزواج بمن تختار لا سلطان لأحد عليها ولو كان أباً أو أخاً، ويجعل لها الحق في أن تباشر بنفسها عقد زواجها. كما يرى أن الشهادة في عقد الزواج تجوز برجل وامرأتين، ويرى أن الولي المجبر (وهو الأب والجد) إذا زوج ابنته البالغة زواجاً لا ترضاه لم يصح الزواج.

ومن طرائف أحكام أبي حنيفة رضي الله عنه وقد كان ذا عقلية اقتصادية ممتازة أنه جعل من حق ولي أمر المسلمين تمليك الأرض الموات لمن يحييها ويجعلها صالحة للزراعة . كما أجاز بيع الثمر على الشجر قبل أن ينضج . كما أجاز الاتجار بمال اليتيم.

فلا غرابة إذاً وهذه شخصية أبي حنيفة وهذا مذهبه أن يشكل معتنقوه الأكثرية من أهل السنة من المسلمين.

وفاته

توفي أبو حنيفة سنة خمسين ومائة للهجرة في اليوم الذي ولد فيه الإمام الشافعي رضي الله عنه.

فيكون قد انطوى علم من أعلام الإسلام لينتشر علم آخر، وبين وفاة هذا ونضوج ذاك ظهر إمام جليل القدر عظيم الشأن هو الإمام مالك بن أنس الآتي ذكره.

❀ ❀ ❀

أبو عبد الله مالك بن أنس بن أبي عامر الأصبحي

نسبة إلى بطن من حمير يقال له: ذو أصبح نقل بعضهم وفي «تتمة المختصر» ما نصه: مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو بن الحرث الأصبحي نسبة لذي الحارث بن عوف من ولد يعرب بن قحطان، وأنس بن مالك هذا غير أنس بن مالك خادم الرسول ﷺ إذ هو أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد الأنصاري الخزرجي، وأنس أبو الإمام مالك تابعي.

ولد الإمام مالك ﵁ سنة إحدى أو ثلاث أو أربع أو خمس أو سبع وتسعين.

قال الشافعي: إذا وجدت لمالك حديثاً فشد يدك به فإنه حجة.

وعن الشافعي قال: ما بعد كتاب الله هو أكثر صواباً من موطأ مالك.

صفاته

كان طويلاً جسيماً عظيم الهامة أبيض الرأس واللحية قيل: تبلغ لحيته صدره، وقيل: كان أشقر أزرق العينين يلبس الثياب العدنية[1] الرفيعة. قال أشهب: إذا اعتمّ جعل منها تحت ذقنه ويسدل طرفها بين كتفيه. قيل: وكان يكره حلق الشارب ويعيبه ويراه من المثلة كذا في كتاب (الطبقات للشعراني) وغيره.

علمه

انتصب لتدريس العلم وهو ابن سبع عشرة سنة فاحتاج أشياخه إليه ومكث يفتي الناس ويعلمهم نحواً من سبعين سنة وشهد له التابعون بالفقه والحديث.

---

(1) العدنية: أي منسوبة إلى عدن.

مكانته من رسول الله ﷺ

قال محمد بن رمح: حججت مع أبي وأنا صبي لم أبلغ الحلم فنمت في مسجد رسول الله ﷺ في الروضة بين القبر و المنبر فرأيت النبي ﷺ قد خرج من قبره وهو متوكئ[1] على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، فقمت فسلمت عليه فرد عليَّ السلام فقلت: يا رسول الله إلى أين أنت ذاهب؟

فقال ﷺ: «**أقيمُ لمالك الصراط المستقيم**» فانتبهت فأتيت أنا وأبي فوجدت الناس مجتمعين على مالك وقد أخرج الموطأ وكان أول خروجه.

وحدث محمد بن عبد الحكم قال: سمعت محمد بن أبي السري العسقلاني يقول: رأيت رسول الله ﷺ في النوم فقلت: يا رسول الله حدثني بعلم أحدث به عنك، فقال ﷺ : «**إني قد أوصيتُ إلى مالك بكنز يفرقه عليكم**»، ثم مضى فتبعته فقلت: يا رسول الله حدثني بعلم أحدث به عنك.

فقال ﷺ: «**إني أوصيتُ إلى مالك بكنز يفرقه عليكم**»، ثم مضى فتبعته فقلت: يا رسول الله حدثني بعلم أحدث به عنك. فقال ﷺ: «**يا ابن السري إني قد أوصيت إلى مالك بن أنس بكنز يفرقه عليكم، ألا وهو الموطأ، ألا وليس بعد كتاب الله ولا سنتي في إجماع المسلمين حديث أصح من الموطأ فاسمعه تنتفع به**».

قال عمر بن سلمة: ما قرأت كتاب الجامع من موطأ مالك إلا أتاني آت في المنام فقال لي: هذا كلام رسول الله ﷺ حقاً.

قيل: إن مالكاً رضي الله عنه لما أراد أن يؤلف كتابه بقي متفكراً في أي شيء يسمي به تأليفه قال: فنمت فرأيت النبي ﷺ فقال: «**وطئ للناس هذا العلم**» فسمى كتابه الموطأ.

قال عبد الله بن المبارك: كنا عند مالك وهو يحدثنا حديث رسول الله ﷺ فلدغته عقرب ست عشرة مرة وهو يتغير لونه ويصفر ولا يقطع حديث رسول الله ﷺ فلما تفرق الناس عنه قلت: يا أبا عبد الله لقد رأيت اليوم منك عجباً؟

---

(1) متوكئ: أي مستند.

قال: نعم، صبرت إجلالاً لحديث رسول الله ﷺ.

وقال مصعب بن عبد الله: كان مالك إذا ذكر النبي ﷺ يتغير لونه وينحني حتى يصعب ذلك على جلسائه. فقيل له في ذلك، فقال: لو رأيتم ما رأيتُ لما أنكرتم ما ترون، وكان يكره أن يحدث في الطريق أو وهو قائم أو مستعجل ويقول: أحب أن أعظم حديث رسول الله ﷺ.

حكمته

قيل: كان مالك رضي الله عنه في تعظيم علم الدين مبالغاً حتى إذا أراد أن يحدث توضأ وصلى ركعتين وجلس على صدر فراشه وسرح لحيته واستعمل الطيب وتمكن في الجلوس في وقار وهيبة ثم حدث فقيل له في ذلك، فقال: أحب أن أعظم حديث رسول الله ﷺ. هكذا يكون تعظيم العلم، فالعلماء إذا عظموا العلم عظمهم الله عند الناس وجعل لهم الهيبة والوقار في قلوب الملوك ومن دونهم، في أيها الطالب للعلم تواضع له فمن تواضع له تواضع لله ومن تواضع لله رفعه الله فإن التراب لما ذل لأخمص القدمين صار طهوراً للوجه كما قال تعالى: ﴿فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ﴾[1].

محبته للنبي ﷺ

عن الشافعي رضي الله عنه قال: رأيت على باب مالك دواب من أفراس خراسان جاءته هدية، وقيل: من مصر، ما رأيت أحسن منها فقلت له: ما أحسن هذه!. فقال: هي هدية مني إليك.

فقلت: دع لنفسك منها دابة تركبها.

فقال: إني لأستحي من الله أن أطأ تربة فيها نبي الله ﷺ بحافر دابة.

قال أبو عبد الله المنتاب: حفظ مالك مائة ألف حديث.

وقال الليث بن سعد: والله ما على وجه الأرض أحب إليَّ من مالك، وقال: اللّهم زد من عمري في عمره.

وعن الدراوردي رحمه الله قال: رأيت في المنام أني دخلت مسجد رسول الله ﷺ

(1) سورة: النساء، الآية: 43.

فرأيت النبي ﷺ يعظ الناس، إذا دخل مالك، فلما رآه النبي ﷺ قال: «إلي». فأقبل حتى دنا منه فنزع رسول الله ﷺ خاتمه من أصبعه ووضعه في خنصر مالك رضي الله عنه. فأوّلته العلم قد وضعه النبي ﷺ إليه.

وفاته

توفي الإمام مالك رضي الله عنه لعشرة أيام خلت من ربيع الأول سنة تسع وسبعين ومائة، وعاش تسعين سنة.

قال القعنبي: دخلت على مالك في مرضه الذي مات فيه فسلمت عليه ثم جلست فرأيته يبكي فقلت: يا أبا عبد الله ما الذي يبكيك؟

فقال: يا ابن قعنب ومالي لا أبكي ومن أحق بالبكاء مني؟ والله لوددت أني ضربت بكل مسألة أفتيت بها برأيي بسوط سوطاً وقد كانت لي السعة فيما قد سبقت وليتني لم أفت بالرأي . كذا في (تتمة المختصر).

قال ابن القاسم: كنا عند مالك في مرضه الذي مات فيه فدخل ابن الداوردي فقال: يا أبا عبد الله رأيت البارحة رؤيا أتسمعها مني؟ فقال: قل.

قال: رأيت رجلاً ينزل من السماء عليه ثياب بيض وبيده سجل ينشره مابين السماء والأرض ثلاث مرات يقول: هذه براءة لمالك من النار.

فبينما أنا أحدثه إذ دخل عليه رسول الأمير فقال: يا أبا عبد الله إن مؤذن المدينة رأى البارحة رؤيا . فسمعتها منه فقص عليه مثل ذلك.

فقال مالك: الله المستعان، ما شاء الله كان.

وعن أبي زكريا قال: سمعت الشافعي رضي الله عنه يقول: قالت لي عمتي ونحن بمكة: رأيت في هذه الليلة رؤيا . قلت: وما هي؟.

قالت: رأيت قائلاً يقول: مات الليلة أعلم أهل الأرض، فحسبنا ذلك اليوم فكان اليوم الذي مات فيه مالك رضي الله عنه.

❀ ❀ ❀

أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي المطلي

هو محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائل بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف، يجتمع مع النبي ﷺ في عبد مناف وهو الثالث من أجداد النبي ﷺ والتاسع من أجداد الشافعي رضي الله عنه.

صفاته

كان ﷺ طويلاً سائل الخدين قليل لحم الوجه طويل العنق طويل القصب أسمر خفيف العارضين يخضب لحيته بالحناء حمراء قانئة، حسن الصوت حسن السمت عظيم العقل حسن الوجه حسن الخلق مهيباً فصيحاً، من أذرب الناس لساناً إذا أخرج لسانه بلغ أنفه وكان مسقاماً[1] ممنواً[2] بالبواسير كذا وصفه ابن صلاح.

وعن الربيع قال: كان الإمام الشافعي رحمه الله يختم القرآن في كل يوم مرة.

وعن الربيع أيضاً قال: كان الشافعي يختم القرآن في رمضان ستين مرة في الصلاة.

وقال الحسن الكرابيسي: بت مع الإمام الشافعي رضي الله عنه غير مرة فرأيته يصلي نحواً من ثلث الليل فما رأيته يزيد على خمسين آية فإذا أكثر فمائة، وكان لا يمر على آية رحمة إلا سأل الله تعالى الإنابة لنفسه وللمؤمنين ولا يمر بآية عذاب إلا تعوذ منها وسأل الله تعالى النجاة لنفسه وللمؤمنين . وكان يقول رضي الله عنه : ما شبعت منذ ست عشرة سنة لأنه يثقل البدن ويقسي القلب ويزيل الفطنة ويجلب النوم ويضعف صاحبه عن العبادة.

---

(1) مسقاماً: أي كثير السقم وهو المرض .
(2) ممنواً: أي مصاباً .

وقال الشافعي ﷺ : لما ختمت القرآن دخلت المسجد فكنت أجالس العلماء وأحفظ الحديث أو المسألة، وكان منزلنا بمكة في شعب الخيف وكنت فقيراً بحيث لا أملك أن أشتري القراطيس فكنت آخذ العظم وأكتب فيه.

وروي عنه أنه خاط قميصاً عند بعض الخياطين ممن جهل قدره فهزأ به الخياط وجعل له الكم اليمين ضيقاً لا تخرج منه يده إلا بجهد والكم الآخر كأنه رأس عدل فلما جاء الشافعي رأى كمه ضيقاً جداً والآخر متسعاً جداً فقال: جزاك الله خيراً هذا الكم الضيق جيد لتشمير الوضوء وهذا الكم الواسع لأجل الكتاب.

وكان رسول الملك قد جاء إلى الشافعي بعشرة آلاف درهم فصادفه عند الخياط فقال له: ادفعها إليه حق خياطته هذا الثوب وفكرته في تفصيله.

فسأل عنه الخياط فقيل له: هذا الإمام الشافعي، فتتبعه وقبَّل أقدامه واعتذر إليه ثم خدمه وصار من أصحابه.

ومن كلامه ﷺ : طلب العلم أفضل من صلاة النافلة.

وقال ﷺ: أظلم الظالمين لنفسه الذي إذا ارتفع جفا أقاربه وأنكر معارفه واستخف بالأشراف وتكبر على ذوي الفضل.

وكان ﷺ يقول: وددت أن الناس ينتفعون بهذا العلم ولم ينسب إليَّ منه شيء.

وقال أيضاً: ما ناظرت أحداً قط إلا أحببت أن يوفق ويسدد ويعان ويكون عليه رعاية من الله ﷺ، وما ناظرني أحد قط إلا أحببت أن يظهر الحق على يده وما أبالي أن يبين الله ﷺ الحق على لساني أو على لسانه.

لطيفة: حكي عن الشافعي أنه قال: كان لرجل ابن أبله فبعثه يوماً ليشتري حبلاً طوله ثلاثون ذراعاً.

فقال: في عرض كم؟. فقال: في عرض مصيبتي فيك.

إن محمد بن الحسن وأبا يوسف يعقوب بن إبراهيم صاحبي أبي حنيفة رضي الله عنه امتحنا الشافعي محمد بن إدريس رضي الله عنه صاحب الترجمة بحضرة الرشيد، فقال: ما تقول في رجلين خطبا امرأة فحلت لأحدهما ولم تحل للآخر وليست بمحرم له؟

فقال: إن أحد الرجلين كان له أربع نسوة فحرمت عليه الخامسة.

فقالا: ما تقول في رجلين شربا خمراً فوجب على أحدهما الحد ولم يجب على الآخر وكانا مسلمين؟

فقال: إن أحدهما كان حراً بالغاً فوجب عليه الحد والآخر كان صبياً لم يبلغ الحلم!

فقالا: فما تقول في خمسة زنوا فوجب على أحدهم القتل وعلى الآخر الرجم وعلى الثالث الحد وعلى الرابع نصف الحد والخامس لم يجب عليه شيء؟.

فقال: أما الأول فمشرك زنى بمسلمة فوجب عليه القتل، وأما الثاني فمحصن زنى فوجب عليه الرجم، وأما الثالث فبكر زنى فوجب عليه الحد، وأما الرابع فمملوك زنى فوجب عليه نصف الحد، وأما الخامس فصبي أو مجنون.

قالا: فما تقول في رجل أخذ قدحاً فيه ماء فشرب بعضه حلالاً وحُرِّم عليه الباقي؟.

فقال: إنه لما شرب بعضه رعف[1] في باقيه فحُرِّم عليه.

قالا: فما تقول في رجل دفع لزوجته كيساً مختوماً وقال لها: أنت طالق إن لم تفرغيه ولا تفتحيه ولا تقطعيه ولا تفتقيه فأفرغته على ذلك الحكم؟

قال: إن الكيس كان مملوءاً سكراً أو ملحاً فوضعته في الماء فذاب وتفرغ.

قالا: فما تقول في جماعة صلحاء سجدوا لغير الله تعالى وهم في فعلهم مطيعون؟.

قال: إنهم الملائكة سجدوا لآدم عليه السلام.

(1) رعف فلان أو أنفه: خرج الدم من أنفه.

قالا: فما تقول في رجل صلى بقوم فسلم عن يمينه فطلقت زوجته وسلم عن يساره فبطلت صلاته ونظر إلى السماء فوجب عليه ألف درهم؟.

قال: إن هذا الرجل لما سلم عن يمينه نظر إلى رجل كان تزوج امرأته بالغيبة ولم يدخل بها قد قدم من السفر فوجب عليه طلاقها، ثم سلم عن يساره فرأى في ثوبه دماً كثيراً فوجب عليه إعادة الصلاة، ثم نظر إلى السماء فرأى الهلال وكان عليه ألف درهم في الشهر فوجبت عليه.

قالا: فما تقول في رجل لقي جارية فقبلها وقال: فديت من أبي جدها وأخي عمها وأنا زوج أمها فما تكون منه؟

قال: هي ابنته.

قالا: فما تقول في امرأة لقيت غلاماً فقبلته وقالت: فديت من أمي ولدت أمه وأخو زوجي عمه وأبوه ابن حماتي وأنا امرأة أبيه؟

قال: هي أمه.

كراماته

كان الإمام أحمد بن حنبل يعظم الإمام الشافعي ﷺ ويذكره كثيراً ويثني عليه، وكانت له ابنه صالحة تقوم الليل وتصوم النهار وتحب أخبار الصالحين الأخيار، وتود أن ترى الشافعي لتعظيم أبيها له، فاتفق مبيت الإمام الشافعي عند أحمد ﷺ في وقت ففرحت البنت بذلك طمعاً أن ترى أفعاله وتسمع مقاله، فلما كان الليل قام الإمام أحمد إلى وظيفة صلاته وذكره والإمام الشافعي ﷺ مستلق على ظهره والبنت ترقبه إلى الفجر فقالت لأبيها: رأيتك تعظم الشافعي وما رأيت له في هذه الليلة صلاةً ولا ذكراً ولا ورداً.

فبينما هم في الحديث إذ قام الشافعي فقال له أحمد: كيف كانت ليلتك؟.

فقال: ما رأيت ليلة أطيب منها ولا أبرك، ولا أربح.

فقال: كيف ذلك؟

قال: لأني رتبت في هذه الليلة مائة مسألة وأنا مستلق على ظهري كلها في

منافع المسلمين، ثم ودعه ومضى.

فقال أحمد بن حنبل لابنته: هذا الذي عمله الليلة وهو نائم أفضل مما عملته وأما قائم. من (الروض الفائق).

روى سويد بن سعيد رحمه الله قال: كان الشافعي جالساً بعد صلاة الصبح في مدينة النبي ﷺ إذ دخل عليه رجل فقال له: إني خائف من ذنوبي أن أقدم على ربي وليس لي عمل غير التوحيد.

فقال له الإمام الشافعي رضي الله عنه: يا مؤمن لو أرادِ الله عز وجل تيئيسك من المسامحة لديه لما أحالك في مغفرة الذنوب عليه حيث يقول: ﴿وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[1] ولو أراد الله عقوبتك في جهنم وتخليدك لما ألهمك معرفته به وتوحيدك.

فبكى الرجل وأقبل على العبادة وفرح بكلامه ﷺ. كذا في (الروض الفائق).

رؤيا الشافعي

سمعت الشافعي رضي الله عنه يقول: رأيت وأنا باليمن كأني جالس في فضاء الطواف، إذا أقبل علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقمت إليه مسرعاً وسلمت عليه وصافحته فعانقني ونزع خاتمه من إصبعه فجعله في إصبعي، فلما أصبحت قصصت ذلك على المعبر فقال لي: أبشر يا أبا عبد الله أما رؤيتك لعلي بن أبي طالب في المسجد الحرام فهو النجاة من النار، وأما مصافحتك إياه فهو الأمان يوم الحساب، وأما جعله الخاتم في إصبعك فسيبلغ اسمك في الدنيا ما بلغ اسم علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

وفاته رضي الله عنه

روي عن المزني قال: دخلت على الشافعي رضي الله عنه في مرضه الذي مات فيه فقلت له: كيف أصبحت؟

(1) سورة: آل عمران، الآية: 135.

فقال: أصبحت من الدنيا راحلاً وللإخوان مفارقاً ولسوء عملي ملاقياً ولكأس المنية شارباً وعلى الله وارداً، فلا أدري أروحي تصير إلى الجنة فأهنيها أم إلى النار فأعزيها؟ ثم أنشأ يقول:

ولما قسا قلبي وضاقت مذاهبي	جعلت رجائي نحو عفوك سلما
تعاظمني ذنبي فلما قرنته	بعفوك ربي كان عفوك أعظما
وما زلت ذا عفو عن الذنب لم	تزل تجود وتعفو منة وتكرما

تزوج الشافعي رضي الله عنه حميدة بنت نافع بن عمرو بن عثمان بن عفان فولدت له أبا عثمان محمداً وكان قاضياً في حلب، وفاطمة، وزينب وللشافعي ولد آخر يقال له: الحسن مات طفلاً . نقله الرازي.



الإمام أبو عبد الله أحمد بن حنبل
ابن هلال بن أسد بن إدريس الشيباني المروزي

ولد الإمام أحمد ﷺ سنة أربع وستين ومائة في شهر ربيع الأول بمرو وقيل: ببغداد ونشأ بها.

قال ابن خلكان: كان الإمام أحمد إمام المحدثين، صنف كتابه (المسند) وجمع فيه من الحديث ما لم يتفق لغيره.

قيل: وكان يحفظ ألف ألف حديث، وكان من أصحاب الإمام الشافعي وخواصه ﷺ ولم يزل مصاحبه إلى أن ارتحل الشافعي إلى مصر.

مكانته

وكان شيخاً أسمر مديد القامة يخضب بالحناء، وفي (طبقات الشعراني) أنه كان يقول: رأيت رب العزة في المنام، فقلت: يا رب ما أفضل ما يتقرب به المتقربون إليك؟

فقال: بكلامي يا أحمد.

فقلت: بفهم أو بغير فهم؟

قال: بفهم وبغير فهم.

وكان ﷺ إذا جاءه طالب حديث وحده لم يحدثه حتى يكون معه غيره.

وكان يقول: تزوج يحيى بن زكريا عليهما السلام مخافة النظر.

وكان ﷺ يضرب به المثل في اتباع السنة واجتناب البدعة.

عبادته

وكان لا يدع قيام الليل قط وله في كل يوم وليلة ختمة، وكان يسر ذلك عن الناس، قال أبو عصمة: بت ليلة عند أحمد ﷺ فجاءني بماء فوضعه، فلما

أصبح نظر إلى الماء فوجده كما هو فقال: يا سبحان الله رجل يطلب العلم ولا يكون له ورد من الليل.

وكان ورده كل يوم وليلة ثلثمائة ركعة، فلما ضرب بالسياط ضعف بدنه فكان يصلي مائة وخمسين ركعة كل يوم وليلة.

وحج ﷺ خمس حجات ثلاثاً منها ماشياً، وكان ينفق في كل حجة نحو عشرين درهماً.

أيام المحنة

ولما قدم للسياط أيام المحنة أغاثه الله تعالى برجل يقال له أبو الهيثم العيار، فوقف عنده وقال: يا أحمد أنا فلان اللص، ضربت ثمانية عشر ألف سوط لأقر فما أقررت، وأنا أعرف أني على الباطل، فاحذر أن تقلق وأنت على الحق من حرارة السوط، فكان أحمد كلما أوجعه الضرب تذكر كلام اللص، وكان بعد ذلك لم يزل يترحم عليه.

قال الفضيل بن عياض: حُبس الإمام أحمد ﷺ ثمانية وعشرين شهراً وكان فيها يُضرب كل قليل بالسياط إلى أن يغمى عليه وينخس[1] بالسيف ثم يرمى على الأرض ويداس عليه، ولم يزل كذلك إلى أن مات المعتصم وتولى بعده الواثق فاشتد الأمر على أحمد وقال: لا أسكن في بلد ألحد فيه، فأقام مختفياً لا يخرج إلى صلاة ولا غيرها حتى مات الواثق وولي المتوكل، فرفع المحنة عن أحمد وأمر بإحضاره وإكرامه وإعزازه، وكتب إلى الآفاق برفع المحنة وإظهار السنة وأن القرآن غير مخلوق وخمدت المعتزلة وكانوا أشر الطوائف المبتدعة.

حكمته

بلغ الإمام أحمد بن حنبل أن رجلاً وراء النهر يروي أحاديث ثلاثية، فرحل الإمام أحمد إليه فلما ورد عليه وجده يطعم كلباً فسلم عليه أحمد ﷺ فرد عليه السلام ثم اشتغل بإطعام الكلب ولم يقبل على الإمام، فوجد الإمام أحمد في

(1) ينخس: يطعن.

نفسه شيئاً إذ أقبل الرجل على الكلب ولم يلتفت إليه، فلما فرغ الرجل من طعمة الكلب التفت إلى الإمام وقال: لعلك وجدت في نفسك إذ أقبلت على الكلب ولم أقبل عليك؟

قال: نعم.

فقال الرجل: حدثني أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**من قطع رجاء من ارتجاه قطع الله رجاءه يوم القيامة فلن يلج الجنة**» ثم قال الرجل: أرضنا هذه ليست بها كلاب وقد قصدني هذا الكلب فخفت أن أقطع رجاءه.

فقال الإمام أحمد: يكفيني هذا الحديث، ثم رجع. كذا في (حياة الحيوان) وغيره.

قال المروزي: لما حُبس أحمد بن حنبل في سجن الواثق على أن يقول بخلق القرآن، جاءه السجان يوماً فقال له: يا أبا عبد الله، الحديث الذي يُروى في الظلمَةِ وأعوانهم صحيح؟

قال: صحيح.

قال السجان: أفأنا من أعوان الظلمة؟

قال: لا.

قال: وكيف ذلك؟

قال: لأن أعوان الظلمة الذي يأخذ شعرك ويغسل ثوبك ويصلح طعامك، وأما أنت فمن الظلمة.

وفاته

توفي أحمد ﷺ سنة إحدى وأربعين ومائتين، وعاش سبعاً وسبعين سنة، ولما مرض عرضوا بوله على الطبيب فنظر إليه وقال: هذا بول رجل قد فتت الغم والحزن كبده.

واجتمع الناس على بابه لعيادته حتى امتلأت الشوارع والدروب، ولما

قبض صاح الناس وعلت الأصوات بالبكاء وارتجت الدنيا لموته، وخرج أهل بغداد إلى الصحراء يصلون عليه فحزروا من حضر جنازته من الرجال ثمانمائة ألف ومن النساء ستين ألف امرأة سوى من كان في الأطراف والسفن والأسطحة، فإنهم بذلك يكونون أكثر من ألف ألف، وفي رواية: بلغوا ألفي ألف وخمسمائة ألف، وأسلم يومئذ عشرون ألفاً من اليهود والنصارى والمجوس، كذا في (طبقات الشعراني).

حدث إبراهيم الحربي قال: رأيت بشر بن الحارث الحافي في المنام كأنه خارج من مسجد الرصافة وفي كمه شيء يتحرك، فقلت: ما فعل الله بك؟

فقال: غفر لي وأكرمني.

فقلت: ما هذا الذي في كمك؟

قال: قدم علينا البارحة روح أحمد بن أحمد بن حنبل فنُثر عليه الدُّر والياقوت فهذا مما التقطت.

قلت: ما فعل يحيى بن معين وأحمد بن حنبل؟

قال: تركتهما وقد زارا رب العباد وَوُضِعت لهما الموائد.

قلت: فلمَ لا تأكل معهما أنت؟

قال: قد عرف هوان الطعام عليَّ فأباحني النظر إلى وجهه . ومثله في (تاريخ ابن خلكان).

❀ ❀ ❀

المراجع

- **أسماء الله الحسنى**، محمد راتب النابلسي.
- **لطائف المعارف**، عبد الرحمٰن الحنبلي.
- **منهج التربية النبوية للطفل**، محمد نور عبد الحفيظ سويد.
- **أحاسن المحاسن**، إبراهيم بن أحمد الحنبلي.
- **حكايا وعبر**، محمد نديم الشهابي.
- **قصص الصالحين**، مصطفى مراد.
- **صور من حياة الصحابة**، الدكتور عبد الرحمٰن رأفت باشا.
- **تنبيه الغافلين**، السمرقندي.
- **ليل الصالحين وقصص العابدين**، أحمد مصطفى الطهطاوي.
- **من ملف النبوة**، أسماء طباع.
- **حكايا الصوفية**، أبو اليسر عابدين.
- **الرسالة القشيرية**، يوسف خطار محمد عبد الجليل.
- **موسوعة الخطباء**، يوسف خطار محمد.
- **الوصايا المنبرية**، محمد بحري.
- **صفة الصفوة**، ابن الجوزي.
- **أمراض القلوب**، عبد القادر محمد منصور.